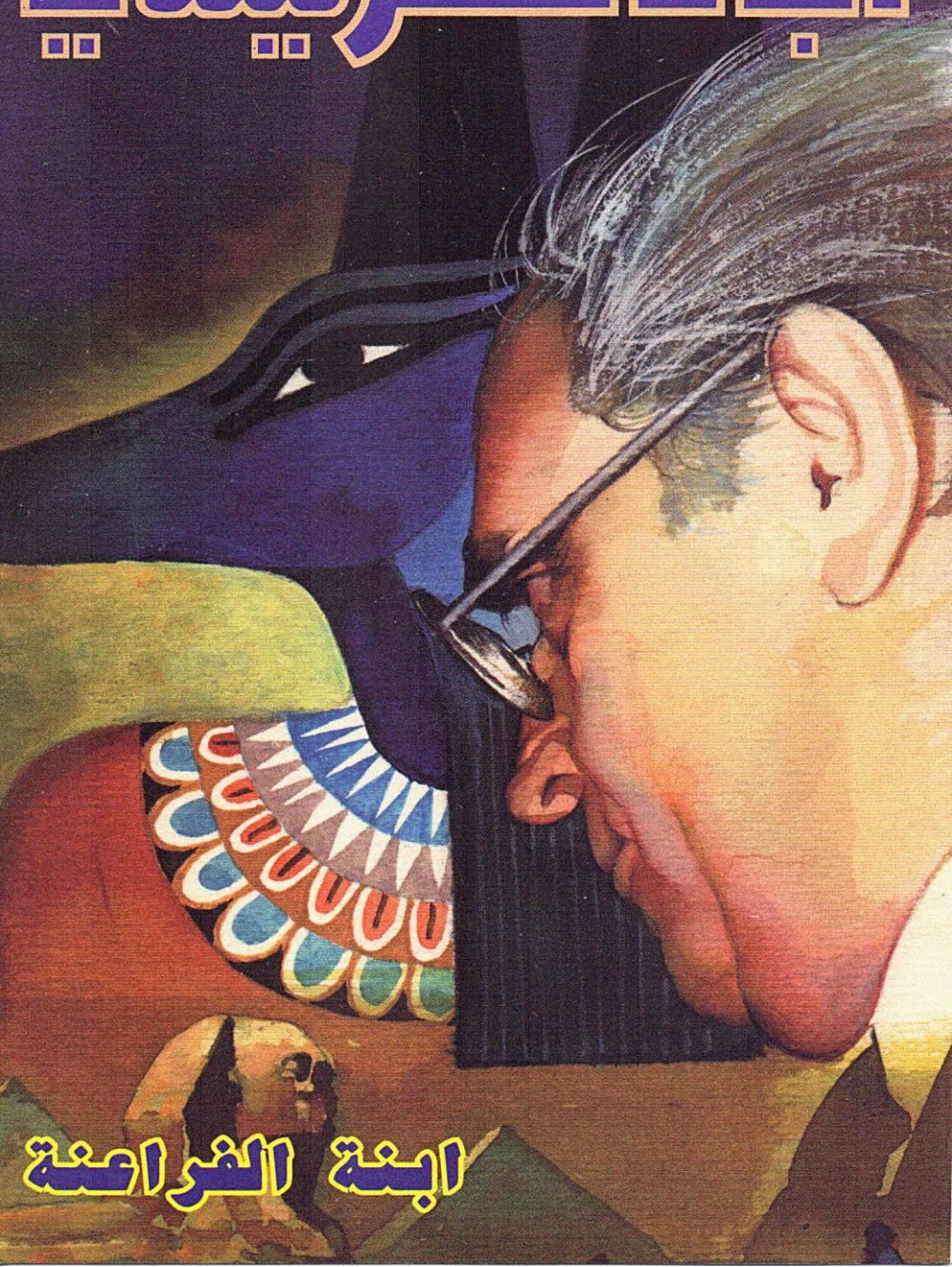


اماشا كريستي



ابنة الفراشة

أبنة الفراعنة

بونارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

ابنة الفراغنة

(01)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجائا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للمصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه - لبنان

فاكس 00 961 9 212 665

تلفون 00 961 9 212 666

Email:info@inter-press.org

www.inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للمصحافة - دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ
إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف
Agatha Christie

الاسم الاصيلي للكتاب
DEATH COMES AS THE END
(1944)

الغلاف بريشة الفنان العالمي
عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر المجددة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبماة وسيلة كانت ...
إلا بعد اخذ موافقة خطية من الناشر

شخصيات الرواية

- " أمحتوب " : كاهنُ القبور في مدينة " طيبة " . وربُ الأسرة .
- " سوبك " ابن " أمحتوب " الأكبر من زوجته الأولى " أياشات " .
- " كيت " زوجةُ " سوبك " هادئةُ الطبع . تهتمُّ بأولادها .
- " ياموس " ابنُ " أمحتوب " الثاني . وشقيقُ " سوبك " .
- " ساتيبي " زوجةُ " ياموس " . قويةٌ ، حادةُ الطبع . مُتسلطةٌ .
- " رينسنب " ابنةُ " أمحتوب " وشقيقةُ " سوبك " و " ياموس " .
- " إبيبي " ابن " أمحتوب " من زوجته الثانية .
- " آسا " أم " أمحتوب " وجددةُ أولاده وهي ذكيةٌ وحكيمةٌ .
- " نوفريت " محظيةُ " أمحتوب " التي جاء بها من الشمال .
- " هينيت " خادمةٌ عجوزٌ . يثقُ بها " أمحتوب " ويكرهها الجميعُ .
- " حوري " القائم بأعمال " أمحتوب " يتميزُ بالذكاء والحكمة .
- " كاماني " : جاء من الشمال . من أقاربِ " أمحتوب " .

الفصل الأول

وقفت "رينسنب" تنظر عبر النيل، وكانت أصوات أخويها "ياموس" و"سويك" المرتفعة تصل إليها من البعد خافتة.. كانا يتناقشان فيما إذا كانت الجسور في مكان معين تحتاج إلى تقوية، وكان صوت "سويك" كالمعتاد عاليا ومليئا بالثقة، ومن عاداته أن يؤكد آراءه بسهولة وإيمان، وكان صوت "ياموس" منخفضا ومتدمرا يعبر عن الشك والقلق، و"ياموس"، وهو الابن الأكبر، دائما في حالة قلق من شيء أو آخر، وكانت إدارة الضيعة في أثناء غياب أبيه في الإقطاعية الشمالية -إلى حد ما- بين يديه، وكان حريصا وميالا إلى توقع المتاعب حيث لا توجد، وهو رجل ضخم بطيء الحركة وليس به شيء من مرح وثقة "سويك". و"رينسنب" تتذكر منذ طفولتها هذين الأخوين الأكبر منها وهما يتناقشان بمثل هذه الطريقة، وشعرت فجأة بالأمان، لقد عادت إلى البيت مرة أخرى.. أجل لقد عادت إلى البيت. ولكن حينما نظرت عبر النهر اللامع أحست بالثورة والألم ف"فاي" زوجها الشاب قد مات... "فاي" بوجهه الضاحك وكتفيه القويتين أصبح مع "أوزوريس" في مملكة الموت، وها هي "رينسنب" -أرملته المحبوبة- في تعاسة، وكانا قد أمضيا ثمانين سنوات معا، وقد ذهبت إليه وهي تكاد تكون طفلة، والآن ها قد عادت وقد ترملت ومعها ابنة "فاي"، "تيتي"، إلى منزل أبيها وخيل إليها في هذه اللحظة أنها لم تترك المنزل قط، وراقت لها هذه الفكرة، ستنسى هذه السنوات الثماني المليئة بالسعادة التي اندثرت بالألم والفقدان. نعم انسيها وعودي مرة أخرى "رينسنب"، ابنة "أمحتوب" كاهن القبور، الفتاة التي لا تفكر كثيرا ولا تشعر بالألم، فحب الزوج كان شيئا قاسيا، وقد خُذعت برقة هذا الحب، ودفعت الثمن بهذا الحزن الذي تشعرين به الآن، وتذكرت "رينسنب" الكتفين القويتين البرنزيتين والقم الضاحك، والآن "فاي" قد حُنت ولف في الضمادات ومضى في حمى الأحجية في رحلته إلى العالم الآخر، ولم يعد "فاي" في هذه الدنيا يبحر على النيل ويصطاد السمك ويضحك للشمس، بينما تكون هي مستلقية في القارب وعلى ركبتيها "تيتي" الصغيرة تضحك له. ومر بخاطر "رينسنب": "لن أفكر في هذا، لقد انتهى الأمر، أنا هنا في البيت وكل شيء كما كان، وأنا أيضا قريبا سأعود كما كنت، وسيصبح كل شيء كما

كان من قبل، لقد نسيت "تيستي"، وها هي الآن تلعب مع الاطفال الآخرين وتضحك". وفجأة استدارت "رينسنب" ومضت عائدة إلى المنزل، ومرت بحمير محملة ومسوقة نحو النهر، ومرت بحقول القمح وبالمنازل القائمة خارج السور، ثم بالبوابة وإلى فناء الدار، وكان مكانا ممتعا جداً، ففيه بحيرة صناعية وعلى يمينها نبات الفل المزهر والياسمين وتظللها أشجار التين، وكانت "تيستي" والاطفال الآخرون يلعبون هناك وأصواتهم الحادة الواضحة مرتفعة، وكانوا يجرون داخل وخارج الكوخ الصغير المقام بجانب البحيرة، ولاحظت "رينسنب" أن "تيستي" تلعب بأسد خشبي يفتح ويقفل فمه بخيط، وهي لعبة كانت فيما مضى لعبتها هي، تلعب بها وهي طفلة، وفكرت مرة أخرى بارتياح: "لقد عدت إلى البيت ولم يتغير أي شيء هنا، كل شيء كما كان". هنا الحياة آمنة مطمئنة، وأصبحت "تيستي" الآن هي الطفلة، وأصبحت "رينسنب" إحدى الامهات اللاتي هن في حى أسوار البيت، ولكن الإطار والجوهر لم يتغيرا. وتدرجت كرة يلعب بها أحد الاطفال حتى وصلت إلى قدميها فالتقطتها ورمتها له وهي تضحك، ومضت "رينسنب" إلى البيت مارة بالغرفة الوسطى الكبيرة المزينة باللوتس الملون والخشخاش، ثم إلى الجزء الخلفي من المنزل المخصص للنساء، وقابلتها أصوات "ساتيبي" و"كيت" المرتفعة وهما تتناقشان كالمعتاد، وتمهلت وهي تتأمل بارتياح هذه الأصداء المألوفة -صوت "ساتيبي" العالي المسيطر العاتي- و"ساتيبي" هي زوجة أخيها "ياموس"، وهي امرأة طويلة جميلة تنقصها الرقة، ذات صوت مرتفع، وكانت مسيطرة على الخدم، والجميع يخافون سلاطتها ويهرعون لتنفيذ أوامرها، وكانت بقوة شخصيتها تجبرهم على القيام بالمستحيل. وكان "ياموس" نفسه يكن لزوجته القوية العزيمة أكبر الاحترام، ويتقبل تأنيبها بطريقة طالما أثارت "رينسنب". وفي خلال الفترات التي كان يسكت فيها صوت "ساتيبي" كان يسمع صوت "كيت" الهادئ العنيد، و"كيت" امرأة ليست بالجميلة، وهي زوجة "سويك" الوسيم المرح، وهي متفانية في خدمة أولادها، ونادراً ما تتكلم أو تفكر في شيء آخر، وكانت طريقتها في المناقشة مع "ساتيبي" هي أن تردد بإصرار أي شيء تكون قد قالته، ولا تتزحزح عنه، وكانت لا تتفعل ولا تراعي، ولو للحظة، أي شيء سوى وجهة نظرها في المشكلة، وكان "سويك" متعلقاً بزوجته ويرتاح إليها ويتحدث معها في جميع أموره؛ لأنه مطمئن إلى أنها تصنع

الإصغاء وتجاريه، ولكن في الحقيقة عقلها مشغول في مشكلة من مشكلات أولادها طوال الوقت، وتنسى كل ما قاله بمجرد أن ينتهي من قوله. وصاحت "ساتيبي":

– إن هذه إهانة، ولو كان لـ "ياموس" إرادة فأر لما قبل هذا البتة. من المسؤول في غياب "أمحتوب"؟ إنه "ياموس" وكزوجة لـ "ياموس" يجب أن يكون لي أنا الاختيار الأول في الوسائد والمراتب المنسوجة، وهذا العبد الأسود الذي يشبه سيد قشطة يجب أن... وقاطعها صوت "كيت" العميق:

– لا لا يا صغيرتي لا تأكلي شعر العروسة، انظري هذا شيء أفضل، حلوى.. آه كم هي لذيذة.

– أما أنت يا "كيت" فقليلة الذوق ولا تستمعين حتى إلى ما أقوله، أنت لا ترين أن سلوكك شنيع.

– إن الوسادة الزرقاء كانت دائماً ملكي.. آه انظري إلى "انكا"، إنها تحاول أن تمشي.

– إنك غبية مثل أولادك يا "كيت"، وهذا ليس بالشيء القليل ولكنك لن تتخلصي من الموضوع بهذه الطريقة، فإن لي حقوقاً كما أقول لك. وتنبهت "رينسنب" إلى خطوات خافتة خلفها، واستدارت وانتابها الشعور المألوف بعدم الارتياح عندما رأت "هينيت" واقفة خلفها، وكان وجه "هينيت" الهزيل ملتويًا بابتسامتها نصف الذليلة المعتادة. وقالت "هينيت":

– لم تتغير الأمور كثيراً يا "رينسنب" – كما ترين بلا ريب – ولا أعرف كيف أننا كلنا نتحمل لسان "ساتيبي" وبالطبع تستطيع "كيت" أن ترد عليها، ولكن ليس بوسع البعض الآخر أن يفعلوا ذلك، فأنا أعرف مكاني – أرجو ذلك على الأقل – وإني أعترف بالجميل لوالدك؛ لأنه مَنحني مسكناً وطعاماً وملبساً. آه، إن أباك رجل طيب، وأنا حاولت دائماً أن أعمل قدر استطاعتي، فأنا دائماً أعمل – أساعد هنا وهناك – ولا أنتظر شكراً أو عرفاناً، ولو كانت والدتك العزيزة قد عاشت لاختلف الوضع، فقد كانت تقدرني وكنا مثل اختين، كما كانت امرأة جميلة، وقد قمت بواجبي وحافظت على وعدي لها، فقد قالت لي وهي تموت ("هينيت" اعتني بالاولاد)، وقد بررت بوعدي وأفانيت نفسي في خدمتكم جميعاً، ولم أنتظر شكراً ولم أطلب هذا الشكر، ولم أشكُ قط وكان الناس يقولون، ما هذه إلا "هينيت"

العجوز وهي لا قيمة لها ولا يفكر في أحد، ولماذا يفكرون في؟ إنني فقط أحاول أن أساعد. وتسللت مثل ثعبان البحر من تحت ذراع "رينسنب" إلى الحجره الداخلية، وقالت:

- فيما يختص بالوسائل -بعد إذنك يا "ساتيسي" - ولكنني سمعت "سوبك" يقول: ... وتركت "رينسنب" المكان وقد استيقظ فيها كرهها القديم لـ "هينيت" - عجباً إنهم جميعاً يكرهون "هينيت" والأسباب هي: صوتها الباكي، وإشفاقها الدائم على نفسها، وسرورها الخبيث بإشعال النار في المناقشات. وفكرت "رينسنب": "آه حسنا ولم لا؟" هذه كما تعتقد طريقة "هينيت" لتسليه نفسها، ولا ريب أن الحياة كثيية بالنسبة إليها، والحقيقة أن "هينيت" تكذب وتكدهج ولم يعترف أحد بجميلها قط، ولا يمكن أن يشعر أحد بامتنان نحوها لأنها تلفت الأنظار بإصرار نحو أفضالها لدرجة أن أي شعور كريم قد يشعر به المرء تجاهها يتجمد تلقائياً، ومر بخلد "رينسنب": "إن "هينيت" إحدى الذين كتب عليهم أن يخلصوا للغير ولا يجدوا أحداً يخلص لهم، وهي غير جذابة وغبية، ولكنها تعرف دائماً ما يجري، فإن طريقته في المشي دون صوت وأذنيها الحادتين وعينيها الفضوليتين تجعل من المستحيل أن يبقى شيء لفترة طويلة سراً عليها، وأحياناً كانت تحتفظ بمعلوماتها لنفسها وأحياناً أخرى كانت تنتقل من شخص لآخر تهمس في أذنيه وتقف خلف الكواليس وهي سعيدة بمراقبة نتائج أقوالها. وقد طلب كل فرد في البيت -على حدة- في وقت من الأوقات من "أمحتوب" أن يتخلص من "هينيت"، ولكن "أمحتوب" رفض أن يستجيب لهذا وربما كان "أمحتوب" هو الشخص الوحيد الذي يعزها، وكانت "هينيت" تقابل رعايته بتفان متناه يثير غثيان باقي العائلة، ووقفت "رينسنب" مترددة لحظة وهي تستمع إلى الضجة المتزايدة من زوجتي أخويها، وقد ازدادت النيران بتدخل "هينيت"، ثم اتجهت ببطء نحو الغرفة الصغيرة حيث كانت جدتها "أسا" تجلس بمفردها، وفي خدمتها بنتان صغيرتان زنجيتان، وكانت "أسا" مشغولة بفحص ثياب من التيل كانتا تعرضانها عليها وكانت تزجرهما بطريقة حبية. نعم كان كل شيء كما هو، ووقفت "رينسنب" تستمع دون أن يلاحظن وجودها، وفكرت في أن العجوز "أسا" قد ضمرت قليلاً. هذا كل ما في الأمر، ولكن صوتها وكلامها ما زال كما كانا لم يتغيرا، بل أن

"رينسنب" تكاد تتذكر الكلام كلمة كلمة كما كان منذ ثمانية أعوام عندما تركت المنزل. وتسللت "رينسنب" إلى الخارج مرة أخرى دون أن تلاحظها جدتها أو البنتان، ووقفت لحظة أمام باب المطبخ المفتوح المنبعثة منه رائحة بط محمر وكثير من الكلام والضحك. ووقفت "رينسنب" ساكنة تماما، وعيناها نصف مغمضتين وكان باستطاعتها من المكان الذي تقف فيه أن تسمع في آن واحد كل ما يدور حولها: الأصوات العديدة المتنوعة المنبعثة من المطبخ. النبرة العالية الحادة لصوت "أسا" العجوز، نبرات "ساتيبي" الرفيعة الحادة، ونبرات "كيت" الخافتة العميقة التي تتردد بإصرار. مجموعة من الأصوات النسائية مشرثرة ضاحكة شاكية زاجرة ومتعجبة، وفجأة شعرت "رينسنب" بالاختناق وهي محاطة بهذا الجو النسائي الصاخب. نساء أصواتهن عالية ويثرن الضوضاء! منزل مليء بالنساء- لا يسكتن أبداً ولا يهدان، دائماً يطلن الكلام ولا يعملن شيئا. و"فاي" ... "فاي" ساكن ومترقب في قاربه، وكل تفكيره مركز في السمك الذي سيصطاده برمحه. لا شيء من هذه الشرثرة واللفظ الدائمين. ومضت "رينسنب" بسرعة خارجة مرة أخرى من المنزل إلى الجو الساخن الساكن في الخارج، ورأت "سوبك" عائداً من الحقول، كما رأت عن بعد "ياموس" وهو متجه إلى المقبرة. واستدارت ومضت في الطريق المؤدي إلى الجبل الجيري حيث كانت المقبرة، وكانت هذه مقبرة النبيل العظيم "مريبتا" وكان والدها هو كاهن القبور المسؤول عن العناية بالمقبرة، وكانت كل الضيعة والأراضي جزءاً من وقف المقبرة. وفي غياب أبيها كانت واجبات "الكا" أو كاهن القبر تقع على اكتاف أخيها "ياموس". وعندما وصلت "رينسنب" بعد أن صعدت الطريق المنحدر ببطء إلى المقبرة - كان "ياموس" هناك في الغرفة الحجرية الصغيرة للقبر يتشاور مع "حوري" القائم بأعمال والدها. وكان "حوري" يضع على ركبتيه ورقة من أوراق البردي وكان هو و"ياموس" منكبين عليها. وابتسم كل من "حوري" و"ياموس" لـ "رينسنب" عندما وصلت وجلست بجانبهما في الظل. وكانت "رينسنب" تحب أخاها "ياموس" منذ الصغر، فقد كان رقيقاً ودوداً تجاهها، وكان بطبيعته رؤوفاً ووديعاً، وكان "حوري" أيضاً لطيفاً معها دائماً. منذ طفولتها يصلح لها لعبها وهي صغيرة، وعندما تركت منزل أبيها للزوج كان "حوري" شاباً رزيناً لا يتكلم كثيراً وله يدان حساستان ماهرتان، وفكرت "رينسنب" وهي تنظر إليه، أنه

وإن كان "حوري" يبدو أكبر قليلاً إلا أنه لم يطرأ عليه تغيير يذكر، فإن الابتسامة الرزينة التي استقبلها بها لم تتغير كما تتذكرها. وكان "ياموس" و"حوري" يغمغان معاً: "ثلاثة وسبعون كيلة من الشعير مع "إيبي" الأصغر.. المجموع إذن مائتان وثلاثون من الدريس ومائة وعشرون من الشعير".

– نعم ولكن هناك ثمن الخشب، وقد دفع ثمن المحصول مقابل زيت في "برهيا" .. وتابعاً حديثهما وجلست "رينسنب" وهي شبه نائمة سعيدة بأصوات الرجلين الخافتة حولها، وبعد قليل نهض "ياموس" وترك ورق البردي مع "حوري" وغادر المكان. وجلست "رينسنب" في سكون مؤنسة بصحبة "حوري"، وبعد قليل أمسكت بحزمة من أوراق البردي وسالت:

– هل هذه من أبي؟ وأوماً "حوري"، وسالت بفضول:

– ماذا يقول في هذه الورقة؟ وفتحت الحزمة وحدقت إلى العلامات الهيروغليفية التي لا تعني شيئاً لعينيها التي لا تعرف القراءة، وابتسم "حوري" قليلاً ومال من فوق كتفها ووضع أصبعه الصغير على الحروف وهو يقرأ، وكانت الرسالة مكتوبة بالأسلوب المنمق للكاتب الهيروغليفي المحترف: «أمحتوب» خادم الضيعة وكاهن القبور يقول: يا ليت حالكم يكون مثل حال الذي يعيش مليون مرة.. ليساعدكم الإله "هيرشاف" سيد "هيدوكليس". وكل الآلهة الآخرين. ليعث الإله "بتاح" السعادة في قلوبكم مثل السعادة التي يبعثها للذين يعيشون طويلاً. إن الابن والكاهن يكلم والدته "أسا": كيف حال صحتك وأمنك؟ ويسأل كل أفراد الأسرة: كيف حالكم؟ ويسأل ابنه "ياموس" عن أحواله، ويحثه أن يستغل أرضه إلى أبعد الحدود، وأن يكد ويجتهد في زرع الأرض ويعده بأن يصلي لله من أجله إذا كان مجتهداً. وضحكت "رينسنب":

– "مسكين يا "ياموس"! إني واثقة بأنه يعمل ويشقى بما فيه الكفاية... وكانت طريقة أبيها في النصح قد صورته أمامها بوضوح بطريقته المتعالية الصاخبة – إلى حد ما – وبنصائحه وتعليماته المستمرة. ومضى "حوري" يقرأ: "اعتن كثيراً بولدي "إيبي" فإنني سمعت أنه غير راض، وتأكد أن "ساتيبي" تعامل "هينيت" معاملة طيبة واهتم بالأمر، اكتب وأخبرني عن الزيت والكتان وحافظ على محاصيلي، حافظ على كل ما أملكه لأنني أحملك مسؤولية هذا، وإذا غمر الفيضان أرضي

فالويل لك أنت و"سويك". وقالت "رينسنب" بسرور:

- إن أبي كما هو بالضبط، يفكر دائماً في أنه لا يمكن عمل شيء بالطريقة الصحيحة إذا لم يكن موجوداً هنا. وتركت ورقة البردي وأضافت برقة:

- إن كل شيء بالضبط كما كان. ولم يجب "حوري" وأخذ ورقة بردي وبدأ يكتب و"رينسنب" تراقبه في كسل لتضييع الوقت، وكانت تشعر بالرضا والقناعة لدرجة أنها كانت لا ترغب في الحديث. وبعد قليل قالت بلهجة حاملة:

- إنه من المفيد أن يتعلم المرء الكتابة على ورق البردي، فلماذا لا يتعلم كل الناس؟

- إن هذا ليس ضرورياً.

- ربما ليس ضرورياً ولكنه لطيف.

- هل تظنين هذا يا "رينسنب"؟ وما الفارق بالنسبة إليك؟ وفكرت "رينسنب"

برهة ثم قالت ببطء:

- عندما تسألني هذا لا أعرف الجواب بصدق يا "حوري". وقال "حوري":

- في الوقت الحاضر كل ما هو ضروري هو وجود بعض الكتب في ضيعة كبيرة، ولكن على ما أظن سيأتي اليوم الذي توجد فيه جيوش من الكتب في جميع أنحاء "مصر"، فإننا نعيش في بداية عهد عظيم. وقالت "رينسنب":

- سيكون هذا شيئاً جميلاً. وقال "حوري" ببطء:

- إنني لست واثقاً بهذا.

- ولماذا؟

- لأن الأمر يا "رينسنب" سهل جداً، ولا يكلف جهداً كبيراً أن يكتب المرء عشر كيلات من الشعر أو مائة رأس من الماشية أو عشرة حقول من البرسيم، وسيبدو الشيء الذي يكتب كأنه الحقيقة، وسيأتي اليوم الذي يحتقر فيه الكاتب الرجل الذي يفلح الحقل ويجني الشعر ويربي الماشية، ولكن الحقول والشعر والماشية هي في الواقع حقيقة واقعة، وليست علامات من الحبر على ورق بردي فحسب، وعندما تدمر كل الوثائق وكل رزم أوراق البردي ويندثر الكتب فإن الرجال الذين يجنون ويحصدون هم الباقون وستظل "مصر" حية. ونظرت إليه "رينسنب" بانتباه وقالت ببطء:

– نعم إنني أرى ما تعنيه. إن الأشياء التي نستطيع أن نراها ونمسها وناكلها هي فقط الأشياء الحقيقية. . إن كتابة مائتين وأربعين كيلة من الشعير لا تعني شيئا إلا إذا كان الشعير موجودا فإن المرء يستطيع أن يكتب أكاذيب. وابتسم لها "حوري" وهو ينظر إلى وجهها الجاد، وقالت "رينسنب" فجأة:

– إنك أصلحت لي لعبتي الأسد منذ زمن بعيد، أتذكر؟

– نعم إنني أذكر يا "رينسنب".

– إن "تيبي" تلعب به الآن. . إنه الأسد نفسه. وصمتت برهة ثم قالت ببساطة:
– عندما ذهب "فاي" إلى "أوزوريس" كنت حزينة جداً، ولكني الآن رجعت إلى البيت وسأكون سعيدة مرة أخرى وسأنسى؛ لأن كل شيء هنا كما هو ولم يتغير بالمرّة.

– هل تعتقدين هذا حقاً؟ ونظرت إليه "رينسنب" بحدة:

– ماذا تعني يا "حوري"؟

– أعني أنه يوجد دائماً تغير فثمانية أعوام هي دائماً ثمانية أعوام. وقالت "رينسنب" بثقة:

– لا شيء يتغير هنا.

– إذن ربما يجب أن يحدث تغير. قالت "رينسنب" بحدة:

– لا.. لا.. إنني أريد أن يظل كل شيء كما هو.

– ولكن أنت نفسك لست "رينسنب" نفسها التي رحلت مع "فاي".

– بل أنا كما كنت! وإن لم أكن كذلك فإنني سأصبح كذلك قريباً. وهز "حوري"

رأسه وقال:

– إنك لا يمكن أن ترجعي إلى الخلف يا "رينسنب" إن هذا مثل موازيني، فانا آخذ نصفاً وأضيف إليه ربعاً ثم عشراً، وفي النهاية كما ترين تكون الكمية مختلفة عما كانت عليه في البداية.

– ولكنني مجرد "رينسنب".

– ولكن "رينسنب" قد أضيفت إليها أشياء في خلال هذه الأعوام ولذلك أصبحت "رينسنب" مختلفة.

– كلا.. كلا.. إنك "حوري" القديم نفسه.

– قد تعتقدين هذا ولكنه ليس صحيحاً.

– نعم، نعم، و "ياموس" كما هو قلق دائماً ومتوجس، و "ساتيبي" مسيطرة عليه، كما كانت بالضبط، وهي و "كيت" كانتا تتشاجران كالمعتاد على المراتب والوسائد، وقريبا عندما ساعود سأجدهما تضحكان معا كأفضل الأصدقاء، وما زالت "هينيت" تتسمع وتلتصص وتتباكى بإخلاصها لنا، وجدتي كانت تعاتب خادمتها الصغيرة بخصوص بعض الأقمشة. كل شيء كما كان من قبل، وقريبا سيعود والذي إلى البيت وسيثير ضجة كبيرة وسيقول، لماذا لم تفعلوا هذا؟ وكان يجب أن تفعلوا ذلك. وسيظهر على "ياموس" القلق، وسيضحك "سوبك" ويبدو كالبريء، وسيدلل أبي "إيبي" وهو الآن في السادسة عشرة من عمره كما كان يدلله وهو في الثامنة ولن يتغير شيء بالمرّة... وتوقفت وهي لاهثة. ونهض "هوري" ثم قال برفق: – إنك لا تفهمين يا "رينسنب". هناك شر يأتي من الخارج ويهاجم بحيث يستطيع العالم كله أن يراه، ولكن هناك نوعا آخر من العفن ينمو من الداخل ولا يظهر خارجيا، وهو ينمو ببطء يوما بعد يوم حتى تصبح الثمرة أخيراً كلها عفنة، وقد أتلّفها المرض. وحدقت "رينسنب" إليه. كان قد تكلم كمن يحدث نفسه لا كمن يوجه إليها الحديث، وهتفت بحدة:

– ماذا تعني يا "هوري"؟ إنك تخيفني.

– أنا نفسي خائف.

– ولكن ماذا تعني؟ ما هذا الشر الذي تتحدث عنه؟ ونظر إليها ثم ابتسم فجأة وقال:

– انسي ما قلته يا "رينسنب"، فإني كنت أفكر في الآفات التي تصيب المحاصيل. وتنهدت "رينسنب" بارتياح وقالت:

– إنني سعيدة فقد فكرت... لا أعرف ما فكرت فيه.

الفصل الثاني

كانت "ساتيبي" تكلم "ياموس" بصوت مرتفع ذي نبرة حادة لا تكاد تتغير: – يجب أن تثبت شخصيتك. لن تُقدّر حق قدرك ما لم تفعل ذلك. إن أباك

يامرك بإنجاز أمور يعلم الله أنها في الغالب مستحيلة، ويعاملك كطفل، كولد غير مسؤول وكانك في مثل عمر "إيبي"، وأنت تستمع إليه في دعة وتوافق وتعتذر عن عدم إنجاز أمور تعلم جيدا أنها مستحيلة. أجاب "ياموس" بهدوء:

- إن أبي لا يعاملني بالمرّة مثل "إيبي". واشتاطت "ساتيبي" غضبا وهي تتكلم في هذا الموضوع الجديد:

- هذا صحيح، لأنه مغرم بهذا الولد المدلل الذي أصبح من المستحيل التعامل معه وهو يزيد سوءا يوما بعد يوم. إنه يختال ويتهرّب من العمل كلما استطاع. إن هذه فضيحة، وسبب كل هذا هو أنه يعلم أن أباك يقف في صفه دائماً، ويغض النظر عما يفعل، ومن الواجب أن تتخذ أنت و"سويك" موقفا حازما تجاه هذا الموضوع. وهز "ياموس" كتفيه وقال:

- وما الفائدة؟

- إنك ستصيبي بالجنون يا "ياموس"، هذه هي طريقتك. إنك وديع مثل امرأة، ولا نخوة فيك، وتوافق في الحال على كل ما يقوله أبوك. - إنني أعز أبي.

- نعم وهو يستغل ذلك. إنك تتقبل اللوم في ذلة وتعتذر عن أمور لا ذنب لك فيها. يجب أن تكلمه مثلما يفعل "سويك" الذي لا يخشى أحداً.

- نعم ولكن تذكري يا "ساتيبي" أنني أنا وليس "سويك" موضع ثقة أبي، وكل شيء متروك لتقديري وليس لتقدير "سويك".

- إنك تمثل أباك في غيابه في كل الأمور حتى في واجباته ككاهن للقبر، ومع ذلك ليست لديك سلطة معترف بها. يجب أن تكون هناك تسوية عادلة الآن، وقد أصبحت رجلا في منتصف العمر، وليس من العدل أن تعامل كطفل. وقال "ياموس" متشككا:

- أبي يحب أن يقي زمام الأمور في يديه.

- تماما. إنه يسره أن يكون جميع أهل البيت مطيعين له وتابعين لمزاجه المتقلب. إن هذا أمر سيئ وسيزداد سوءا. يجب أن تواجهه بشجاعة في هذه المرة عندما يعود، وتطالب بتسوية مكتوبة، وتصر على أن تكون لك مكانة معترف بها في الضيعة.

- لن يرضى.

- إذن يجب أن تجعله يرضى . آه لو كنتُ رجلاً في مكانك لعرفت كيف أتصرف !
إنني أشعر أحياناً بأنني متزوجة بحشرة . واحمر وجه " ياموس " وقال :
– سارى ماذا أستطيع أن أفعل .. نعم، قد أتكلم مع أبي وأطلب منه ...
– بل تطالبه، فإن في يدك زمام الأمور، وهو لا يستطيع أن يعتمد على أحد
سواك، فـ " سوبك " طائش و " إيبى " مازال صغيراً .
– ولكن يوجد " حوري " .
– " حوري " غريب، وأبوك ولو أنه يعتمد على رأيه، فإنه لن يعطي السلطة إلا
لشخص من دمه، ولكني أرى الحقيقة .. إنك وديع أكثر من اللازم، ويجرى اللبن
بدلاً من الدم في عروقك، ولا تهتمك أسرتك، ولن نأخذ مكاننا الطبيعي إلا بعد
موت أبيك . وقال " ياموس " بحزن :
– إنك تحتقرينني، اليس كذلك يا " ساتيبي " ؟
– إنك تثيرني .
– اسمعي، أعدك أن أتكلم مع أبي عند عودته . وغمغمت " ساتيبي " :
– نعم ولكن كيف ؟ كرجل أم كفار ؟

- 2 -

- كانت " كيت " تلاعب " انكا " أصغر أطفالها التي بدأت تحاول المشي، وكانت
" كيت " تشجعها وهي تضحك مادة ذراعيها نحوها، وكانت تستعرض منجزات
" انكا " أمام " سوبك " ولكنها لاحظت فجأة أنه غير منتبه لابنته، ويجلس ووجهه
الوسيم عابس، فعاتبته برقة ولكنه قال بحدة :
– إن لديّ أموراً أخرى أفكر فيها وتقلقتني .. وسألته " كيت " بعدم اكتراث :
– لماذا .. ؟ أهناك شيء على غير ما يرام ؟ وأجاب " سوبك " غاضباً :
– إن المشكل هو أنني لست موضع ثقة . إن أبي رجل عجوز له أفكار قديمة
وسخيفة، وهو يصر على فرض رأيه في كل صغيرة وكبيرة، وهو لا يترك الأمور
لتقديري ... وهزت " كيت " رأسها وقالت :
– نعم هذا شيء مؤسف .
– لو كانت لـ " ياموس " أية شخصية، ولو كان يساندني لكان هناك أمل في إقناع

أبي، ولكن "ياموس" جبان وهو ينفذ تعليمات أبي حرفيا. ولاعبت "كيت" الطفلة ببعض الخرز وهمست:

- نعم هذا صحيح.

- سأقول لأبي عند عودته إنني فيما يختص بموضوع الخشب قد تصرفت حسب تقديري، فإنه من الأفضل كثيرا أخذ الثمن مقابل كتان بدلا من أخذه مقابل زيت.
- أنا متأكدة إنك على حق.

- ولكن أبي عنيد ويحب أن يفرض إرادته، وسيثور ويصبح قائلا: " لقد قلت لك أن تعقد الصفقة مقابل الزيت.. كل شيء يتم خطأ في غيابي. إنك فتى أحمق لا يعرف شيئا!" أيظن أنني مازلت صغيرا؟ إنني رجل في عنفوان شبابي الآن وهو قد شاخ. إن تعليماته المتعسفة ورفضه الموافقة على أي صفقة غير عادية معناه أننا لا نحصل على المكاسب الكافية، ومن الضروري لكي نصبح أغنياء أن نغامر قليلا، وأنا على نقيض أبي، لدي الشجاعة وبعد النظر. وتمتت "كيت" برقة وعيناها على الطفلة:

- كم أنت شجاع وذكوي يا "سوبك".

- ولكنه في هذه المرة إذا جرؤ وادعى أنني مخطئ وسبني بصوت مرتفع فإنه سيسمع بعض الحقائق، وسأرحل ما لم يعطني حرية التصرف. وأوقفت "كيت" يدها المنبسطة نحو الطفلة، وأدارت رأسها بحدة وقالت:

- ترحل إلى أين؟

- إلى أي مكان. إنه من غير المحتمل أن يعاملني رجل عجوز مغرور بعنف ويضايقني ولا يعطيني الفرصة لاربه ما أستطيع عمله. وقالت "كيت" بحدة:

- لا! إنني أقول لا يا "سوبك"... ونظر إليها بدهشة وقد استرعت نبراتها انتباهه، وكان قد تعودها كمرافقة تهدئه لدرجة أنه كثيرا ما نسي وجودها كامرأة حية وإنسانة تفكر، وقال:

- ماذا تعنين؟

- أعني أنني لن أتركك تتصرف بحمق. إن الضيعة كلها ملك أبيك: الأرض، المحاصيل، المواشي، الخشب، حقول الكتان، كل شيء. وعند موته سيصبح كل هذا ملكك وملك "ياموس" وأولادكما. وإذا تشاجرت مع أبيك ورحلت، فقد يقسم

نصيبك بين "ياموس" و"إيبي"، وهو يحب "إيبي" كثيراً، والفتى يعلم ذلك ويستغله، وسيسره أن تختلف مع "أمحتوب" وترحل.. يجب أن تفكر في أولادنا. وحقق إليها "سويك" ثم أطلق ضحكة صغيرة تنم عن الدهشة وقال:

- إن المرأة دائماً غامضة، ولم أكن لأعرف يا "كيت" أن بإمكانك أن تكوني بعيدة النظر هكذا. وقالت "كيت" بجدية:

- لا تتشاجر مع أبيك.. لا ترد عليه وكن حكيماً لفترة أطول.

- قد تكونين على حق، ولكن هذا قد يستغرق سنوات طويلة، يجب أن يشركنا أبي معه. وهزت "كيت" رأسها وقالت:

- إنه لن يفعل هذا. إنه يحب أن يقول إننا نأكل خبزه ونعتمد عليه، ولانستطيع شيئاً دونه. ونظر إليها "سويك" بفضول وقال:

- أنت لا تحبين أبي يا "كيت". وانحنى "كيت" مرة أخرى نحو طفلتها وقالت لها:

- تعالي يا حبيبتي انظري ها هي دميته. تعالي إذن تعالي. ونظر إليها "سويك" بحيرة ثم خرج.

- 3 -

أرسلت "أسا" في طلب حفيدها "إيبي" وهو فتى وسيم يبدو عليه التذمر، ووقف أمامها وهي تويخه بصوت مرتفع وحاد وتنظر إليه بعينيها الضعيفتين الماكرتين.

- ما هذا الذي أسمعته؟ إنك ترفض أن تفعل هذا وذاك؟ أنت لا تريد أن تعني بالثيران، ولا تحب أن تذهب مع "ياموس" أو تلاحظ الزراعة؟ ماذا سيحدث إذا سمح لطفل مثلك أن يملي إرادته؟ قال "إيبي" بعبوس:

- لم أعد طفلاً.. لقد كبرت فلماذا أعامل كطفل! يُطلب مني أن أعمل هذا أو ذاك دون أخذ رأيي ولا أُعطى مصروفًا خاصًا. إن "ياموس" دائماً يأمرني فمن يظن نفسه؟

- إنه أخوك الأكبر وهو المسؤول في أثناء غياب ابني "أمحتوب".

- إن "ياموس" غبي وبليد وأنا أذكرى منه، و"سويك" أيضاً غبي مع أنه يتفاخر ويتحدث عن ذكائه! وأبي أرسل خطاباً قال فيه إنني سأختار العمل الذي أعمله.

وقاطعته "أسا" العجوز:

- وهذا يعني أنك لن تعمل.
- وإنني يجب أن أعطى طعاما وشرابا أكثر، وأبي إذا سمع أنني غير راض وأنني لا أعامل معاملة طيبة فسيغضب جداً... وابتسم ابتسامة خبيثة. وقالت "أسا":
 - أنت ولد تالف وساقول هذا لابني "أمحتوب".
 - لا.. لا يا جدتي لن تفعلي ذلك... وتغيرت ابتسامته وأصبحت ملاطفة ولو أنها ممزوجة بقليل من الوقاحة، ومضى يقول:
 - أنت وأنا يا جدتي الأذكياء في هذه العائلة.
 - يا لوقاحتك!
 - إن أبي يعتمد على رأيك ويعرف أنك حكيمة.
 - قد يكون هذا صحيحا، في الواقع هو كذلك، ولكنني لا أحتاج إليك لتخبرني بذلك. وضحك "إيبي" وقال:
 - من الخير أن تكوني في صفني يا جدتي.
 - ما هذا الكلام عن الأحلاف؟
 - إن أخوي الكبيرين متذمران، ألا تعلمين ذلك؟ ولكنك بالتأكيد تعلمين، ف"هينيت" تخبرك بكل شيء. "ساتيبي" توسوس لـ "ياموس" ليلا ونهارا حيثما تجده، و"سوبك" قد استغفل في صفقة الخشب وخائف من ثورة أبي عندما يكتشف هذا. سترين يا جدتي سأصبح شريكا لأبي في خلال سنة أو سنتين وسيفعل كل ما أريده.
 - أنت! اصغر أفراد الأسرة.
 - ما أهمية السن؟ إن السلطة في يدي أبي وأنا الذي أستطيع أن أجاريه.
 - هذا كلام شرير. قال "إيبي" بهدوء:
 - أنت ذكية يا جدتي وتعلمين جيدا أن أبي -على الرغم من كلامه الكثير- في الواقع رجل ضعيف. وسكت فجأة، وقد لاحظ أن "أسا" حركت رأسها وأنها تنظر خلفه، وأدار رأسه ووجد "هينيت" واقفة قريبا خلفه، وقالت "هينيت" بصوتها الخافت الباكي:
 - وهكذا "أمحتوب" رجل ضعيف! لن يسره على ما أعتقد أن يسمع أنك قلت

هذا عنه. وأطلق "إيبي" ضحكة سريعة مرتبكة وقال:

- ولكنك لن تخبريه بهذا يا "هينيت" العزيزة، عديني.. وانزلت "هينيت"

نحو "أسا" وارتفع صوتها بنغمته التي تشوبها نبرة باكية:

- بالطبع فانا لا أحب إثارة المتاعب، وأنت تعرف هذا. أنا مخلصه لكم جميعا.

إني لا أريد أبداً أي شيء إلا إذا اعتقدت أنه من واجبي.. وقاطعها "إيبي":

- كنت أداعب جدتي فحسب، وسأقول ذلك لابي وسيعرف أنني لا يمكن أبداً أن

أقول شيئاً من هذا القبيل جدياً. وأوما برأسه لـ "هينيت" إيماءة خفية حادة وخرج من

الغرفة، ونظرت "هينيت" خلفه وقالت لـ "أسا":

- فتى طيب وقد كبر. كم يتكلم بشجاعة. وقالت "أسا" بحدة:

- إنه يتكلم كلاماً خطيراً، ولا أحب الأفكار التي تدور في رأسه.. إن ابني يدلله

كثيراً.

- ومن لا يفعل ذلك؟ إنه فتى جميل وجذاب. وقالت "أسا" بحدة:

- إن الجمال هو جمال الأفعال. وسكتت لحظة أو لحظتين ثم قالت ببطء:

- "هينيت" إنني قلقة.

- قلقة يا "أسا" ماذا يقلقك؟ على أي حال سيعود السيد قريباً وعندئذ سيكون

كل شيء على ما يرام.

- أحقا؟ إنني أتساءل... وسكتت مرة أخرى ثم قالت:

- هل حفيدي "ياموس" في المنزل؟

- لقد رأيته يتجه نحو الشرفة منذ لحظات.

- اذهبي وقولي له إنني أريد محادثته. وذهبت "هينيت" واستدعت "ياموس"

من الشرفة ذات الأعمدة المزينة، ولبى "ياموس" رغبة جدته بسرعة. وقالت "أسا"

باعتصاب:

- "ياموس".. سيصل "أمحسوب" قريباً جداً. واستنار وجه "ياموس" الطيب

وقال:

- نعم سيكون هذا شيئاً طيباً حقاً.

- هل كل أمر يخصه في مكانه؟ هل ازدهرت الأعمال؟

- لقد نفذت تعليمات أبي بقدر المستطاع.

– وماذا بشأن "إيبي"؟ وتنهّد "ياموس" :

– إن أبي يسرف في تدليله وهذا ليس من مصلحة الفتى .

– يجب أن توضح هذا لـ "أمحتوب" .. وبدا الشك على "ياموس" وقالت "أسا"

بحزم:

– سأساعدك . وقال "ياموس" وهو يتنهّد:

– أحيانا يبدو أنه لا يوجد إلا المتاعب، ولكن كل شيء سيكون على ما يرام

عندما يعود أبي، ويستطيع أن يتخذ قراراته بنفسه عندئذ، فمن الصعب أن

أتصرف كما يريد في غيابه، خصوصا وأن ليس لديّ سلطة حقيقية وإنما أتصرف

فقط ككنايه . وقالت "أسا" ببطء:

– أنت ولد طيب، مخلص ودود . كما إنك أيضا زوج طيب، وقد عملت بالمثل

الذي يقول «إن الرجل يجب أن يحب زوجته ويهيئ لها بيتا ويطعمها ويكسوها

ويجلب لها عطورا غالية لزينتها ويسعدّها طوال حياتها»، ولكن هناك قولا يأتي

بعد ذلك في المثل وهو "ويعنّعا من السيطرة"، ولو كنت مكانك يا حفيدي لعملت

بهذا القول الأخير . ونظر إليها "ياموس" واحمر وجهه بشدة واستدار وخرج .

الفصل الثالث

كانت في كل مكان ضوضاء واستعدادات، ففي المطبخ تم خبز مائة رغيف، والآن

كان يجري تحمير البط، وكانت تنبعث من هناك رائحة البصل وبعض التوابل

المختلفة . النساء كن يصرخن ويصدرن الأوامر والخدم يهرعون هنا وهناك . وفي كل

مكان كانوا يتهامون:

– السيد ... السيد سيصل . وشعرت "رينسنب" بسعادة وانفعال وهي تساعد

على تنسيق باقات من الورد واللوتس، فإن والدها عائد إلى البيت، وفي خلال

الاسبوع القليلة الماضية كانت قد انزلت دون أن تشعر إلى نمط حياتها القديمة،

وكان الشعور الأول بوجود شيء غريب وغير مألوف، وهو شعور تعتقد أن "حوري"

هو الذي سببه لها، قد اندثر . إنها "رينسنب" نفسها لم تتغير و- "ياموس"،

و"ساتيبي"، و"سوبك"، و"كيت" - كلهم كما كانوا دائما ولم يتغيروا، والآن كما

في الماضي، يوجد كل هذا الضجيج والاستعدادات لرجوع "أمحتوب" إلى بيته، وكانت قد بلغتهم أبناء بأنه سيكون بينهم قبل حلول الليل، وقد أرسلوا خادما إلى شاطئ النهر ليخطرهم بمقدم سيد البيت، وفجأة رن صوته عاليا وواضحا بالإشارة المتفق عليها. والقت "رينسنب" أزهارها وجرت مع الآخرين، وهرعوا جميعا إلى المرساة على شاطئ النهر، وكان "ياموس" و"سوبك" هناك قبلهم وحولهما مجموعة صغيرة من أهل القرية: من الصيادين والفلاحين وكانوا جميعا يتصايحون ويشيرون بانفعال نحو النهر. نعم كان هناك المركب ذو الشراع الكبير المربع آت بسرعة من الشمال والرياح تدفعه وتملأ الشراع، وخلفه بقليل كان مركب المطبخ مزدحما برجال ونساء، وبعد قليل استطاعت "رينسنب" أن ترى والدها وهو جالس وممسك بزهرة لوتس، وكان معه على ما تظن مغنية. وتضاعف الصياح من الشاطئ، ورفع "أمحتوب" يده محببيا، وكان البحارة يشدون حبال الشراع وعلت صيحات:

— أهلا وسهلا بالسيد .. وانطلقت صيحات أخرى تشكر الآلهة وتحمدهم على سلامته ورجوعه إلى أسرته، وبعد فترة وجيزة نزل "أمحتوب" إلى الشاطئ وحيا أسرته، ورد على التحيات العالية التي كان يتطلبها العرف. واندفعت "رينسنب" إلى الامام وقد جرفها الحماس العام وشد "أمحتوب" قامته وفجأة فكرت "رينسنب": "ولكنه رجل قصير القامة" لقد كانت تتخيله أطول من ذلك بكثير. وانتابها شعور بخيبة الأمل. هل انكمش أبوها؟ أو هل خانتها ذاكرتها؟ كانت قد فكرت فيه كثيرا كإنسان رائع، مستبد وكثير الصخب، يُملي على الجميع أوامره بمنة ويسرة وفي بعض الأحيان يثير ضحكها الخفي، ولكنه مع كل هذا شخصية بارزة. ولكن هذا الرجل البدين القصير المسن الذي يبدو عليه الشعور بأهميته، وعلى الرغم من هذا فهو لا يروع الناس، ماذا دهاها؟ ما هذه الأفكار غير الوفية التي تنبثق في رأسها. وكان "أمحتوب" قد فرغ من الكلمات الرنانة الرسمية، وبدأت مرحلة التحيات الخاصة، وعانق ابنه.

— آه يا عزيزي "ياموس" الدائب الابتسامة .. إنني متأكد أنك كنت مجتهدا في غيابي .. و"سوبك" يا بني الوسيم، ما تزال كما أرى مرحا، وها هو "إيبي" يا أعز الناس إليّ يا "إيبي" .. دعني أنظر إليك .. ابتعد .. هكذا. لقد كبرت وصرت أكثر رجولة. كم أنا مبتهج لاني أضحك مرة أخرى، و"رينسنب" يابنتي العزيزة، عدت

مرة أخرى إلى البيت، "ساتيبي" و"كيت" إنكما لا تقلان معزة لدي عن ابنتي..
و"هينيت"... "هينيت" الوفية، وكانت "هينيت" راكعة وهي تحتضن ركبتيه،
وتتظاهر بمسح دموع الفرح من عينيها.

– أنا مسرور برؤيتك يا "هينيت"، هل أنت بخير وسعيدة؟ أنت متفانية كدأبك،
هذا شيء يسر القلب.. و"حوري" العزيز البارغ في حساباته وكتابته.. هل ازدهرت
كل الأمور؟ أنا واثق بهذا. ثم بعد أن انتهت التحيات وهدأت الهمهمات رفع
"أمحتوب" يده طالبا السكوت، وتكلم بصوت عال واضح:

– أبنائي الأعراف، ويا أصدقائي لدي خبر لكم، فمنذ أعوام عديدة كما تعلمون
جميعا كنت من قبل رجلا وحيدا، فإن زوجتي –والدتكم يا "ياهووس" و"سويك" –
، وزوجتي الثانية –والدتك يا "إيبي" – قد ذهبتا إلى "أوزوريس" منذ أعوام عديدة،
ولذلك فإني أتيت لكما يا "ساتيبي" و"كيت" بأخت جديدة تشارككن البيت.
انظروا ها هي محظيتي "نوفريت" التي ستحبونها إكراما لحاطري. لقد جاءت معي
من "مفيس" في الشمال وستمكث هنا معكم عندما أعاود السفر. وبينما هو
يتكلم مد يده وشد امرأة إلى الامام، فوقفت بجانبه رافعة الرأس صغيرة جميلة
ومزهوة. وفكرت "رينسنب" –وقد صدمتها المفاجأة–: «ولكنها صغيرة جداً– ربما
أصغر مني سنا». ووقفت "نوفريت" ساكنة، وعلى شفيتها ابتسامة واهنة، ابتسامة
فيها تهكم أكثر من أن تكون فيها رغبة في إعجابهم. وكانت حواجبها طويلة
سوداء ورموشها طويلة وسميكة لدرجة أن المرء لا يكاد يرى عينيها، وبشرتها برنزية
زاهية. ووقفت الأسرة وقد أخذتها المفاجأة تحديق في سكون كالبكم، وقال
"أمحتوب" وفي صوته نبرة استياء خفيفة:

– هيا يا أولادي رحبوا بـ"نوفريت" الا تعرفون كيف ترحبون بمحظية أبيكم
عندما يأتي بها إلى منزله؟ وحيوها بتلعثم وارتباك. وتظاهر "أمحتوب" بالبهجة التي
ربما تخفي بعض عدم الارتياح وهتف بسرور:

– هذا أفضل. "نوفريت" ستأخذك "ساتيبي" و"كيت" و"رينسنب" إلى جناح
النساء. أين الحقائق هل أنزلت الحقائق إلى الشاطئ؟ وكانت الحقائق المستديرة
تنقل في هذا الوقت من المركب وقال "أمحتوب" لـ"نوفريت":

– إن جواهرك وثيابك قد وصلت بسلام، اذهبي ورتبها. وحين ابتعدت النساء

التفت إلى أبنائه . وقال :

- كيف حال الضيعة؟ هل كل شيء على ما يرام؟ وبدأ "ياموس" يقول :

- الحقول الجنوبية التي أجرناها لـ "نكيت" ولكن والده قاطعه قائلاً :

- لا داعي إلى التفاصيل الآن يا "ياموس" ، الليلة -ليلة سرور- وغدا أنت وأنا

و"حوري" سنتكلم في الأعمال . تعال هنا يا "إيبي" يا ولدي دعنا نتمض نحو البيت .

كم طالت قامتك ! إنك أطول مني . ومشى "سوبك" عابسا وراء أبيه و"إيبي" ،

وهمس في أذن "ياموس" :

- جواهر وثياب هل سمعت هذا؟ فيهما ذهبت المكاسب من الضيعة الشمالية .

مكاسبنا نحن . وهمس "ياموس" :

- صه سيسمك أبي . وفي المنزل جاءت "هينيت" إلى غرفة "أمحتوب" لتجهز له

الحمام ، وكانت الابتسامة تملأ وجهها ، وتخلى "أمحتوب" عن تظاهره بالمرح وقال :

- حسنا يا "هينيت" ما رأيك فيمن اخترتها؟ ولو أنه كان قد صمم على فرض

رأيه بالقوة فإنه كان يعرف جيدا أن مجيء "نوفريت" سيثير زوبعة -على الأقل في

جناح النساء بالمنزل -ولكن "هينيت" كانت مختلفة ، فهي مخلوقة مخلصة

ومتفانية للغاية ، ولم تخيب أمله فيها وقالت :

- إنها جميلة ، جميلة تماما . . يا لجمال شعرها وقوامها ! إنها جديدة بك

يا "أمحتوب" . وما بوسعي أن أقول أكثر من هذا؟ إن زوجتك العزيزة التي ماتت

ستكون سعيدة؛ لأنك اخترت مثل هذه الرفيقة لتسعد أيامك .

- هل تعتقدين هذا يا "هينيت"؟

- إنني واثقة بهذا يا "أمحتوب" ، وبعد أن حزننت عليها كل هذه السنين آن الأوان

لتستمتع مرة أخرى بالحياة .

- إنك كنت تعرفينها جيدا . . وأنا أيضا شعرت بأنه قد حان الأوان لأعيش كما

يجب أن يعيش الرجل -إيه ! إن زوجات أبنائي وابنتي- ربما سيشعرن ببعض

الاستياء من هذا؟ وقالت "هينيت" :

- من الأفضل لهن ألا يحدث هذا ، ألا يعتمدون جميعا عليك في هذا المنزل؟

وقال "أمحتوب" :

- هذا حق ، هذا حق .

- إنك تطعمهم وتكسوهم من خيراتك، ورفاهيتهم من ثمار جهودك وحدك.
- نعم هذا صحيح.. وتنهذ "أمحتوب" وقال:
- إنني دائما أعمل من أجلهم وفي بعض الأحيان أتساءل عما إذا كانوا يدركون كل ما أدينهم به.

- يجب أن تذكرهم بذلك... وهزت "هينيت" رأسها وتابعت حديثها:
- أنا خادمتك المخلصة "هينيت"، لا أنسى أبدا ما أنا مدينة به لك، ولكن الأولاد في بعض الأحيان يكونون انانيين ولا يفكرون، وربما يظنون أنهم هم المهمون ولا يدركون أنهم فقط ينفذون تعليماتك التي أصدرتها. وقال "أمحتوب":
- هذا صحيح، لقد قلت دائما إنك مخلوقة ذكية يا "هينيت". وتنهدت "هينيت":

- لو كان الآخرون يفكرون هكذا.

- ما معنى هذا؟ هل كان أحد منهم قاسيا معك؟
- لا.. لا - أعني أنهم لا يعنون هذا - إنهم ينتظرون كأمر طبيعي أن أعمل دون انقطاع، وأنا سعيدة بأن أعمل كذلك، ولكن كلمة طيبة وبعض التقدير تجعلان الأمور مختلفة تماما. وقال "أمحتوب":

- ستجديهما دائما عندي، وتذكري دائما إن هذا هو بيتك.

- إنك كريم جداً يا سيدي... وسكتت برهة ثم أضافت:

- إن العبيد موجودون في الحمام وقد جهزوا الماء الساخن، وبعد أن تستحم وتلبس تريد منك والدتك أن تذهب إليها.

- آه والدتي؟ نعم - نعم بالطبع.. وبدا على "أمحتوب" فجأة الارتباك وأخفاه بأن قال بسرعة:

- بالطبع، لقد كنت أنوي أن... أخبري "أسا" باني سأتي.

- 2 -

جلست "أسا" مرتدية ثوبها اللينون ذا الشنيات، وحدثت إلى ابنها ببعض التهكم وقالت:

- مرحبا يا "أمحتوب" وهكذا فقد عدت إلينا، وكما سمعت لم تعد وحيدا.

وشد "أمحتوب" قامته وقال ببعض الخجل :

- آه وهكذا فقد سمعت ؟

- بالطبع. إن المنزل يعج بالخبر ويقال إن الفتاة جميلة وصغيرة جداً.

- إنها في التاسعة عشرة من عمرها، ليست قبيحة. وضحكت "أسا" ضحكة

عجوز حقود. وقالت :

- آه حسنا لا يوجد مغفل مثل مغفل عجوز.

- يا أمي العزيزة إنني لا أفهم ما تعنين. وقالت "أسا" بهدوء :

- إنك كنت دائما مغفلا يا "أمحتوب". وشد "أمحتوب" قامته وبدأ يتكلم

بتلثم وبغضب، فمع أنه في العادة كان يشعر بأهميته، فإن أمه كانت دائما تشعره

بتفاهته، ويحس في حضورها بأنه يتضاءل، ومع أنه كان يعرف أن تقديره لنفسه هو

التقدير الصحيح، وأن تقدير والدته هو نظرة سخيفة لا قيمة لها من أم، فإن موقفها

على الرغم من ذلك كان يزعزع ثقته بنفسه وسعادته بأهميته. وقال :

- هل من غير المألوف لرجل أن يحضر محظية إلى بيته؟

- ليس غريبا فالرجال في العادة مغفلون.

- أنا لا أرى أية غفلة في هذا.

- هل تتصور أن وجود الفتاة سيسبب انسجاما بين أفراد المنزل؟ إن "ساتيبي"

و"كيت" ستثوران وتثيران غضب زوجيهما.

- وما شأنهم بذلك؟ ما حقهم في الاعتراض؟

- لا حق لهم!؟ وبدأ "أمحتوب" يذرع الغرفة ذهابا وإيابا قائلا :

- ألا أستطيع أن أفعل ما أشاء في بيتي؟ ألا أنفق على أبنائي وزوجاتهم؟ ألا

يدينوا لي بكل شيء حتى بالخيز الذي يأكلونه؟ ألا أقول لهم هذا باستمرار؟

- إنك تحب أن تردد هذا أكثر من اللازم يا "أمحتوب".

- إنها الحقيقة. إنهم جميعا يعتمدون علي... جميعا!

- وهل أنت متأكد أن هذا شيء طيب؟

- هل تقولين إنه ليس شيئا طيبا أن ينفق الرجل على عائلته؟ وتنهدت "أسا"

وقالت :

- إنهم يعملون من أجلك. تذكر.

– وهل تريد أن أشجعهم على الكسل؟ بالطبع هم يعملون .
– إنهم قد أصبحوا رجالا – على الأقل "ياموس" و"سويك" – لقد كبرا .
– إن "سويك" ليس حكيما، وكل ما يفعله خطأ، وإلى جانب هذا فهو قبيح جداً، وأنا لا أقبل هذا، أما "ياموس" فولد طيب مطيع .
– إنه أكبر من أن يكون ولدأ .

– ولكنني في بعض الأحيان أضطر إلى أن أكرر عليه الأمور مرتين أو ثلاثة حتى يفهم . إن عليّ أن أفكر في كل شيء وأن أكون في كل مكان وفي كل الأوقات التي أكون بعيدا فيها أمني للكتابة تعليمات مفصلة، حتى يستطيع أولادي تنفيذها .. إنني لا أكاد أرتاح، إنني لا أكاد أنام! والآن عندما أعود إلى البيت وقد أصبح من حقي أن أنال بعض الراحة أواجه متاعب جديدة! حتى أنت يا أمي تنكرين عليّ حقي في أن تكون لديّ محظية مثل باقي الرجال . أنت غاضبة . وقاطعته "أسا" :

– أنا لست غاضبة . إنني أتسلى، فستكون هناك مباريات لطيفة يتفرج عليها المرء في هذا البيت، ولكنني مع كلّ أقول إنه عندما تذهب إلى الشمال مرة أخرى فمن الأفضل أن تأخذ الفتاة معك .

– إن مكانها هنا في بيتي! وويل لمن يجرؤ على إساءة معاملتها .
– ليست المسألة إساءة معاملة، ولكن تذكر أنه من السهل إشعال الحريق في الخشب الجاف ويقال عن النساء "إن المكان الذي يكنّ فيه ليس مكانا طيبا" .
وصممت برهة ثم قالت ببطء :

– إن "نوفريت" جميلة ولكن تذكر هذا القول "إن الرجال يُستغفلون بالقوام البراق الجميل للنساء ولكن انظر – في دقيقة يصبح كالعقيق الذي فقد لونه" ..
وازداد عمق صوتها وهي تكمل القول :
– شيء بسيط، وقيل مثل الحلم، ويأتي الموت كنهاية المطاف .

الفصل الرابع

استمع "أمحتوب" لايضاحات "سويك" عن بيع الخشب في صمت ينذر بالسوء، وكان وجهه قد احمر جداً وراحت نبضة صغيرة في جبينه تدق بسرعة. وبدأ "سويك" يفقد مظهر اللامبالاة، وكان قد قرر أن يترك الأمر يمر كأنه شيء هين، ولكنه أمام وجه أبيه الذي يزداد عبوساً وجد نفسه يتلعثم ويتردد. وأخيراً قاطعه "أمحتوب" بصبر نافذ:

– نعم. نعم. نعم، لقد اعتقدت أنك تعرف أكثر مني، لقد خالفت تعليماتي، هذا هو الشيء نفسه دائماً، ما لم أكن هنا لأشرف على كل شيء، وتنهى ثم قال:
– لا يمكن أن أتصور ما سيجري لكم يا أولاد دوني! ومضى "سويك" يقول بعناد:

– كانت هناك فرصة لتحقيق ربح أكبر، ولقد غامرت. إن المرء لا يمكن أن يكون دائماً حريصاً وشحيحاً. إنك لا تتصف بشيء من الحرص يا "سويك" إنك دائماً متهور ومندفع أكثر من اللازم وتقديرك دائماً خاطئ.
– وهل تتاح لي أبداً فرصة ممارسة تقديري؟ وقال "أمحتوب" بجفاء:
– لقد فعلت هذا في هذه المرة مخالفاً أوامري المحددة.
– أوامر؟ وهل عليّ أن أتقبل دائماً الأوامر؟ لقد أصبحت رجلاً بالغاً. وفقد "أمحتوب" أعصابه وصاح:

– من يطعمك ويكسوك؟ من يفكر في المستقبل؟ من لا تغيب عن ذهنه مصلحتك.. بل مصلحتكم جميعاً؟ وعندما انخفضت مياه النهر وكنا مهددين بالجماعة ألم أدير إرسال طعام لكم من الشمال؟ إنكم سعداء الحظ لأن لكم أبا مثلي، يفكر في كل شيء، وما الذي أطلبه مقابل هذا؟ فقط أن تعملوا بجد وبأقصى ما في وسعكم وتطيعوا التعليمات التي أرسلها إليكم. وهتف "سويك":
– نعم علينا أن نعمل من أجلك كالعبيد، لكي تستطيع أن تشتري جواهر وذخاير لحظيتك؟ وتقدم "أمحتوب" وهو مليء بالغضب:
– أيها الولد الوقح، أتتكلم مع أبيك بهذه الطريقة؟! احذر وإلا سأقول إن هذا لم يعد بيتك، وإن عليك أن تذهب إلى مكان آخر.

- إذا لم تأخذ أنت حذرِك فإنني سأرحل.. إن لديّ أفكارا، كما أقول لك، أفكارا طيبة، تجلب الثروة لو لم أكن مقيدا بالحرص الحقيق ولا يسمح لي بأن أعمل ما أريد .
- هل فرغت من الكلام؟ وكانت نبرات "أمحتوب" تنذر بالسوء، وغمغم "سويك" بغضب وقد هبط حماسه قليلا:

- نعم. نعم، ليس لديّ ما أقوله أكثر من هذا الآن.

- إذن اذهب واعتن بالماشية، فليس هذا وقت اللهو، واستدار "سويك" ومشى بسرعة غاضبا وكانت "نوفريت" واقفة قريبا، وعندما مربجانبها أدارت وجهها إلى جانب وضحكت، وعندما سمع ضحكها صعد الدم إلى وجه "سويك" ومشى نحوها خطوة، ووقفت ساكنة تماما وهي ما زالت تنظر إليه بازدراء بعينيها نصف المغمضتين. وتمتم "سويك" بشيء بين أسنانه، ثم مضى في اتجاهه الأصلي، وضحكت "نوفريت" مرة أخرى ثم مضت ببطء إلى حيث كان "أمحتوب" يوجه انتباهه لـ"ياموس". قال "أمحتوب":

- ماذا دهاك؟ لم تركت "سويك" يتصرف بهذه الطريقة الهوجاء؟ كان يجب أن تمنع هذا؟ إنه يعتقد أن كل شيء سيصير مثلما يريد. وقال "ياموس" معتذرا:
- إنك لا تدرك الصعاب التي أواجهها يا أبى. إنك قلت لي أن أعهد إلى "سويك" ببيع الخشب، ولذلك كان من الضروري أن أترك له حرية الرأى والتصرف.
- وأي تصرف؟ إنه لا رأي ولا تمييز لديه إن عليه أن ينفذ تعليماتي، وعليك أنت أن تتأكد أنه يفعل هذا. واحمر وجه "ياموس":

- أنا؟ وما سلطتي أنا؟

- أي سلطة؟ السلطة التي أعطيها لك؟

- ولكن ليس لي مركز حقيقي فلو أنني كنت شريكا لك قانونا.. ولم يتابع حديثه؛ لأن "نوفريت" وصلت وكانت تتشأب وتلعب بوردة حمراء في يدها وقالت:

- أئن تأتي إلى الكوخ الصغير بجانب البحيرة يا "أمحتوب"؟ إن الجو هناك رطب وهناك فاكهة وشراب في انتظارك. إنك بالتأكيد فرغت من إصدار أوامرك.

- بعد دقيقة يا "نوفريت"، بعد دقيقة. وقالت "نوفريت" بصوت رقيق عميق:

- تعال الآن، أريدك أن تأتي الآن.. وبدا على "أمحتوب" السرور وقليل من

الحجل، وقال "ياموس" بسرعة قبل أن يتكلم أبوه:

- لنتكلم في هذا أولاً، إنه شيء مهم وأنا أريد أن أطلب منك ... ووجهت "نوفريت" حديثها إلى "أمحتوب" مباشرة وقد أولت "ياموس" ظهرها:
- ألا تستطيع أن تفعل ما تريده في بيتك؟ وقال "أمحتوب" بحدة لـ "ياموس":
- في وقت آخر يا ولدي، في وقت آخر. وذهب مع "نوفريت" ووقف "ياموس" ينظر إليهما من الشرفة، وخرجت "ساتيبي" من المنزل ولحقت به، وسالت باهتمام:
- حسنا هل تكلمت معه؟ ماذا قال؟ وتهد "ياموس" وقال:
- لا تكوني عجولة يا "ساتيبي"، لم يكن الوقت مناسباً. وهتفت "ساتيبي" بغضب:

- آه نعم، هذا ما تقوله أنت! هذا ما تقوله دائماً، والحقيقة هي أنك خائف من أبيك، أنت جبان مثل الخروف.. أنت تكلمه بخوف، إنك لا تقف في مواجهته مثل الرجال! ألا تتذكر ما وعدتني به؟ أنا أقول لك إنني أكثر منك رجولة! أنت تعد وتقول "ساطلب من أبي.. في الحال.. في أول يوم" ثم لا يحدث شيء. وتوقفت "ساتيبي"؛ لتأخذ نفسها وليس لأنها فرغت من الكلام، ولكن "ياموس" قاطعها بلطف:

- أنت مخطئة يا "ساتيبي"، لقد بدأت أتكلم، ولكننا قوطعنا..

- من قاطعك؟

- "نوفريت".

- "نوفريت"! هذه المرأة أما كان يحق لأبيك ألا يسمح لمخيطته بمقاطعته عندما يتكلم مع ابنه الأكبر في الأعمال. إن النساء لا يجب أن يقحمن أنفسهن في الأعمال. وكان "ياموس" في الغالب يتمنى لو أن "ساتيبي" اتبعت هذا المبدأ الذي كانت تتكلم عنه، ولكن لم تتح له فرصة الكلام فمضت زوجته تقول:
 - يجب على أبيك أن يفهمها هذا في الحال. وقال "ياموس" بجفاء:
 - لم تبد على أبي أية علامة امتعاض. وقالت "ساتيبي":
 - إن هذا أمر مخجل. إنها سحرت أباك تماماً. إنه يتركها تقول وتفعل ما تشاء.
- وقال "ياموس" مفكراً:
- إنها جميلة جداً. وتهكمت "ساتيبي":

– آه إن لها بعض الجمال، ولكن ليس لديها شيء من آداب السلوك، ولا أية تربية! وهي لا يهتما إلى أي درجة هي وقحة معنا كلنا.

– ربما لأنك لست مؤدبة معها.

– أنا كلي أدب، وأعاملها بكل ذوق، آه لن تجد ما تشكو منه لابيك، فكيف نستطيع نحن أن ننتظر حتى يحين الوقت المناسب لنا. ونظر إليها "ياموس" بحدة وقال:

– ماذا تعنين بوقتكم المناسب؟ وضحكت "ساتيبي" ضحكة لها مغزى وهي تبتعد:

– ما أعنيه هو معنى نسائي لن تفهمه. إن لنا طرقنا الخاصة، أسلحتنا! إن "نوفريت" تحسن صنعا إذا هي حدثت من وقاحتها، فما حياة المرأة في الواقع؟ إن حياتها تمضيها في الجزء الخلفي من المنزل بين النساء الأخريات. وكان هناك معنى معين في لهجة "ساتيبي" وأضافت:

– لن يكون أبوك هنا دائما، سيرحل مرة أخرى إلى أراضييه في الشمال، وعندئذ سنرى.

– "ساتيبي" ... وضحكت "ساتيبي" ضحكة عالية قاسية – ورجعت ثانية إلى المنزل.

-2-

كان الأطفال يجرون ويلعبون بجانب البحيرة: أبناء "ياموس" ولدان وسيمان يشبهان "ساتيبي" أكثر من أبيهم، ثم أولاد "سويك" الثلاثة، وأصغرهم طفل صغير جداً ثم "تيتي" طفلة جميلة عمرها أربع سنوات. كانوا يضحكون ويتصايحون ويقذفون الكرات، وبين حين وآخر كانوا يتشاحنون وينبعث عنهم صراخ صبياني حاد. وهمس "أمحتوب" وهو جالس يحتسي شراباً و"نوفريت" بجانبه:

– كم يحب الأولاد اللعب بجوار الماء. إن هذا كان رأيهم دائما كما أتذكر، ولكن وحق "هاتور" ما أكثر الصخب الذي يثرونه. وقالت "نوفريت" بسرعة:

– نعم وكم من الممكن أن يكون المكان هادئا.. لماذا لا تقول لهم أن يبتعدوا

عندما تكون هنا؟ فعلى أي حال عندما يحتاج سيد المنزل إلى الراحة يجب أن تحترم رغبته. ألا توافقني؟

- أنا.. حسنا. وتردد "أمحتوب" فقد كانت هذه فكرة جديدة عليه ولكنها سرته، ثم أكمل حديثه قائلا بشك:

- إنهم في الحقيقة لا يضايقونني، وأضاف بضعف:

- إنهم معتادون للعب هنا دائما كيفما يشاءون. وقالت "نوفريت" بسرعة:

- عندما تكون بعيدا عن هنا، نعم لا مانع، ولكنني أعتقد يا "أمحتوب" إنه نظرا لكل ما عمله من أجل عائلتك يجب عليهم أن يظهروا شعورا أكثر بأهميتك وكرامتك. إنك لطيف ومتساهل أكثر من اللازم، وتنهذ "أمحتوب" بوداعة وقال:

- إن هذه كانت غلطتي دائما فانا لا أهتم أبدا بالشكليات.

- ولذلك أرى هؤلاء النسوة زوجات أبنائك يستغلن طبيبتك. يجب أن يفهمن أنك عندما تجيء هنا لتستريح يجب أن يكون هنا سكون، وراحة. انظر ساذهب وأقول لـ "كيت" أن تأخذ أولادها والأولاد الآخرين بعيدا، وبعد ذلك سيتسنى لك الراحة ورخاء البال هنا.

- إنك تعنين بي يا "نوفريت" نعم أنت فتاة طيبة. إنك تفكرين دائما في راحتي، وغمغمت "نوفريت":

- إن سعادتي من سعادتك ونهضت وذهبت حيث كانت "كيت" راكعة بجوار المياه تلعب بنموذج صغير لمركب، وكان ابنها الثاني وهو ولد يبدو عليه أنها دلتته، يحاول أن يسيره على الماء. قالت "نوفريت" بجفاء:

- هلا أخذت الاطفال بعيدا يا "كيت"؟ وحدجتها "كيت" دون أن تفهم وقالت:

- بعيدا؟ ماذا تعنين؟ إنهم يلعبون هنا دائما.

- ليس اليوم فإن "أمحتوب" يريد الهدوء وأولادك هؤلاء يشيرون جلبة. واحمر وجه "كيت" العريض وقالت:

- هذبي طريقة كلامك يا "نوفريت" إن "أمحتوب" يحب أن يرى أحفاده يلعبون هنا، ولقد قال هذا من قبل. قالت "نوفريت":

- ليس اليوم فلقد بعثني لاقول لك أن تأخذي كل هذه العصبة الصاخبة إلى

المنزل ليستطيع أن يجلس في هدوء معي .

- معك؟ وتوقفت "كيت" فجأة عن متابعة حديثها، ثم نهضت ومضت إلى حيث كان "أمحتوب" نصف جالس ونصف راقد، وتبعته "نوفريت" .. وتكلمت "كيت" دون موارد:

- إن محظيتك تقول إن عليّ أن آخذ الأولاد بعيدا عن هنا؟ لماذا؟ ما الخطأ الذي يفعلونه؟ لاي سبب يجب أن ينفوا؟! وقالت "نوفريت" بركة:

- كنت أظن أن رغبة سيد المنزل كافية . وقال "أمحتوب" مشاكسا:

- بالضبط .. بالضبط لماذا أبدي أسبابا؟ منزل من هذا؟

- اعتقد أنها هي التي تريد إبعادهم، واستدارت "كيت" ونظرت إلى "نوفريت" من رأسها إلى قدميها، وقال "أمحتوب":

- إن "نوفريت" تفكر في راحتي وسروري، والتي لا يهتم بها أي شخص آخر في هذا المنزل، ربما باستثناء "هينيت" المسكينة.

- وهكذا فإن الأطفال لن يسمح لهم باللعب هنا بعد ذلك؟

- ليس عندما آتي هنا للراحة . وانفجر غضب "كيت" فجأة فقالت:

- لماذا تدع هذه المرأة تشريك على أهلك؟ لماذا تأتي هنا وتتدخل في أساليب حياتنا؟ في الأمور التي كانت تجري دائما وفجأة بدأ "أمحتوب" يصيح، وقد شعر بأن عليه أن يبرئ نفسه:

- أنا الذي أقول ما يعمل به هنا، وليس أنت! إنكم كلكم متفقون على عمل ما

تريدون وعلى ترتيب الأمور كيفما تشاءون، وعندما أعود أنا سيد المنزل، لا تهتمون

كما يليق برغباتي، ولكني وأنا السيد هنا، دعوني أقول لكم هذا، أنا دائب العمل

والتخطيط من أجلكم ومن أجل رفاهيتكم، ولكن هل تمتنون لي وهل تحترم

رغباتي؟ كلا . أولا يتكلم "سوبك" بوقاحة وقلة احترام، والآن أنت يا "كيت"

تحاولين أن تتسلطي عليّ، لماذا أنفق عليكم جميعا؟ احذري وإلا كفتت عن الإنفاق

عليكم؟ إن "سوبك" يتحدث عن الرحيل .. إذن دعيه يرحل ويأخذك أنت والأولاد

معه . ولبرهة وقفت "كيت" ساكنة تماما . ولم يظهر أي تعبير على وجهها، ثم قالت

في صوت لا أثر لاي شعور فيه:

- سأخذ الأطفال إلى داخل المنزل . وخطت خطوة أو خطوتين وتوقفت بجانب

"نوفريت" وقالت لها بصوت منخفض:
- إن هذا نتيجة عملك يا "نوفريت". لن أنسى. كلا لن أنسى.

الفصل الخامس

تنفس "أمحتوب" بارتياح عندما انتهى من واجباته الرسمية ككاهن للقبر. لقد أدى الطقوس بكل تفاصيلها الدقيقة؛ لأن "أمحتوب" كان رجلاً ذا ضمير من جميع النواحي، لقد سكب القرايين من الشراب وأحرق البخور وقدم الطعام والشراب كما تقتضيه العادات. والآن في ظلال الغرفة الحجرية القريبة بجوها الرطب حيث كان "حوري" ينتظره، أصبح "أمحتوب" مرة أخرى رجل الأعمال وصاحب الأرض. وجلس الرجلان معا يتناقشان في الأعمال والأسعار والمكاسب العائدة من المحاصيل والماشية والخشب. وبعد نحو نصف ساعة أو ما "أمحتوب" برضاء وقال:

- إنك بارع في الأعمال يا "حوري". وابتسم الآخر وقال:

- يجب أن أكون كذلك يا "أمحتوب"، فانا رجل أعمالك منذ عدة سنوات.

- وأنت مخلص جداً، والآن هناك أمر أريد أن أناقشك فيه. إنه يخص "إيبي" فهو يشكو من أن مركزه صغير.

- إنه مازال صغيراً جداً.

- ولكنه أبدى مقدرة كبيرة وهو يشعر بأن أخويه يظلمانه، فيبدو أن "سوبك" متغطرس وقاس وأن "ياموس" بحرصه المستمر وإجحافه يشيره. إن "إيبي" له شخصية وهو لا يحب أن يتلقى الأوامر، وعلاوة على ذلك فهو يقول إنني أنا فقط والده، الذي لي الحق في إصدار الأوامر. وقال "حوري":

- هذا صحيح، ولقد لاحظت يا "أمحتوب" أن هذه نقطة ضعف في إدارة الضيعة. هل تسمح لي بالكلام بحرية؟

- بالطبع يا عزيزي "حوري". إن كلامك دائماً ذو روية وحكمة.

- إذن إنني أقول هذا، في غيابك يا "أمحتوب" يجب أن يوجد شخص هنا له سلطة حقيقية.

- أنا أوكل أعمالك لك ولـ"ياموس".

– أعرف أننا نعمل بالنياحة عنك في غيابك، ولكن هذا ليس كافيا. لماذا لا تعين أحد أبنائك كشریک بوثيقة قانونية؟ وذرع "أمحتوب" الغرفة ذهابا وإيابا وهو عابس، ثم قال:

– من أولادي ترشحه؟ إن "سوبك" له طريقة توحى بالسلطة، ولكنه يخالف أوامري، ولا يمكن أن أثق به. إن طباعه ليست طيبة.

– كنت أفكر في "ياموس" فإنه أكبر أولادك وله طباع هادئة ورقيقة وودودة وهو شديد الإخلاص لك.

– نعم إن طباعه طيبة، ولكن تنقصه الجرأة، وهو مسالم لدرجة كبيرة، ويتساهل مع الجميع.. ولو كان "إبيبي" فقط أكبر قليلا.. وقال "حوري" بسرعة:

– إن من الخطر أن تعطي السلطة لشاب صغير جداً.

– تماما، تماما.. حسنا يا "حوري" سأفكر فيما قلته لي فـ "ياموس" بالتأكيد ابن بار.. ابن مطيع. وقال "حوري" بلطف ولكن بإصرار:

– ستكون على ما أظن حكيما إذا فعلت ذلك. ونظر إليه "أمحتوب" بفضول:

– ماذا يدور في رأسك يا "حوري"؟ وقال "حوري" ببطء:

– لقد قلت الآن إنه من الخطر أن نعطي السلطة لشاب صغير جداً، ولكنه أيضا من الخطر إعطاءها للرجل بعد فوات الأوان.

– هل تعني أنه سيكون قد تعود إطاعة الأوامر وليس إصدارها؟ حسنا ربما كنت على حق في هذا. وتنهى "أمحتوب" وأضاف:

– إنه لعمل صعب أن تحكم عائلة والنساء بالأخص من الصعب حكمهن. "ساتيبي" لا تتحكم في أعصابها، و"كيت" في أغلب الأحيان عابسة ولكنني أوضحت لهن أنه يجب معاملة "نوفريت" بطريقة لائقة، وأعتقد أنني يجب أن أقول إن.. وتوقف عن الحديث فإن عبدا كان يأتي مسرعا صاعدا الطريق الضيق.

– ما هذا؟

– سيدي، وصل مركب وعليه كاتب يدعى "كاماني" جاء برسالة من "مفيس". ونهض "أمحتوب" صاخبا وهتف قائلا:

– متاعب أخرى، أكيد كما يسري "رع" في السماوات. إن هذا يعني متاعب أخرى! ما لم أكن موجودا لأرى الأمور يسير كل شيء معوجا. ومضى وهو يندق

الطريق وجلس "حوري" ساكنا ينظر إليه وكان القلق باديا على وجه "حوري".

-2-

كانت "رينسنب" تتجول دون هدف على شاطئ النيل. عندما سمعت الصباح والضجيج، ورأت أشخاصا يهرعون نحو المرسى. فأسرعت وانضمت إليهم، وكان هناك شاب واقفا في القارب الذي كان يقترب من الشاطئ، وحينما رآته في ضوء النهار الباهر أسرعت نبضات قلبها وراودتها فكرة مجنونة غير معقولة. خيل إليها أنه "فاي". "فاي" وقد رجع من العالم الآخر ثم ضحكت من نفسها لهذه الفكرة الخرافية، لقد تصورت هذا اللامعقول لأنها كانت تتذكر "فاي" دائما وهو مبحر على النيل وهذا الشاب كان له قوام "فاي"، وكان هذا الرجل أصغر من "فاي" وكان له وجه ضاحك بهيج وقوام ممشوق رشيق. وأخبرهم بأنه أتى من ممتلكات "أمحتوب" في الشمال وبأنه كاتب يدعى "كاماني" وأرسل عبدا لإخبار أبيها، وأخذوا "كاماني" إلى المنزل حيث قدموا له طعاما وشرابا وبعد قليل حضر والدها وتكلموا كثيرا وتشاوروا. وتسرب مضمون هذا الحديث كالمعتاد إلى جناح النساء عن طريق "هينيت" جالبة الأنباء، وكانت "رينسنب" تتساءل أحيانا بدهشة كيف أن "هينيت" تستطيع دائما أن تعرف كل ما يجري. كان "كاماني" كما قال، كاتباً شاباً في خدمة "أمحتوب" وابن قريب له، وقد اكتشف "كاماني" بعض التدابير استعداداً للاختلاسات، وتزويراً في الحسابات، وبما أن الأمر كانت له عدة شعب، وكان يمس نظار الزراعة فقد فكر في أنه من الأفضل أن يأتي شخصياً إلى الجنوب ليقدم تقريره. لم تهتم "رينسنب" كثيراً بالأمر، فكرت في أنها براءة من "كاماني" أن يكتشف كل هذا وأن أباه سييسر منه. وكانت النتيجة المباشرة للأمر هي أن "أمحتوب" استعد للرحيل، ولم يكن في نيته أن يترك منزله قبل شهرين آخرين ولكنه رأى إذ ذاك أن من الأفضل له أن يعود سريعاً إلى الشمال، واستدعى جميع أهل البيت وأصدر لهم أوامر وتعليمات لا حصر لها. يجب عمل هذا وذلك، لا يحق لـ "ياموس" بأي حال أن يفعل هذا الأمر. على "سوبك" أن يتصرف بحذر في أي أمر آخر، وفكرت "رينسنب": "إن الأمر مألوف جداً". كان "ياموس" منتبهاً و"سوبك" عابسا و"حوري" كالمعتاد كان هادئاً وكفئاً، ووضعت مطالب "إيبي"

على الرف بحدة أكثر من المعتاد .

– إنك أصغر من أن يكون لك نفقة خاصة . أطح "ياموس" فإنه يعرف رغباتي وأوامري . ووضع "أمحتوب" يدا على كتف ابنه الأكبر وأضاف :

– إنني أثق بك يا "ياموس" وعند عودتي سنتكلم مرة أخرى في أمر الشركة . واحمر وجه "ياموس" سرورا وشد قامته أكثر ومضى "أمحتوب" يقول :

– احرص فقط على حسن سير كل شيء في غيابي . احرص على أن تعامل محظيتي معاملة حسنة وبالاحترام وبالإكرام الواجبين . إنها في عهدتك وعليك أن تتغلب على سلوك نساء الدار . اهتم بأن تكبح "ساتيسي" لسانها، ويأن يعطي "سويك" تعليمات مماثلة لـ "كيت" ، وعلى "رينسنب" أيضا أن تصرف دائما نحو "نوفريت" بآداب، ثم إنني لن أسمح بأية قسوة على "هينيت" الطيبة، وأنا أعرف أن النساء يجدنها في بعض الأحيان متعبة . لقد مضى عليها زمن طويل في هذا المنزل وتعتقد أن من حقها أن تقول كثيرا من الأشياء وقد يكون في بعض الأحيان غير الفطنة ولكنها مخلصه، تذكر هذا، وكانت دائما متفانية في مصالحني ولن أسمح بإساءة معاملتها ولا باحتقارها . وقال "ياموس" :

– سيتم كل شيء كما تقول، ولكن "هينيت" في بعض الأحيان تشير المتاعب بلسانها .

– هه! هراء كل النساء يفعلن هذا، ولا تفعل "هينيت" أكثر من غيرها، وفيما يختص بـ "كاماني" سيظل هنا . إننا نستطيع أن نستخدم كاتباً آخر ويوسعه أن يساعد "حوري" ، أما بخصوص الأرض التي أجرناها للمرأة "ياي" .. ومضى "أمحتوب" في التفاصيل الدقيقة . وأخيراً حينما جهز كل شيء للسفر شعر "أمحتوب" ببعض وخز الضمير وأخذ "نوفريت" جانبا وقال لها متشككا :

– "نوفريت" هل أنت راضية بالبقاء هنا؟ ألا يكون من الأفضل أن تأتي معي؟ وهزت "نوفريت" رأسها وابتسمت ثم قالت :

– إنك لن تغيب طويلا .

– ثلاثة شهور، ربما أربعة . من يدري؟

– أتري لن يطول الأمر، سأكون راضية هنا . وقال "أمحتوب" :

– لقد أمرت "ياموس" وكل ابنائي . يجب أن تعاملني بكل اعتبار، وويل لهم إذا

كان هناك ما تشكين منه .

- أنا واثقة يا "أمحتوب" بأنهم سيفعلون ما قلتهم لهم . وتوقفت "نوفريت" ثم قالت :

- من الذي أستطيع أن أثق به ثقة تامة هنا؟ شخص يكون متفانيا لمصلحتك؟ ولا أعني فردا من أسرتك .

- "حوري" .. "حوري" الطيب . إنه يدي اليمنى في كل شيء .. وهو رجل متزن ويحسن التمييز . وقالت "نوفريت" ببطء :

- هو و"ياموس" مثل الأخوة . ربما .

- هناك "كاماني" وهو أيضا كاتب وسأمره أن يكون في خدمتك ، وإذا كان لديك ما تشكين منه فسيكتب شكواك ويرسلها لي . وأومات "نوفريت" موافقة :

- هذه فكرة طيبة . إن "كاماني" من الشمال وهو يعرف أبي ولن يتأثر بالأسرة . وهتف "أمحتوب" :

- و"هينيت" . هناك "هينيت" . وقالت "نوفريت" مفكرة :

- نعم هناك "هينيت" ، لتكلمها الآن أمامي .

- خطة رائعة . واستدعت "هينيت" فجاءت متدللة كالعادة ، وكانت تبكي لرحيل "أمحتوب" وقاطعها "أمحتوب" بجفاء :

- نعم نعم يا عزيزتي "هينيت" ، ولكن هناك أمورا يجب أن تتم ، وأنا رجل لا يمكنه أن يتوقع فترة طويلة من الهدوء والراحة . يجب أن أكدرح دون توقف من أجل

عائلتي ، ولو أنهم قليلا ما يقدررون هذا في بعض الأحيان ، والآن أريد أن أكلمك جديا وأنا أعرف أنك مخلصة ومتفانية لي وأن بإمكانني أن أعهد لك بمهمة ثقة ،

حافظي علي "نوفريت" فإنها غالية جداً علي . وقالت "هينيت" بحرارة :

- إن كل ما هو غال عندك ، يا سيدي ، عزيز علي .

- حسنا جدا . إذن ستخلصين وتتفانين لمصلحة "نوفريت" . وتحولت "هينيت" نحو "نوفريت" التي كانت ترقبها من تحت أهدابها ، وقالت لها :

- إنك جميلة جداً يا "نوفريت" وهذا هو سبب المتاعب ؛ لهذا تغار منك الأخريات ، ولكنني سأعني بك ، وسأخبرك بكل ما يقلنه ويفعلنه . يمكنك الاعتماد علي . ومرت فترة سکون التقت فيها أعين المرأتين ، ورددت "هينيت" :

- يمكنك الاعتماد عليّ. وظهرت ابتسامة بطيئة وغريبة على شفتي "نوفريت"
وقالت:

- نعم أنا أفهمك يا "هينيت"، وأعتقد أنه يمكنني الاعتماد عليك. وتنحنح
"أمحتوب" بصوت مسموع ثم قال:

- إذن أعتقد أن كل شيء قد تم ترتيبه، نعم كل شيء. التنسيق كان دائما من
مواهبي. ورنث ضحكة جافة واستدار "أمحتوب" بحدة ليجد والدته واقفة على
عتبة الباب. كانت تتكئ على عصا وبدت منكشمة متنمرة. وقالت:

- ما أدهش ولدي؟ وغمغم "أمحتوب" وهو يحاول أن يبدو مهما:
- يجب ألا أتأخر هناك بعض التعليمات لـ "حوري"، وهرع من الغرفة وقد تمكن
من عدم الالتقاء بعيني والدته. وأومات "أسا" لـ "هينيت" أمره، وتسلت "هينيت"
مطبعة من الغرفة. وكانت "نوفريت" قد نهضت ووقفت هي و"أسا" تنظران
إحدهما إلى الأخرى. قالت "أسا":

- وهكذا سيتترك ابني خلفه؟ من الأفضل أن تذهبي معه يا "نوفريت".
- إنه يريد أن أبقى هنا. كان صوت "نوفريت" مخادعا ومطيعا، وأطلقت "أسا"
ضحكة ثم قالت:

- لن يكون هذا مهما لو أردت الذهاب، ولماذا لا تريد الذهاب؟ أنا لا أفهمك.
ما الذي يدعوك إلى البقاء هنا؟ أنت فتاة عاشت في المدن.. وربما سافرت.. لماذا
تختارين الحياة المملة الرتيبة هنا بين... أنا صريحة.. بين من لا يحبونك، بل من
يكرهونك في الواقع؟

- إذن فانت تكرهينني. وهزت "أسا" رأسها:
- أنا لا أكرهك. أنا عجوز ولو أنني لا أرى إلا قليلا إلا أنني ما زلت أستطيع أن
أرى الجمال وأقدره. أنت جميلة يا "نوفريت" وجمالك يسر عيني المستنين ومن
أجل جمالك أتمنى لك الخير أحذرك. ارحلي إلى الشمال مع ابني. ورددت
"نوفريت" مرة أخرى:

- إنه يريد أن أبقى هنا، وكانت اللهجة المطيعة مصطنعة إذ ذاك بالتهكم. قالت
"أسا" بحدة:

- إن لك هدفا لبقائك هنا وإنني أتساءل ما هو؟ حسنا جدا لتتحلمي بعبء أعمالك

ولكن كوني حذرة، تصرفي بحصافة، ولا تثقي بأحد . واستدارت فجأة وخرجت، وبقيت "نوفريت" ساكنة تماما وببطء شديد بدت ابتسامة عريضة كابتسامة القطط تظهر على شفتيها .

الفصل السادس

اعتادت "رينسنب" الذهاب إلى المقبرة كل يوم تقريبا، وفي بعض الأحيان يكون "ياموس" و"حوري" هناك، وفي أحيان أخرى يكون "حوري" هناك وحده، وأحيانا لا يكون أحد منهما موجودا، ولكن في كل الأوقات كانت "رينسنب" تشعر هناك بشعور غريب من الترويح عن النفس والسلام، شعور بالهروب، وكانت تفضل أن تجد "حوري" هناك وحده، كان هناك شيء ما في رزائته وفي تقبله دون فضول لمجيئها، يجعلها تشعر شعورا كبيرا بالرضا، وكانت تجلس في مدخل الغرفة الحجرية وقد رفعت إحدى ركبتيها ولفت يديها حولها، تمدق عبر الحقول الخضراء إلى حيث كان النيل يلعب بلون جميل يميل إلى الزرقة، وإلى أبعد منه حيث كانت تبدو من بعيد ألوان باهتة، واللون الأصفر الفاتح والأحمر الباهت، وكلها تمتزج ببعضها في انسجام هادئ. وقد جاءت هناك لأول مرة منذ عدة أشهر تلبية لرغبة مفاجئة للهروب من عالم نسائي كثيف . كانت تنشد الهدوء والصحة الطيبة وقد وجدتتها، وكانت لا تزال تشعر بالرغبة في الهروب ولكن الآن لم يعد مجرد اشمزاز من الضغط واللغظ المصاحبين للأعمال المنزلية، بل كان شعورا أشد وأكثر إزعاجا .

وقالت لـ "حوري" في يوم ما :

– أنا خائفة .

– ولماذا أنت خائفة يا "رينسنب" ؟ ومضى يتأملها بجد . وفكرت "رينسنب" لدقيقة أو دقيقتين ثم قالت ببطء :

– هل تتذكر أنك قلت لي مرة إن هناك نوعين من الشر، نوع خارجي ونوع داخلي ؟

– نعم أتذكر .

– كنت تتكلم، كما قلت فيما بعد – عن الآفات التي تهاجم الفاكهة والمحاصيل،

ولكنني فكرت في أن الشيء نفسه صحيح بالنسبة إلى الناس . وأوما " حوري " ببطء :

– إذن فقد اكتشفت هذا، نعم أنت على حق يا "رينسنب" . وقالت "رينسنب" بجفاء :

– إن هذا يحدث الآن هناك في المنزل، لقد أتى الشر من الخارج وأنا أعرف من أتى به . إنها "نوفريت" . وقال "حوري" ببطء :

– هل تعتقدين هذا؟ وأومات "رينسنب" بعزم :

– نعم، نعم أنا أعرف ما أتكلم عنه، اسمع يا "حوري" عندما صعدت إلى هنا وقلت لك إن كل شيء كما كان حتى مشاحنات "ساتيبي" و"كيت" ، كان هذا حقيقيا، ولكن هذه المشاحنات لم تكن حقيقية يا "حوري" ، وأعنى أن "ساتيبي" و"كيت" كانتا تلهوان بها ، كانت هذه المشاحنات سبيلا لتمضية الوقت، ولم تكن أي من المرأتين لتشعر بغضب حقيقي تجاه الأخرى، ولكن الأمر يختلف الآن، فإنهما لم يعودا يقولان أشياء فظة وغير لطيفة عفوا، بل أصبحتا تقولان كلاما بغرض الإيذاء، وعندما ترى إحداها أنها قد جرحت شعور الأخرى تفرح، إنه لشيء فظيع يا "حوري" ، فظيع، بالأمس كانت "ساتيبي" غاضبة لدرجة أنها شكت ذراع "كيت" بدبوس ذهبي طويل، ومنذ يوم أو يومين أسقطت "كيت" حلة نحاس ثقيلة مليئة بالزيت المغلي على رجل "ساتيبي" وهذا هو ما يحدث على الدوام كل يوم، "ساتيبي" تعنف "ياموس" طوال الليل، ونسمعها كلنا، ويبدو على "ياموس" التعب والمرض كما لو كان يلازمه شبح . و"سوبك" يذهب إلى نساء القرية ويبقى هناك معهن، ويرجع وهو سكران ويصبح ويتباهى بذلكه . وقال "حوري" ببطء :

– أنا أعرف أن بعض هذه الأشياء حقيقية، ولكن لماذا تلومين "نوفريت" ؟

– لأن هذا نتيجة أفعالها، إنها دائما الأشياء التي تقولها، أشياء صغيرة جارحة بمهارة، وهي التي تبدأ كل هذا . إنها كالعصا التي تنخس بها الثور، وهي ذكية أيضا وتعرف بالضبط ما يجب أن يقال لإثارة المشاكل، وفي بعض الأحيان اعتقد أن "هينيت" هي التي تشير عليها بما تقوله . وقال "حوري" مفكرا :

– نعم قد يكون هذا صحيحا . وارتعشت "رينسنب" وهي تقول :

– إنني لا أحب "هينيت" وأكره الطريقة التي تزحف بها حول المنزل . إنها متفانية

لنا جميعا، ومع ذلك فلا أحد فينا يريد هذا التفاني . كيف أمكن لامي أن تأتي بها هنا وأن تحبها إلى هذا الحد؟ وقال "حوري" بجفاء:

– إن "هينيت" هي التي تقول هذا.

– لماذا تحب "هينيت" "نوفريت" وتمشي خلفها في كل مكان، وتهمس في أذنها وتتملقها؟ آه يا "حوري" وأقول لك إنني خائفة، أنا أكره "نوفريت" ، وأتمنى لو رحلت بعيدا. إنها جميلة وقاسية وشريرة .

– كم أنت طفلة يا "رينسنب" ، ثم أضاف "حوري" بهدوء:

– إن "نوفريت" تصعد الطريق إلى هنا . وأدارت "رينسنب" رأسها وجلست هي و"حوري" يرقبان "نوفريت" وهي تصعد ببطء الطريق الشديد الانحدار الذي يؤدي إلى أعلى الهضبة، وكانت تبتسم وتهممهم بأغنية . وعندما وصلت إلى المكان الذي يجلسان فيه نظرت حولهما وابتسمت، وكانت ابتسامة فيها فضول وتساؤل .

– وهكذا فهذا هو المكان الذي تجيئين إليه خلسة كل يوم يا "رينسنب" . ولم تجبها "رينسنب" . كانت تشعر بالغضب والهزيمة مثل طفلة اكتشف مخبؤها، ونظرت "نوفريت" حولها مرة أخرى .

– إذن هذه هي المقبرة الشهيرة . قال "حوري" :

– تماما كما تقولين يا "نوفريت" . ونظرت إليه فمها الذي يشبه فم القطة يبتسم وقالت:

– أنا لا أشك في أنك تجدها مريحة يا "حوري" ، فإنك كما سمعت رجل أعمال، وكانت هناك رنة خبث في صوتها، ولكن لم يحرك هذا "حوري" وظل ساكنا وهو يبتسم ابتسامته الهادئة الرزينة .

– إنها مريحة لنا جميعا .. إن الموت دائما مريح .. وارتعشت "نوفريت" وهي تنظر بسرعة حولها إلى مناظرة القرايين ومدخل المقبرة والباب الوهمي، وهتفت بوحدة:

– إنني أكره الموت . قال "حوري" بصوت هادئ:

– لا يجب أن تكرهه، فإن الموت في "مصر" هو مصدر الثروة الرئيسي . إن الموت هو الذي اشترى الجواهر التي تتزينين بها يا "نوفريت" ، والموت هو الذي يطعمك ويكسوك . وحدثت إليه وقالت:

– ماذا تعني؟

– اعني أن "أمحتوب" كاهن – كاهن قبور – وكل أراضيها وماشيته وخشبه وكتانه وشعبه هبة أو وقف المقبرة . وتوقف ثم قال مفكراً:

– نحن – معشر المصريين – قوم فينا غرابة فنحن نحب الحياة، ولذلك نبداً مبكراً في التخطيط للموت، وهنا تذهب ثروة "مصر" في الأهرام وفي القبور وفي أوقاف القبور. قالت "نوفريت" بعنف:

– كف عن الحديث عن الموت يا "حوري"، فأنا لا أحبه .

– لأنك مصرية صميمة، لأنك تحبين الحياة... لأنك في بعض الأحيان... تشعرين بظلال الموت قريبة جداً..

– كُفْ . واستدارت نحوه بعنف، ثم هزت كتفها وأشاحت عنه وبدأت تنزل الطريق مبتعدة . تنفست "رينسنب" وتنهدت بارتياح ثم قالت مثل طفلة:

– أنا سعيدة لأنها ذهبت، لقد أخفتها يا "حوري" .

– نعم.. هل أخفتك أنت يا "رينسنب"؟

– لا . ورن صوت "رينسنب" متشككا نوعاً:

– إن ما قلته حق، ولكني فقط لم أفكر فيه بهذه الطريقة من قبل قط . إن أبي فعلاً كاهن قبور . وقال "حوري" بمرارة مفاجئة:

– إن "مصر" كلها تتسلط عليها فكرة الموت، أتعرفين السبب يا "رينسنب"؟ لأن لنا عيوننا في أجسادنا ولكن ليس في عقولنا . إننا لا يمكن أن نتصور حياة أخرى غير هذه . حياة بعد الموت . إننا يمكن أن نتخيل فقط امتداداً للحياة التي نعرفها . نحن لا نعتقد فعلاً في الله . وحدقت "رينسنب" إليه في دهشة:

– كيف يمكنك أن تقول هذا يا "حوري"؟ إن لدينا آلهة عديدة، كثيرون لدرجة اني لا أستطيع أن أعرف كل أسمائهم . في الليلة الماضية كنا جميعاً نتكلم عن الآلهة التي نفضلها . "سويك" يفضل "سكمت" و"كيت" تصلي لـ"مسكنت"، و"كاماني" "توت" وهذا طبيعي لأنه كاتب . "ساتيبي" تفضل "حورس" ذا رأس الصقر و"مريجر" أيضاً و"ياموس" يقول إن "بتاح" يجب عبادته لأنه خلق كل شيء، وأنا نفسي أحب "إيزيس" . "هينيت" تفضل "آمون" الإله المحلي وتقول إن هناك تنبؤات بين الكهنة بأنه في يوم من الأيام سيكون "آمون" أعظم إله في

"مصصر"؛ لذلك هي تقدم له القرابين الآن وهو ما يزال إليها صغيرا ثم هناك "رع" إله الشمس و"أوزوريس" الذي توزن أمامه قلوب الأموات. وتوقفت "رينسنب" لتلتقط أنفاسها وابتسم لها "حوري" ثم قال:

– وما الفارق يا "رينسنب" بين الآلهة والرجل؟ وحدقت "رينسنب" إليه:

– إن الآلهة... إنهم سحرة؟

– أهذا كل الفارق؟

– أنا لا أعرف ما تعنيه يا "حوري".

– أنا أعني أن الإله بالنسبة إليك هو رجل أو امرأة يستطيع أن يفعل أشياء معينة لا يستطيع الرجال والنساء أن يفعلوها.

– إنك تقول أشياء غريبة جداً، أنا لا أستطيع أن أفهمك. ونظرت إليه بوجه حائر، ثم نظرت إلى أسفل عبر الوادي واسترعى انتباهها شيء آخر. هتفت قائلة:

– انظر إن "نوفريت" تكلم "سويك"، إنها تضحك. آه وشهقت فجأة:

– لا.. لا شيء لقد ظننت أنه سيضربها. إنها تعود إلى المنزل وهو صاعد إلى هنا. ووصل "سويك" وهو غاضب جداً وهتف:

– ليلتهم التمساح تلك المرأة. إن أبي كان مغفلاً أكثر من العادة عندما اتخذها محظية. وسأل "حوري" بفضول:

– ماذا قالت؟

– لقد أهانتي كالمعتاد، سألتني إذا كان أبي قد عهد إليّ ببيع أي خشب آخر. إنني أود أن أخنقها. وتحرك على المنصة والتقط حجراً، وألقى به إلى أسفل الوادي ثم بدأ يحرك حجراً أكبر، وقفز إلى الوراء عندما رفع ثعبان – كان نائماً تحت الحجر – رأسه، وانتصب الثعبان وهو يصدر فحيحاً ورأت "رينسنب" أنه من نوع الكوبرا. التقط "سويك" عصا غليظة وهاجم بها الثعبان بشراسة، وبضربة أحسن تصويبها كسر ظهره ولكن "سويك" ظل يواصل الضرب وقد رفع رأسه إلى الخلف ولمعت عيناه وهو يردد بين أسنانه كلمة لم تكذب تسمعها "رينسنب" ولم تبينها. صاحت "رينسنب":

– كفى، كفى يا "سويك"، لقد مات. وتوقف "سويك" ثم رمى العصا بعيداً وضحك قائلاً:

- إنه ثعبان سام آخر نقص من العالم، وضحك مرة أخرى وقد استرد مزاجه الرائق .
ومضى نازلا مرة أخرى . قالت "رينسنب" في صوت منخفض :
- أعتقد أن "سويك" يحب قتل الأشياء .
- نعم . لم يكن هناك دهشة في الكلمة، كان "حوري" يقر فقط بواقعة يعرفها جيدا من قبل كما يبدو، واستدارت "رينسنب" ونظرت إليه وقالت ببطء :
- إن الشعبين خطرة؛ ولكن كم كان هذا الكوبرا جميلا .. ونظرت إلى جسم الشعبان الملتوي المقطع ولسبب تعرفه شعرت بغصة في حلقها . وقال "حوري" حالما :
- إنني أتذكر عندما كنا أطفالا صغارا كلنا، هاجم "سويك" "ياموس" وكان "ياموس" أكبر منه بعام ولكن "سويك" كان أطول قامة وأقوى وكان في يده حجر وكان يضرب به رأس "ياموس" وجاءت والدتك تجري وأبعدتهما عن بعض . إنني أتذكر كيف وقفت تنظر إلى "ياموس" ، وكيف صاحت إنك لا يجب أن تفعل أشياء من هذا القبيل يا "سويك" ، إن هذا خطر .. إنني أقول لك إنه خطر، وتوقف برهة ثم مضى يقول :
- كانت جميلة جداً .. كنت أعتقد هذا وأنا طفل وأنت مثلها يا "رينسنب" .
- وهل هذا صحيح؟ .. وشعرت "رينسنب" بالسرور وبالدفء، ثم سألت :
- هل أصاب "ياموس" أذى شديد في ذلك الحين؟
- كلا لم يكن الأمر سيئا مثلما بدأ أولا، ومرض "سويك" مرضا شديدا في اليوم التالي قد يكون من شيء أكله، ولكن والدتك قالت إن مرضه نتيجة لهياجه وللشمس الشديدة لقد كان هذا في منتصف الصيف . قالت "رينسنب" مفكرة :
- إن "سويك" له طباع شنيعة . ونظرت مرة أخرى إلى الشعبان الميت واستدارت وهي ترتعد .

-2-

كان "كاماني" يجلس في الشرفة الامامية عندما وصلت "رينسنب" إلى المنزل، وبين يديه رزمة من ورق البردي، وكان يغني وتمهلته دقيقة واستمعت إلى الكلمات . كان "كاماني" يغني أغنية عاطفية يصف فيها عروسه الجميلة ويطلب من الآلهة ان تمنحها له، ورفع رأسه وابتسم لـ "رينسنب" .

– هل تعجبك أغنيتي يا "رينسنب"؟

– ما نوعها؟

– إنها أغنية حب من "مفيس". ومضى يغني برفق وعيناه عليها، وصعد الدم إلى وجه "رينسنب"، ومضت بسرعة داخل المنزل وكادت تصطدم بـ"نوفريت".

– فيم العجلة يا "رينسنب"؟ كانت هناك نبرة حادة في صوت "نوفريت"، ونظرت "رينسنب" إليها باستغراب طفيف. كان وجه "نوفريت" لا يبتسم بل كان عابسا ومشدودا ولاحظت "رينسنب" أن يديها متصلبتان إلى جانبيها.

– آسفة يا "نوفريت"، لم أرك. إن المكان مظلم هنا عندما يأتي المرء من الضوء الشديد في الخارج.

– نعم إن الضوء هنا ضعيف.. وصمتت "نوفريت" برهة. ثم قالت:

– إنه من الألف الجلس في الخارج.. في الشرفة والاستماع إلى غناء "كاماني".

إنه يغني جيدا اليس كذلك؟

– نعم.. نعم إنني متأكدة أنه يغني جيدا.

– ومع ذلك لم تنتظري لتستمعي. سيخيب ظن "كاماني". أحست "رينسنب"

بوجهها يحمر مرة أخرى، وشعرت بعدم ارتياح من نظرة "نوفريت" الباردة المتهكمة.

– ألا تحبين أغاني الحب يا "رينسنب"؟

– هل تهتمين يا "نوفريت" بما أحبه وما لا أحبه؟

– وهكذا فالقطط الصغيرة لها مخالب.

– ماذا تعنين؟ وضحكت "نوفريت":

– إنك لست ساذجة كما تبدين يا "رينسنب" فانت تجدين "كاماني" وسيما..

هذا دون شك. وقالت "رينسنب" بحدة:

– أعتقد أنك كريمة تماما. وجرت ومرت بـ"نوفريت" نحو الجزء الخلفي من

المنزل. وسمعت صوت الفتاة وهي تضحك متهكمة، ولكن من خلال هذه الضحكة

كان يرن بوضوح في ذاكرتها صدى صوت "كاماني" والأغنية التي غناها وهو يرنو

إليها بعينه..

حلمت "رينسنب" في تلك الليلة. "كانت مع "فاي" تبهر في مركب الموت في العالم الاسفل، وكان "فاي" واقفا في مقدمة المركب .. كانت ترى مؤخرة رأسه فقط. ثم عندما اقتربا من مشرق الشمس استدار "فاي" ورأت "رينسنب" حينئذ أنه "كاماني" وليس "فاي"، وفي تلك اللحظة بدأ رأس الثعبان في مقدمة السفينة يتحرك ويتلوى، وفكرت "رينسنب": «إنه ثعبان حي إنه "كوبرا" .. إنه الثعبان الذي يخرج من القبور ليلتهم أرواح الاموات». وشتت من الخوف ثم رأت أن وجه الثعبان هو وجه "نوفريت" .. واستيقظت وهي تصرخ:

- "نوفريت" .. "نوفريت". ولم تكن قد صرخت حقيقة .. كان كل هذا في الحلم ورقدت في سكون وقلبها يدق وهي تقول لنفسها: «لا شيء من هذا صحيح». ثم فكرت فجأة: "هذا ما كان "سويك" يقوله عندما كان يقتل الثعبان بالامس. كان يقول: "نوفريت" ..

الفصل السابع

ايقظ الحلم "رينسنب" ثم نامت بعده فترات متقطعة قصيرة فقط، وقرب الصباح لم تستطع النوم قط، وكان يسيطر عليها شعور خفي بشر مقبل. واستيقظت مبكرة وخرجت من المنزل، وقادتها قدمها كما كان يحدث كثيرا نحو النيل. كان هناك على النيل بعض الصيادين، وهناك مركب كبير يجدف بشدة نحو "طيبة"، وكانت هناك مراكب أخرى تسير بقلاعها تدفعها الرياح. وتحرك شيء ما في قلب "رينسنب"، تحرك رغبة لشيء لا تستطيع أن تعرفه وفكرت: «إنني أشعر... إنني أشعر». ولكنها لم تعرف حقيقة شعورها، وبمعنى آخر لم تعرف الكلمات التي تناسب هذا الشعور، وفكرت: «إنني أريد... ولكن ماذا أريد؟». هل كان "فاي" هو الذي تريده؟ "فاي" مات، ولن يعود، وقالت لنفسها: «لن أفكر في "فاي" بعد ذلك. ما جدوى هذا؟ إن كل شيء قد انتهى .. ثم لاحظت خيال شخص آخر واقفا ينظر إلى المركب المتجه إلى "طيبة"، وكان هناك شيء يوحي باليأس حوله -

عاطفة ما تعبر عنها هذه الوقفة الساكنة- واسترعى هذا انتباه "رينسنب" وفي الوقت نفسه تعرفت على "نوفريت". كانت تحديق في النيل، وحيدة، تفكر في... ماذا؟ وأدركت "رينسنب" بصدمة مفاجئة، إن ما يعرفونه عن "نوفريت" قليل جداً، لقد تقبلوها كعدوة غريبة، دون أي اهتمام أو فضول عن حياتها أو عن البيئة التي أتت منها. وفكرت "رينسنب" فجأة أنه لا ريب شيء محزن لـ "نوفريت" أن تكون هنا وحيدة دون أصدقاء، ومحاطة فقط باناس لا يحبونها. ومضت "رينسنب" ببطء إلى الامام حتى وقفت بجانب "نوفريت"، وأدارت "نوفريت" رأسها وهلة ثم أدارتها مرة أخرى وتابعت تفرسها في النيل، وكان وجهها لا يعبر عن شيء. قالت "رينسنب" بخجل:

- هناك مراكب كثيرة في النيل.

- نعم. ومضت "رينسنب" تقول وهي تطاوع باعثاً خفياً للصدقة:

- هل يشبه هذا المكان موطنك؟ وضحكت "نوفريت" ضحكة قصيرة فيها بعض المرارة وقالت:

- لا أبداً. إن أبي تاجر في "مفيس" وهو مكان مرح مسل. هناك موسيقى وغناء ورقص، ثم إن أبي يرحل كثيراً وقد ذهبت معه إلى "سوريا"، وإلى "بابل"، لقد ذهبت معه في مركب كبير يسير في البحار الواسعة. كانت تتكلم بكبرياء وحيوية. ووقفت "رينسنب" ساكنة تماماً وعقلها يعمل ببطء ولكن بتفهم واهتمام متزايد ثم قالت ببطء:

- لا بد من أن هذا المكان ممل جداً لك. ضحكت "نوفريت" بصبر نافذ وقالت:

- إنه مكان كئيب لا شيء سوى العزق والحرق والبذر والجني، كلام عن المحاصيل والمشاحنات على أسعار الكتان. كانت "رينسنب" ما تزال تصارع أفكاراً غير مألوفة وهي تراقب "نوفريت" من طرف خفي. وفجأة بدا كما لو كانت قوة بدنية هائلة تدفع موجة من الغضب والتعاسة واليأس من داخل الفتاة التي وقفت بجانبها. وفكرت "رينسنب": "إنها صغيرة مثلي بل أصغر، وهي محظية الرجل المسن الكريم المشير للصخب المضحك بعض الشيء، أبي..". ماذا تعرف هي "رينسنب" عن "نوفريت"؟ لا شيء بالمرّة. ما الذي قاله "حوري" بالأمس عندما هتفت هي قائلة: إنها جميلة وقاسية وشريرة.. لقد قال "حوري"، إنك طفلة يا "رينسنب". والآن

عرفت "رينسنب" ماذا كان يعني. إن كلماتها كانت لا تعني شيئا.. إن المرء لا يستطيع أن يحكم على إنسان بمثل هذه السهولة. كم من الحزن والمرارة واليأس تختفي وراء الابتسامة القاسية لـ "نوفريت"؟ ماذا فعلت "رينسنب" أو أي فرد منهم للترحيب بـ "نوفريت"؟ وقالت "رينسنب" وهي تتلثم كطفلة:

- إنك تكرهيننا جميعا وأنا أعرف السبب؛ لأننا لم نكن ظرفاء، ولكن الآن لم يفت الوقت. ألا يمكن أن نكون أنا وأنت يا "نوفريت" مثل أختين؟ إنك بعيدة عن كل الذين تعرفينهم، أنت وحيدة، هل أستطيع المساعدة؟ وتلعثمت كلماتها حتى سكتت. واستدارت "نوفريت" ببطء ولدقيقة أو دقيقتين لم يظهر أي تعبير على وجهها. وظنت "رينسنب" أن عينيها قد رقنا ولاننا لفترة وجيزة، وفي سكون هذا الصباح الباكر بوضوحه الغريب وهدوئه بدا كما لو أن "نوفريت" تتردد، كما لو أن كلمات "رينسنب" قد مست وترا أخيرا من الرجوع عن العزم. كانت فترة غريبة، فترة تذكرتها "رينسنب" فيما بعد.. ثم بدأ تعبير "نوفريت" يتغير بالتدريج، وأصبح شريرا واحتقنت عيناها، وتراجعت "رينسنب" خطوة إلى الوراء أمام هياج الحقد والشرفي نظرتها. قالت "نوفريت" بصوت منخفض وشرس:

- اذهبي إنني لا أريد شيئا من أي واحد فيكم. أيها الأغبياء السخفاء كلكم هكذا كل فرد فيكم. وتوقفت لحظة ثم استدارت ورجعت إلى المنزل وهي تمشي بنشاط. وتبعتها "رينسنب" ببطء، ومن الغريب أن كلمات "نوفريت" لم تغضبها، بل فتحت أمام عينيها هاوية عميقة مظلمة من الحقد والتعاسة، شيء لم تكن لتعرفه من قبل من تجاربها، وكانت تراودها فكرة غامضة "كم يكون مريعا أن يشعر المرء بهذه الأمور".

-2-

حينما دخلت "نوفريت" من البوابة وعبرت الحوش، اعترضت طريقها إحدى أطفال "كيت" وهي تجري خلف كرة، وأزاحت "نوفريت" الطفلة عن طريقها بدفعة غاضبة رمت الطفلة على الأرض، فاطلقت الطفلة صرخة وجرت "رينسنب" نحوها والتقطتها وهي تقول بسخط:

- ما كان يجب أن تفعلني هذا يا "نوفريت"، لقد آذيتها انظري لقد جرحت

ذقتها. وضحكت "نوفريت" بصوت رفيع. ثم أردفت :
- وهكذا يجب أن أحرص على عدم إيذاء هؤلاء الأولاد المدللين؟ لماذا؟ هل تراعي
أهماتهم شعوري؟ كانت "كيت" قد جاءت تجري من المنزل على صراخ طفلتها،
وجرت إليها وفحصت الوجه الجريح ثم استدارت لـ "نوفريت".
- أيتها الحية الشيطانة.. يا شريعة.. مهلا وسترين ما سنفعله بك. وصفعت
"نوفريت" بكل قوتها، وأطلقت "رينسنب" صيحة، وأمسكت بذراعها قبل أن
تعيد الضرب.

- "كيت" .. "كيت" .. لا يجب أن تفعلني هذا.

- من يقول هذا؟ لتأخذ "نوفريت" حذرًا. إنها واحدة فقط هنا في وسط
كثيرين. ووقفت "نوفريت" ساكنة تمامًا، وكانت علامة يد "كيت" ظاهرة حمراء
على خدها، وكان هناك جرح بجانب إحدى عينيها من أثر حلية كانت "كيت"
تلبسها في معصمها، وقد جرححت الجلد وسالت منه الدماء على وجهها. ولكن
الانطباع الذي على وجه "نوفريت" كان هو الذي حير بل وأخاف "رينسنب". لم
تظهر "نوفريت" أي غضب، وبدلاً من ذلك كانت هناك نظرة غريبة منتصرة في
عينيها، ومرة أخرى ظهرت ابتسامة مثل ابتسامة القطط على وجهها وقالت :
- شكراً لك يا "كيت". ثم مشت إلى داخل المنزل.

-3-

نادت "نوفريت" "هينيت" وهي تهمهم برفق وقد أرخت رموشها، وجاءت
"هينيت" تجري ثم توقفت وهتفت باستغراب، وقاطعت "نوفريت" كلامها قائلة :
- عليّ بـ "كاماني" قولي له أن يأتي بريشته وبالخبز وورق البردي، فهناك رسالة
ستكتب للسيد. كانت عينا "هينيت" مثبتة على خد "نوفريت" :

- للسيد .. أنا أرى .. ثم سألت :

- من فعل هذا؟

- "كيت" ... وابتسمت "نوفريت" بهدوء وهي تتذكر. هزت "هينيت" رأسها
وطقطقت لسانها :

- إن هذا سيئ جداً.. سيئ جداً. يجب أن يعلم به السيد ... وألقت نظرة سريعة

جانبيهة إلى "نوفريت".

- نعم يجب أن يعرف "أمحتوب". قالت "نوفريت" بنعومة:
- أنت وأنا يا "هينيت" نفكر تفكيراً واحداً.. لقد فكرت في أنه يجب أن نفعل ذلك. وحملت حجراً كريماً مركباً على ذهب من ثوبها اللينوه ووضعت في يد المرأة.
- أنت وأنا يا "هينيت" تهمننا مصلحة "أمحتوب" الحقيقية.
- إن هذا لكثيراً يا "نوفريت" .. أنت كريمة أكثر من اللازم.. هذه حلية بديعة.
- "أمحتوب" وأنا نقدر الإخلاص. كانت "نوفريت" ما تزال تبتسم وعيناها نصف مغمضتين وتبدو كالمقطط ثم قالت:
- اثني بـ "كاماني" وتعالى معه فأنت وهو ستشهدان معا على ما حدث. جاء "كاماني" على الرغم عنه مقطب الجبين. وتكلمت "نوفريت" بلهجة أمرة:
- أتتذكر تعليمات "أمحتوب" قبل أن يرحل؟ قال "كاماني":
- نعم. يا "نوفريت":
- حان الوقت. اجلس واستعد بريشتك وكتب كما أقول لك. ثم قالت بصبر نافذ وهي ترى أن "كاماني" مازال متردداً:
- إن ما تكتبه سيكون ما رأيته بعينيك وما سمعته بأذنيك، وستؤيد "هينيت" كل ما سأقوله، ويجب أن تبعث الرسالة بسرعة وبسريرة. قال "كاماني" ببطء:
- أنا لا أحب... وقاطعته "نوفريت" بسرعة البرق:
- ليس لدي شكوى ضد "رينسنب" فإنها رقيقة وضعيفة وغبية، ولكنها لم تحاول إيذائي هل يرضيك هذا؟ واحمر وجه "كاماني" البرنزي.
- لم أكن لأفكر في هذا. قالت "نوفريت" بنعومة:
- اعتقد أنك كنت تفكر في هذا. والآن هيا أطلع التعليمات اكتب. قالت "هينيت":

- نعم اكتب. أنا مغمومة جداً من كل هذا، متضايقة لدرجة كبيرة لكن يجب أن يعرف "أمحتوب" بما حدث. إنه يجب أن يعرف. ومهما كان الأمر كريهاً فيجب على المرء أن يؤدي واجبه. لقد شعرت بهذا دائماً. ضحكت "نوفريت" بنعومة:
- إنني واثقة بهذا يا "هينيت"، أنت ستقومين بواجبك، و"كاماني" سيقوم بمهام وظيفته وأنا سأفعل ما يحلو لي. ولكن "كاماني" كان لا يزال متردداً. كان وجهه

عابسا بل يكاد يكون غاضبا قال :

- أنا لا أحب هذا. "نوفريت" من الأفضل أن تفكري وقتا أطول.
- أنت الذي تقول هذا لي أنا؟! واحمر وجه "كاماني" لלהجتها وتفادى نظراتها ولكن وجهه ظل عابسا. قالت "نوفريت" بنعومة:
- خذ حذرك يا "كاماني" إن لي نفوذا كبيرا لدى "أمحتوب" وهو يستمع إلى ما أقوله له، وهو راض عنك حتى الآن، وتوقفت وكان معناها واضحا.
- هل تهدديني يا "نوفريت"؟
- ربما.. نظر إليها بغضب للحظة أو لحظتين ثم أحنى رأسه:
- سأفعل كما تقولين يا "نوفريت" ولكنني أعتقد.. نعم إنني أعتقد أنك ستندمين.
- هل تهددني أنت يا "كاماني"؟
- إنني أحذرك.

الفصل الثامن

مضت الأيام تباعا و"رينسنب" تشعر أحيانا بانها تعيش في حلم. لم تقترب من "نوفريت" بعد تلك المرة، إذ أصبحت تخاف "نوفريت" فقد كان ثمة شيء حولها لا تفهمه. تغيرت "نوفريت" بعد ذلك المشهد في ساحة الدار ذلك اليوم، وأصبحت بشوشة وتبدو مبتهجة، ولم تكن "رينسنب" لتدري لذلك سببا، وفي بعض الأحيان كانت تظن أن تصورها لـ"نوفريت" كحزينة جداً كان لأبد خاطئا بدرجة مضحكة، فإن "نوفريت" كانت تبدو سعيدة بالحياة وبنفسها ومن حولها، ولكن الواقع إن من حولها كانوا قد تغيروا إلى الأسوأ، في الأيام التي تلت رحيل "أمحتوب". كانت "نوفريت" تتعمد - كما تعتقد "رينسنب" - إشعال الفرقة بين أفراد عائلة "أمحتوب" العديدين، أما الآن فقد اتحدت العائلة بقوة ضد الغريبة، ولم تعد هناك خلافات بين "ساتيبي" و"كيت"، لم تعد "ساتيبي" تعنف "ياموس" المسكين وبدا "سويك" أهدأ، ولم يعد يتباهى كثيرا، أما "إيبي" فقلت وقاحته نحو أخويه الكبارين، وبدأ انسجام جديد بين أفراد العائلة، ومع ذلك فلم يجلب هذا الانسجام راحة البال لـ"رينسنب" لأنه كان مصحوبا بتيار خفي من البغض

لـ"نوفريت". لم تعد المرأتان "ساتيبي" و"كيت" تتشاحتان مع "نوفريت" بل أصبحتا تتحاشيانها ولم تعودا تتكلمان معها، وعندما كانت تأتي إلى أي مكان كانتا تأخذان أطفالهما وتذهيان بهم إلى أي مكان آخر. وفي الوقت نفسه بدأت أمور صغيرة عجيبة تحدث: أتلف ثوب من اللينوه لـ"نوفريت" من مكواة ساخنة أكثر من اللازم، واختلطت بعض الصبغات باللوان أخرى، وفي بعض الأحيان كانت تجد أشواكا حادة في ثيابها، ووجدت ثعبانا بجوار فراشها. وكان الطعام الذي يقدم إليها فيه توابل كثيرة أكثر من اللازم، أو ليس فيه أي نوع من التوابل، وفي يوم وجدت فارا ميتا في خبزها. كانت حملة اضطهاد لا هودة فيها في سكون ولؤم، لا شيء مكشوف فيها، لا شيء يمكن الإمساك به، كانت حملة نسائية أصيلة. ثم في يوم من الأيام أرسلت "أسا" في طلب "ساتيبي" و"كيت" و"رينسنب" وعندما وصلن وجدن "هينيت" هناك تهزر رأسها وتفرك يديها. قالت "أسا" وهي تنظر إليهن بنظرتها التهكمية المعتادة:

- ها، إذن ها هن حفيداتي الذكيات.. ماذا تعتقدن أنكن تفعلن؟ ما هذا الذي أسمعنه عن إتلاف ثوب "نوفريت"؟ وأن طعامها غير مستساغ؟ وابتسمت كلا من "ساتيبي" و"كيت" ابتسامة صفراء. سألت "ساتيبي":

- هل شككت "نوفريت"؟ قالت "أسا":

- لا لم تشك "نوفريت" وهذا هو ما يقلقني. وأزاحت الباروكة التي تلبسها حتى في المنزل إلى الخلف قليلا. قالت "ساتيبي" وهي ترمي رأسها الجميل إلى الخلف:

- هذا لا يقلقني أنا. قالت "أسا" بحدة:

- لأنك غبية. إن لـ"نوفريت" عقلا يوازي مرتين عقولكن الثلاث مجتمعات. قالت "ساتيبي":

- سنرى إذا كان هذا صحيحا. كانت تبدو منشرحة المزاج وراضية عن نفسها. قالت "أسا":

- ماذا تظنن أنكن فاعلات؟ وبدت القسوة على وجه "ساتيبي". وهي تقول:
- إنك امرأة عجوز يا "أسا"، وأنا لا أتكلم دون احترام لك، ولكن لم تعد الأمور تهكم مثلما تهمننا نحن الآن، ولنا أزواج وأطفال. لقد قررنا أن نأخذ زمام الأمور

- في أيدينا، إن لنا طرقنا في معاملة امرأة لا نحبها ولن نقبلها. قالت "أسا":
- كلام جميل، كلام جميل. وضحكت وأكملت:
 - ولكن من الممكن أن نسمع كلاما جميلا من الجوارى اللاتي يعملن في الطاحونة. وقالت "هينيت" وهي تتنهد في آخر الغرفة:
 - قول حقيقي وحكيم. واستدارت لها "أسا":
 - هيا يا "هينيت" ماذا تقول "نوفريت" عن كل الذي يجري؟ يجب أن تعرفي، فأنت دائما تلبين طلباتها.
 - كما أمرني "أمحتوب". إن هذا شيء كرهه لي بالطبع، ولكن يجب أن أعمل ما أمرني به السيد. أمل ألا تعتقدي... وقاطعت "أسا" صوت "هينيت" الباكي:
 - نحن نعرف كل شيء عنك يا "هينيت". أنت دائما متفانية.. وقليل ما تُشكرين كما يجب. ماذا تقول "نوفريت" بخصوص هذا كله؟ هذا هو ما أسألك عنه. وهزت "هينيت" رأسها:
 - إنها لا تقول شيئا. إنها فقط تبتسم.
 - بالضبط. والتقطت "أسا" فاكهة وفحصتها ثم وضعتها في فمها ثم مضت تقول فجأة بفظاظة شريفة:
 - إنكن جميعا غيبات.. إن السطوة في يد "نوفريت" لا معكن، وكل ما تفعلن هو أنكن تلعبن كما تريد هي، وإني لاجرؤ أن أقسم إنها سعيدة بما تفعلن. قالت "ساتيبي" بحدة:
 - هراء. "نوفريت" وحيدة هنا.. ما سطوتها؟ قالت "أسا" بعبوس:
 - سطوة امرأة صغيرة وجميلة متزوجة برجل كبير. أنا أعرف ما أتكلم عنه. استدارت سريعا برأسها وقالت:
 - "هينيت" تعرف ما أتكلم عنه. أجفلت "هينيت" وتنهدت وبدت تلوي يديها:
 - إن السيد يعزها كثيرا.. طبيعي.. نعم طبيعي تماما. قالت "أسا":
 - اذهبي إلى المطبخ وآتي لي ببعض البلح والشراب السوري.. نعم والعسل أيضا. وعندما انصرفت "هينيت" قالت السيدة العجوز:
 - هناك عراك يكبر وينمو.. أنا أستطيع أن أشم رائحته. "ساتيبي" أنت رأس

هذه المؤامرة. احذري فبينما تعتقدين أنك ذكية، فإنك تتصرفين مثلما تريد "نوفريت" وتلعبن لها لعبتها. ومالت إلى الخلف وأقفلت عينها ثم قالت :
- اذهبي .. لقد حذرتكن .. والآن انصرفن. قالت "ساتيبي" وهي ترمي رأسها إلى الخلف وهن في طريقهن إلى البحيرة :
- نحن تحت سطوة "نوفريت" .. يا سلام... إن "أسا" كبرت لدرجة ان أغرب الأفكار تدور في ذهنها. نحن الذين نضع "نوفريت" تحت سطوتنا، ثم إننا لن نفعل شيئاً ضدها تستطيع أن تشكونا به، ولكني اعتقد، نعم اعتقد أنها ستأسف قريباً على أنها جاءت هنا. صاحت "رينسنب" :
- أنت قاسية، قاسية. وبدا على "ساتيبي" الغضب :
- لا تتظاهري بحب "نوفريت" يا "رينسنب".
- أنا لا أحبها، ولكنك تبدين... تبدين كمن يود الانتقام.
- إنني أفكر في أولادي و"ياموس"، إنني لست امرأة مستسلمة أو امرأة تقبل الإهانة، وإنني طموحة، بوسعي أن أعصر عنق هذه المرأة بسرور، ولكن للأسف إن الأمر ليس بهذه السهولة؛ لاننا لا يجب أن نثير غضب "أمحتوب".

-2-

جاء الخطاب كسهم أطلق على سمكة. جلس "ياموس" و"سوبك" و"إيبي" ساكنين لا يتكلمون ويحدقون إلى "حوري" وهو يقرأ الكلمات من ورق البردي :
- ألم أقل لـ "ياموس" أنني ساحمله مسؤولية أي أذى يصيب محظيتي؟ يقيني أنكم جميعاً على قيد الحياة .. أنا منذ اليوم عدوكم وأنتم أعدائي، لن أعيش معكم بعد اليوم تحت سقف واحد، وبما أنكم لم تحترموا محظيتي "نوفريت" لم تعودوا يا "ياموس" ويا "سوبك" ويا "إيبي" ابنائي من لحمي ودمي. إن كل واحد منكم قد آذى محظيتي وقد شهد على ذلك "كاساني" و"هينيت". سأطردكم من بيتي كلكم. لقد كنت أنفق عليكم، والآن لن أنفق عليكم" وتوقف "حوري" ثم مضى يقرأ :

- إن خادم القبور "أمحتوب" يخاطب "حوري". أنت أيها المخلص كيف حالك وصحتك؟ بلغ تحياتي لوالدتي "أسا" ولابنتي "رينسنب" وسلم على "هينيت".

اعتن بأعماله جيذا حتى أرجع إليك وجهاز لي عقدا تشاركني فيه محظيتي "نوفريت" في كل أملاكي بوصفها زوجتي، ولن أشارك "ياموس" أو "سويك" ولن أنفق عليهما، وإنني هنا أعلن أنهما أساءا إلى محظيتي، حافظ على كل شيء لحين عودتي. ما أسوأ أن يقوم أهل بيت الرجل بأعمال شريرة تجاه محظيته. أما بالنسبة إلى "إيبي" فليحذر، وإذا أذى محظيتي بأي شكل فهو أيضا سيخرج من منزلي".

ساد سكون شامل. ثم نهض "سويك" وهو في ثورة غضب وهياج عنيفة:

- كيف حدث هذا؟ ما الذي سمعه أبي؟ من ذهب إليه بروايات كاذبة؟ هل سنحتمل هذا؟ لا يستطيع أبي أن يحرمننا من الميراث ويعطي كل أملاكه لمحظيته.

قال "حوري" بهدوء:

- إن هذا سيثير انتقادات في غير صالحه، ولن يتقبله الناس كتصرف عادل، ولكنه يملك من الوجة القانونية أن يفعل هذا فإن في إمكانه أن يكتب أملاكه لمن يشاء.

- لقد سحرته هذه الحية السوداء المتهكمة، لقد سحرت له. وتتمم "ياموس" كمن فقد المقدرة على الكلام:

- هذا شيء غير مصدق لا يمكن أن يكون حقيقيا. صاح "إيبي":

- إن أبي مجنون.. مجنون. لقد تحول حتى ضدي أنا بأمر هذه المرأة. قال "حوري" جادا:

- سيرجع "أمحتوب" قريبا، هكذا يقول، وحينئذ ربما يكون غضبه قد سكن وقد لا يعني حقا ما يقوله. ورنه ضحكة قصيرة شريرة، وكانت "ساتيبي" هي التي تضحك، وقد وقفت تنظر إليه من عتبة الباب المطل على جناح النساء:

- إذن هذا هو ما علينا أن نفعله يا "حوري" العظيم؟ ننتظر ونرى ما سيحدث.

قال "ياموس" ببطء:

- وما عسانا أن نفعل غير هذا؟ وارتفع صوت "ساتيبي" وصرخت:

- ما الذي يجري في عروقكم كلكم؟ لين؟ إنني أعرف أن "ياموس" ليس رجلا، ولكن أنت يا "سويك" أليس عندك علاج لهذا البلاء؟ سكين في القلب ولا تستطيع الفتاة لكم أذى بعد ذلك؟ هتف "ياموس":

- "ساتيبي" لن يسامحنا أبي أبدا.

- هذا ما تقوله أنت، ولكنني أقول لكم إن المحظية الميتة ليست مثل المحظية الحية،

عندما تموت سيعود قلبه لاولاده وأطفالهم، وإلى جانب كل هذا كيف سيعرف كيفية موتها.. يمكننا أن نقول إن ثعبانا لدغها، نحن جميعا معا في هذا الأمر اليس كذلك؟ قال "ياموس" ببطء:

- سيعرف أبي فستخبره "هينيت". وضحكت "ساتيبي" بهستيريا:
- أيها الرجل الحذر جداً "ياموس"، "ياموس" الرقيق الحذر، كان يجب أن ترعى الأطفال وتقوم بأعمال المرأة في مؤخرة المنزل. فليساعطني "تكمت" إنني متزوجة بزوج ليس برجل، وأنت يا "سوبك" بكل كلامك أين شجاعتك وعنادك؟ إنني أقسم بـ"رمح" أنني أشد رجولة منكما أنتما الاثنين. واستدارت وخرجت، وتقدمت "كيت" -التي كانت تقف خلفها- خطوة إلى الأمام، وقالت بصوت عميق مهزوز:
- إن ما تقوله حق، إنها أكثر رجولة منكم. "ياموس"، "سوبك"، "إيبي" -هل ستجلسون هنا ولا تفعلون شيئاً؟ ماذا عن أولادنا يا "سوبك"؟ يطردون ليجمعوا؟ حسن جداً إذا لم تفعلوا أنتم شيئاً سأفعل أنا. ليس بينكم رجل. وحينما خرجت بدورها قفز "سوبك" واقفا وهتف:

- بحق الآلهة التسعة في "الأينيد" إن "كيت" على حق.. هذا عمل رجل يجب القيام به.. ونحن نجلس هنا نتكلم ونهز رؤوسنا. ومشى بخطوات سريعة نحو الباب. هتف "حوري" من ورائه:

- "سوبك" أين ستذهب..؟ ماذا ستفعل؟ وهتف "سوبك" من عتبة الباب وهو يبدو وسيما وشرسا:

- سأفعل شيئاً ما.. هذا أكيد وسأستمتع بما أفعله.

الفصل التاسع

خرجت "رينسنب" إلى الشرفة، ووقفت هناك برهة وهي تحمي عينيها من الضوء الشديد المفاجئ. كانت تشعر بالغثيان وترتعد خوفاً من أمر خفي، وكانت تردد لنفسها بطريقة آلية: «يجب أن أحذر "نوفريت".. يجب أن أحذرها». وكانت تسمع خلفها من داخل المنزل أصوات الرجال: أصوات "حوري" و"ياموس" مختلطة وفوقها صوت "إيبي" الصبياني واضحاً.

- "ساتيسي" و"كيت" على حق. لا يوجد رجال في هذه الأسرة، ولكني أنا رجل.. نعم أنا رجل، بشعوري وفي جوهرى وإن لم يكن سنّي كبيراً، لقد تهكمت "نوفريت" عليّ وهزأت مني وعاملتني كطفل. سأريها أنني لست طفلاً. أنا لست خائفاً من غضب أبي فانا أعرفه، لقد سحرت له هذه المرأة وسحرت، ولو قُضي عليها لرجع حبه لي.. لي أنا، أنا الابن الذي يحبه أكثر من أي من أبنائه. إنكم تعاملونني جميعاً كطفل.. ولكنكم سترون. نعم سترون. وهرع خارجاً واصطدم بـ"رينسنب" وكاد أن يوقعها على الأرض وأمسكت به من كفه:

- "إيبي"، "إيبي" أين ستذهب؟

- سأبحث عن "نوفريت" وسترى إذا كان بإمكانها أن تهزأ بي.

- انتظر قليلاً فيجب أن تهذاً. لا يجب أن يفعل أي منا شيئاً بتهور.

- تهور؟... وضحك الولد بازدراء:

- أنت مثل "ياموس". حذر وحريص. لا يجب أن يفعل شيئاً بسرعة. إن

"ياموس" امرأة عجوز و"سوبك" مجرد ثرثار متباه، دعيني يا "رينسنب"...

وجذب كم ثوبه اللينون من قبضتها..

- "نوفريت"، أين "نوفريت"؟ وغمغمت "هينيت" التي كانت قد جاءت توا

من المنزل وهي تفتعل ضجة:

- آه يا أعزائي هذا شيء سيئ... شيء سيئ جداً. ماذا سيحدث لنا جميعاً؟ ماذا

عسى كانت تقول سيدتي العزيزة المرحومة؟

- أين "نوفريت" يا "هينيت"؟ وهتفت "رينسنب":

- لا تخبريه... ولكن "هينيت" كانت قد أجابت:

- لقد خرجت من الباب الخلفي وذهبت نحو حقول الكتان. وهرع "إيبي" إلى

داخل المنزل، وقالت "رينسنب" معاتبة:

- ما كان يجب أن تخبريه يا "هينيت".

- إنك لا تثقين بـ"هينيت" العجوز. أنتم لا تثقون بي أبداً... ووضحت النبرة

الشاكية في صوتها أكثر وأكثر:

- ولكن "هينيت" العجوز المسكينة تعرف ما تفعله. إن الفتى يحتاج إلى بعض

الوقت لتهدأ ثورته وهو لن يجد "نوفريت" في حقول الكتان -وابتسمت- إن

"نوفريت" هنا في الكوخ مع "كاماني" .. وأومات برأسها عبر الفناء ثم أضافت وهي تضغط على الكلمات بما يبدو أنه ضغط غير مناسب :

- مع "كاماني" . ولكن "رينسنب" كانت قد بدأت تعبر الفناء . جاءت "قيتي" تجري من البحيرة نحو والدتها، ورفعتها "رينسنب" بين ذراعيها واحتضنتها، وشعرت وهي تحتضن الطفلة بالقوة التي تدفع "ساتيبي" و"كيت" . إن هاتين المرأتين تحاربان من أجل أطفالهما، وأطلقت "قيتي" صرخة صغيرة :

- لا تمسكي بي بهذه الشدة يا أمي إنك تؤلميني . وأنزلت "رينسنب" الطفلة، وذهبت ببطء عبر الفناء في الجانب الآخر من الكوخ وكانت "نوفريت" و"كاماني" يقفان سويا واستدارا عندما اقتربت "رينسنب" . تكلمت "رينسنب" بسرعة وهي تلتقط أنفاسها :

- "نوفريت" .. لقد جئت لاحذرك .. يجب أن تأخذي حذرك .. يجب أن تحترسي لنفسك .. وبدت نظرة هازئة على وجه "نوفريت" :

- إذن فالكلاب تنبح؟

- إنهم غاضبون جداً... إنهم سيؤذونك . وهزت "نوفريت" رأسها وقالت بثقة تامة :

- لا يستطيع أحد أن يؤذيني . ولو حدث هذا فسيبلغ الامر أباك وسينتقم، وسيدركون هذا عندما يفكرون في الامر، وضحكت :

- كم كانوا أغبياء بإهانتهم الحقيرة واضطهادهم لي، كانوا يلعبون كما أريد طوال الوقت . قالت "رينسنب" ببطء :

- إذن فأنت قد خططت لهذا طوال الوقت؟ وأنا التي كنت آسفة من أجلك، أنا التي اعتقدت أننا غير كرماء، أنا غير آسفة.. إني اعتقد يا "نوفريت" أنك شريرة وعندما يأتي وقت الحساب في يوم الحساب، لن يكون في مقدورك أن تقولي : «لم أفعل شراً» ولا أن تقولي : «أنا لم أكن جشعة»، وسيكون ميزان قلبك الذي يوزن أمام ريشة الحق ثقيلًا . قالت "نوفريت" بعبوس :

- أنت متدينة جداً على حين فجأة، ولكنني لم أؤذِكِ يا "رينسنب" ولم أقل شيئاً ضدك .. سلي "كاماني" اليس هذا حقاً؟ ثم مضت فعبرت الفناء وصعدت السلم إلى الشرفة، وجاءت "هينيت" لملاقاتها، ودخلت المرأتان إلى المنزل . واستدارت

"رينسنب" ببطء نحو "كاماني".

- إذن أنت يا "كاماني" الذي ساعدتها على أن تفعل بنا هذا. قال "كاماني" منفعلا:

- هل أنت غاضبة مني جداً يا "رينسنب"؟ ولكن ماذا كان بوسعي أن أفعل؟
قالت "رينسنب" ببطء:

- أنا لا أستطيع أن ألومك فقد كان عليك على ما أظن أن تطيع أوامر أبي.
- إنني لم أكن راضياً عما فعلته، وإنها لحقيقة يا "رينسنب" إنه لم تكن هناك كلمة واحدة ضدك.
- هذا لا يهمني.

- ولكنه يهمني أنا، فمهما كانت "نوفريت" قد قالت لي، ما كنت سأكتب كلمة تؤذيك أنت يا "رينسنب" أرجوك صدقيني. هزت "رينسنب" رأسها حائرة فإن النقطة التي كان "كاماني" يجاهد لإبرازها بدت غير ذات أهمية لها. كانت تشعر بالغضب، وجرح شعورها كما لو أن "كاماني" بطريقة ما قد خيب ظنها فيه، ومع ذلك فهو غريب، ولو أنه يمت إليهم بصلة قرابة، لكنه مع كل غريب أتى به والدها من مكان بعيد من الريف. إنه كاتب صغير عهد إليه بمهمة من مخدمه ونفذها مطيعاً. ردد "كاماني" في إصرار:

- أنا لم أكتب إلا الحقيقة. لم تكن هناك أية أكاذيب في الرسالة إنني أقسم لك بذلك. قالت "رينسنب":

- لا.. إن "نوفريت" أذكى من أن تبعث بأكاذيب في الرسالة. إن "أسا" المعجوز كانت على حق. إن هذا الاضطهاد الذي كان يسر "ساتيبي" و"كيت" كان بالضبط هو ما تريده "نوفريت"، فلا عجب من أنها كانت تبتسم طوال الوقت؛ ابتسامتها التي تشبه ابتسامة القطط. قالت "رينسنب" وهي تتابع أفكارها:

- إنها شريرة نعم.. ووافقها "كاماني":
- إنها امرأة شريرة. واستدارت "رينسنب" ونظرت إليه بفضول:
- إنك كنت تعرفها قبل أن تأتي إلى هنا أليس كذلك؟ إنك كنت تعرفها في "مفيس"؟ واحمر وجه "كاماني" وبدأ عليه الارتباك.
- لم أكن لأعرفها جيداً.. كنت قد سمعت عنها. يقال إنها فتاة قاسية وطموحة

ولا تغتفر. أمالت "رينسنب" رأسها إلى الوراء بصبر نافذ فجأة وقالت :
- أنا لا أصدق هذا. إن أبي لن يفعل ما يهدد به. إنه غاضب الآن، ولكنه لا يمكن
أن يكون ظالماً إلى هذا الحد. سيعفو عندما يعود. قال "كاماني" :
- "نوفريت" ستحرص على ألا يغير رأيه عند عودته. إنك لا تعرفين "نوفريت"
يا "رينسنب" إنها ذكية جداً وعنيدة، وهي -تذكّري- جميلة جداً. وأقرت
"رينسنب" :
- نعم إنها جميلة. وتنهدت فليسبب ما آلمتها فكرة جمال "نوفريت" .

-2-

أمضت "رينسنب" بعد الظهر في اللعب مع الأطفال، وقلّ الألم المبهم الذي كان
في قلبها وهي تشاركهم لعبهم، وقبل غروب الشمس بقليل انتصبت واقفة
وأصلحت من شعرها وثوبها اللذين كانا قد فقدتا ترتيبهما، وتساءلت عرضاً : لماذا
لم تخرج "ساتيبي" و"كيت" إلى الحديقة كالمعتاد؟ كان "كاماني" قد غادر
الحوش منذ وقت طويل، ومضت "رينسنب" ببطاء نحو المنزل. لم يكن أحد موجوداً
في حجرة الجلوس، ومضت نحو مؤخرة المنزل وجناح النساء. كانت "أسا" نصف
نائمة في ركن من الحجرة وكانت جاريتها الصغيرة تضع علامات على الملاءات، وفي
المطبخ كانوا يخبزون خبزاً مثلث الشكل، ولم يكن أحد موجوداً خلاف هؤلاء في
المنزل. شعرت "رينسنب" شعوراً غريباً بالفراغ. أين ذهب الجميع؟ "حوري" على
الأرجح ذهب إلى المقبرة، وقد يكون "ياموس" معه أو في الحقول. "سويك"
و"إيبي" يرقبان الماشية أو يلاحظان القمح، ولكن أين "ساتيبي" و"كيت" وأين..
نعم.. أين "نوفريت"؟ كانت رائحة عطور "نوفريت" القوية تملأ غرفتها، ووقفت
"رينسنب" على عتبة الباب تحديق إلى المنضدة الخشبية الصغيرة، وصندوق الجواهر
وعدد من الأساور وخاتم فيه جعران أزرق زاه. عطور ودهون وملابس وصنادل. كلها
أشياء تتحدث عن صاحببتها، عن "نوفريت" الغريبة العدوة التي تعيش وسطهم.
وتساءلت "رينسنب" :
- أين "نوفريت"؟ ومضت ببطاء نحو مؤخرة المنزل وقابلت "هينيت" وهي
تدخل من الباب الخلفي.

- أين الجميع يا "هينيت"؟ إن المنزل خال من الكل ما عدا جدتي .
- وأنتى لي أن اعرف يا "رينسنب"؟ لقد كنت أعمل . أساعد على الغزل وأراقب
الف شيء .. إننى لا وقت عندي للتنزه . وفكرت "رينسنب" : « هذا يعني أن هناك
من ذهب للتنزه . ربما ذهبت "ساتيبي" وراء "ياموس" حتى المقبرة لتشاحنه أكثر
» ولكن أين "كيت"؟ ليس من عاداتها أن تبتعد عن أطفالها لفترة طويلة . مرة
أخرى ساورتها الفكرة الخفية : "أين "نوفريت"؟" وكما لو أن "هينيت" قرأت
أفكارها جاوبت كمن ترد عليها :

- أما عن "نوفريت" فقد ذهبت منذ وقت طويل إلى المقبرة . آه حسنا إن
"حوري" كفاء لها . وضحكت "هينيت" بغلٌ وهي تقول :

- إن "حوري" ذكي أيضا . واقتربت من "رينسنب" :

- أتمنى أن تعرفي يا "رينسنب" كم أنا تعسة مما حدث . اتعرفين لقد جاءت إليّ
في ذلك اليوم ، وعلى وجنتيها آثار يد "كيت" والدم يسيل من وجهها ، وأجبرت
"كاماني" على أن يكتب وأجبرتني على أن أقول ما رأيته ، وبالطبع لم يكن في
وسعي أن أقول إننى لم أر هذا ، آه إنها ذكية وكنت أفكر طوال الوقت في والدتك
العزيزة . تركتها "رينسنب" ومضت إلى الخارج في أشعة شمس العصر المحرقة . كانت
هناك ظلال داكنة على التلال وبدا العالم أجمع خياليا غريب الشكل في ساعة
الغروب هذه . وأسرعت خطى "رينسنب" وهي تتخذ طريقها إلى الطريق المؤدي إلى
الجبيل لتصعد إلى المقبرة وستجد "حوري" هناك . أجل ستجد "حوري" ، فإن هذا
كان ما تفعله وهي صغيرة عندما تكسر إحدى لعبها ، أو عندما تكون خائفة أو
مرتبكة . إن "حوري" مثل الجبال ، ثابت لا يتحول ولا يغيره شيء . فكرت
"رينسنب" باضطراب : "سيكون كل شيء على ما يرام عندما أصل إلى
"حوري" .. وأسرعت ، كانت تجري تقريبا . ثم فجأة رأت "ساتيبي" آتية نحوها .
إن "ساتيبي" أيضا قد صعدت إلى المقبرة . كم تبدو الطريقة التي تسير بها
"ساتيبي" غريبة تمايل من ناحية إلى أخرى وتتعثر كما لو كانت لا ترى ما أمامها .
وعندما رأت "ساتيبي" "رينسنب" توقفت ووضعت يدها على صدرها ، وأجفلت
"رينسنب" حينما اقتربت ورأت وجه "ساتيبي" :

- ما بك يا "ساتيبي"؟ هل أنت مريضة؟ وأجاب "ساتيبي" بصوت مثل نعيب

الغراب وعيناها تتحركان من ناحية لآخرى:

- كلا.. كلا.. بالطبع لا.

- إنك تبدين مريضة ويبدو عليك الخوف. ماذا حدث؟

- ماذا كان يجب أن يحدث؟ لا شيء بالطبع.

- أين كنت؟

- صعدت إلى المقبرة، لأرى "ياموس" ولم يكن هناك. لم يكن هناك أحد. كانت

"رينسنب" ما تزال تحدق إلى "ساتيبي". إن "ساتيبي" هذه جديدة عليها.

"ساتيبي" قد استنزفت منها كل شجاعته وحزمها.

- هيا يا "رينسنب". ارجعي إلى المنزل. ووضعت "ساتيبي" يدها التي ترتعش

قليلا على ذراع "رينسنب" وهي تحثها على الرجوع، وشعرت "رينسنب" عندما

لمستها "ساتيبي"، بثورة مفاجئة.

- لا.. إني صاعدة إلى المقبرة.

- أقول لك إنه لا يوجد أحد هناك.

- أحب أن أجلس هناك وأنظر إلى النهر.

- لكن الشمس تغرب. لقد تأخر الوقت. وأمسكت أصابع "ساتيبي" بشدة

بذراع "رينسنب"، وشدت "رينسنب" ذراعها بقوة وأفلتت من قبضة "ساتيبي".

- لا تمسكي بي هكذا، دعيني أذهب يا "ساتيبي".

- لا، عودي، عودي معي. ولكن "رينسنب" كانت قد أفلتت منها ومضت

متخطية إياها في طريقها إلى الجبل. هناك أمر ما، إن غريزتها تقول لها هذا..

وأسرعت خطاها حتى أصبحت تجري. ثم رأتها.. الكومة الداكنة الراقدة في ظل

الجبل.. وأسرعت حتى وقفت بجانبها، لم تدش لما رآته، كما لو أنها كانت

تتوقعه. كانت "نوفريت" ممددة ووجهها إلى أعلى وقد تحطم جسدها والتوى

وكانت عيناها مفتوحتين دون حياة. انحنى "رينسنب" ولمست الوجنة الباردة ثم

انتصبت مرة أخرى ووقفت تنظر إليها ولم تسمع "ساتيبي" وقد صارت خلفها.

كانت "ساتيبي" تقول:

- لا بد من أنها سقطت، إنها سقطت ووقعت لقد كانت تمشي على حافة الجبل

ووقعت. وفكرت "رينسنب": "نعم إن هذا هو ما حدث. لقد سقطت "نوفريت"

من درب الجبل وقد ارتطم جسدها بالصخور الجيرية». استطردت "ساتيبي":
- من الجائز أنها رأت ثعبانا وأجفلت. هناك ثعبانين تنام في الشمس في هذا الطريق في بعض الأحيان. «ثعبانين. نعم ثعبانين "سويك" والثعبان. ثعبان وقد تحطم ظهره ملقى ميتا في الشمس.. "سويك" وعيناه تلمعان. فكرت "رينسنب": "سويك" .. "نوفريت" ..» ثم جاءت المعونة فجأة عندما سمعت صوت "حوري":
- ماذا حدث؟ واستدارت بارتياح.. لقد جاء "ياموس" و"حوري" معا وكانت "ساتيبي" تشرح بحماس أن "نوفريت" لا بد من أن تكون قد وقعت من أعلى الطريق. قال "ياموس":

- لا بد أنها سعدت لتقابلنا ولكن "حوري" وأنا كنا نفتش على قنوات الري. لقد تغيبنا ساعة على الأقل ورأيناكما واقفتين هنا ونحن عائدان... وقالت "رينسنب" وقد أدهشها صوتهما الغريب:

- أين "سويك"؟ وشعرت بـ"حوري" وهو يدير رأسه بحدة عند سماعه لهذا السؤال. وبدا من صوت "ياموس" أنه في حيرة حينما قال:
- "سويك"؟ لم أره طوال بعد الظهر بعد أن تركنا في المنزل وهو غاضب. ولكن "حوري" كان ينظر إلى "رينسنب"، ورفعت عينيها وقابلت عينيه ورآته يحول نظرتة عنها وينظر مفكرا إلى أسفل نحو جسد "نوفريت" وأدركت بالضبط ما يفكر فيه. ثم تتم متسائلا:

- "سويك"؟ وسمعت "رينسنب" نفسها وهي تقول:
- آه.. كلا.. آه.. كلا.. قالت "ساتيبي" بعجلة مرة أخرى:
- إنها وقعت من فوق الطريق الجبلي.. إنه ضيق في هذه المنطقة، وخطر.. فكرت "رينسنب": «خطر؟ ما الذي قاله "حوري" لها مرة؟ حكاية عن "سويك" إذ هاجم "ياموس" وهو طفل، وإن والدتها المتوفاة أبعدهما عن بعض وقالت: لا يجب أن تفعل هذا يا "سويك". إنه خطر.. "سويك" يحب القتل. سافعله، سافعله بسرور... "سويك" وهو يقتل الثعبان. "سويك" يقابل "نوفريت" في هذا الطريق الضيق.. وسمعت نفسها وهي تغمغم بارتباك:

- نحن لا نعرف، نحن لا نعرف. ثم سمعت بارتياح لا حد له وبشعور من أزيح عنه حمل ثقيل، صوت "حوري" الجاد وهو يؤيد ويزيد من قيمة تأكيدات "ساتيبي":

- لابد من أنها سقطت من فوق الطريق الجبلي ... وتقابلت عيناه مع عيني "رينسنب" وفكرت: "هو وأنا سنعرف .. سنعرف دائما.." وسمعت صوتها يقول بارتعاش:

- لقد سقطت من الطريق الجبلي .. ومثل صدى أخير للنغم جاء صوت "ياموس" الرقيق:

- إنها لابد من أن تكون قد سقطت من فوق الطريق الجبلي .

الفصل العاشر

جلس "أمحتوب" في مواجهة "أسا" وقال متبرما:

- إنهم يروون جميعا نفس الرواية. قالت "أسا":

- هذا على الأقل شيء مريح.

- مريح ... مريح؟ ما أغرب الكلمات التي تستعملينها. وضحكت "أسا" ضحكة قصيرة:

- أنا أعرف ما أقوله يا بني. قال "أمحتوب" بصوت يندر بالسوء:

- هل يذكرون الحقيقة؟ هذا ما علي أن أقره...

- إنك لست الإله "مات" ولا تستطيع مثل "عنابيس" أن تزن القلب في الميزان.

- هل كان حادثا؟ وهز "أمحتوب" رأسه كقاض .. إن علي أن أتذكر أن إعلان نياتي تجاه عائلتي الناكرة للجميل قد يكون أثار بعض الانفعالات.

- نعم بالفعل أثيرت الانفعالات، وكانوا يصيحون في البهو الرئيسي لدرجة انه كان في وسعي سماع ما يقال من غرفتي هنا، وعلى فكرة هل كانت هذه هي نياتك حقا؟ وتلملم "أمحتوب" بعدم ارتياح وهو يغمغم:

- كنت غاضبا وأنا اكتب .. وكنت على حق في غضبي كانت أسرتي تحتاج إلى درس قاس.

- بمعنى آخر كنت تنوي مجرد إخافتهم. اليس كذلك؟

- هل هذا يهم الآن يا أمي العزيزة؟

- إنني أرى أنك لم تكن لتعرف ما تنوي أن تفعله. تفكير مشوش كالمعتاد.

وتحكم "أمحتوب" بجهد في انفعاله:

– إن ما أعنيه ببساطة هو أن هذه النقطة لم يعد لبحثها مجال. إن ما هو محل بحث الآن هو ظروف موت "نوفريت". فلو اقتنعت بأن أي فرد من أسرتي يمكن أن يكون غير مخلص وغير متزن في غضبه لدرجة أن يؤدي جزافا الفتاة: أنا، أنا لا أعرف حقيقة ما أفعله في هذه الحالة.

– لذلك فإنه من حسن الحظ أنهم جميعا يروون نفس الرواية. لم يلمح أحد إلى شيء، أليس كذلك؟
– بالتأكيد لا.

– إذن لماذا لا تعتبر الحادث منتهيا؟ كان يجب أن تأخذ الفتاة معك إلى الشمال.. لقد قلت هذا في ذلك الوقت.

– إذن فانت تعتدين. قالت "أسا" وهي تشدد على كلماتها للتأكيد:
– أنا أصدق ما يقال لي ما لم يتعارض مع ما رأيته بعيني، وهذا يحدث قليلا جداً الآن، أو سمعته بأذني. أنت استجوبت "هينيت" على ما أظن. ما الذي قالته عن هذا الموضوع؟

– إنها حزينة جداً، إنها مغمومة جداً من أجلي. ورفعت "أسا" حاجبها:
– أحقا؟ أنت تدهشني. قال "أمحتوب" بحماس:
– إن لـ "هينيت" قلباً كبيراً.

– بالضبط ولها أيضا لسان أطول من المعتاد، لو كان رد فعلها الوحيد هو الحزن على فجيعتك فإنني بالتأكيد لو كنت في مكانك فستأظر للموضوع على أنه قد انتهى، وهناك أمور أخرى عديدة تسترعي انتباهك.

– نعم بالفعل... ونهض "أمحتوب" وقد استعاد أسلوبه الصاخب المهم:
– "ياموس" ينتظرني الآن في البهو الرئيسي، ولديه كثير من الأمور المتنوعة التي تتطلب عنايتي العاجلة، وهناك قرارات عديدة تنتظر موافقتي عليها، وكما تقولين فإن الحزن الشخصي لا يصح أن يحل محل الوظائف الرئيسية للحياة. وهرع خارجا. وابتسمت "أسا" لبرهة ابتسامة فيها شيء من التهكم، ثم ظهر الجدد مرة أخرى على وجهها وتنهدت وهزت رأسها.

كان "ياموس" ومعه "كاماني" ينتظر أباه، وشرح لآبيه سبب غياب "حوري" الذي كان يشرف على عمل والحنوطية الذين كانوا مشغولين في أول مراحل إعداد الجنازة. كان "أمحتوب" قد استغرق بضعة أسابيع في رحلته عائداً إلى منزله، بعد أن تلقى نبأ موت "نوفريت"، وكانت استعدادات الجنازة قد تمت الآن، فالجثمان قد نُقِعَ الفترة الطويلة المطلوبة في محلول الماء المخصوص، وقد أعيد إلى شكله الأصلي وسُكِبَ عليه الزيت وذلك بالأملاح ولُفَ في لفائفه كما يجب ووضع في نعشه. وأوضح "ياموس" لآبيه أنه قد اختار لـ "نوفريت" حجرة صغيرة للدفن بجوار المقبرة الحجرية التي شيدت لتضم جثمان "أمحتوب" نفسه، ومضى يشرح بالتفصيل ما قد أمر به وأعرب "أمحتوب" عن موافقته على كل هذا. قال "أمحتوب" بحنو:

– خيراً ما فعلت يا "ياموس". يبدو أنك قد أظهرت رأياً سديداً جداً وأنتك تصرفت بحكمة. واحمر وجه "ياموس" قليلاً لهذا الإطراء غير المنتظر، ومضى "أمحتوب" يقول:

– إن "إيبي" و"منتو" هما بالطبع محنطان يكلفان الكثير فمثلاً هذه الأوعية لحفظ الأحشاء تبدو لي غالية دون سبب، وليس هناك حاجة في الحقيقة إلى كل هذا الإسراف، ويبدو لي أن الكثير من قوائمهم غالية الثمن وهذا هو الحال مع الحنوطية الذين استخدمتهم عائلة الحاكم، فإنهم يعتقدون أن بإمكانهم طلب أية أسعار خيالية كما يشاءون. كان الأمر سيتكلف أقل بكثير لو استخدمنا أناساً آخرين غير مشهورين مثلهم. قال "ياموس":

– كان عليّ – في غيابك – أن أقرر هذه الأمور، وكنت مهتماً بأن يُعطى كل الاحترام المحظية تكن لها كل هذا الحب. وأوماً "أمحتوب" وريت كتف "ياموس".

– كانت هذه غلطة مباحة يا بني، فانت كما أعرف عادة حريص جداً في الأمور المالية، وأنا أقدر أنك في هذا الموضوع قد أنفقت مبالغ بلا حاجة لكي تسعدني. ولكن مع كل فانا لست غنياً جداً، والمحظية هي مجرد محظية. اعتقد أننا سنلغي الأحجبة الغالية، ودعني أرى هناك بعض الوسائل لتخفيض المصروفات.. اقرأ قائمة المصروفات يا "كاماني". وقلب "كاماني" الأوراق وتنهّد "ياموس" بارتياح.

خرجت "كيت" ببطاء من المنزل، وذهبت إلى البحيرة وتوقفت حيث كان الاطفال والأمهات. قالت "كيت":

- إنك كنت على حق يا "ساتيبي" فإن محظية على قيد الحياة ليست كمحظية ميتة، ونظرت إليها "ساتيبي" بعين لا ترى، وكانت "رينسنب" هي التي سألت بسرعة:

- ماذا تعنين يا "كيت"؟

- لم يكن هناك شيء يغلو على المحظية الحية.. الملابس والجواهر.. وحتى إرث "أمحتوب" وحرمان من هم من لحمه ودمه منه، ولكن "أمحتوب" الآن مشغول بإنقاص نفقات الجنازة، وعلى كل حال فلماذا يصرف نقوده على امرأة ميتة؟ نعم يا "ساتيبي" كنت على صواب. وتمتت "ساتيبي":

- ماذا قلت؟ لقد نسيت.. ووافقتها "كيت":

- نعم هذا أفضل. أنا أيضا نسيت وكذلك "رينسنب". نظرت "رينسنب" إلى "كيت" دون أن تتكلم. كان هناك شيء ما في صوت "كيت"، شيء فيه قليل من التهديد لم يعجب "رينسنب". كانت معتادة دائما أن تفكر في "كيت" كامرأة غبية نوعا، امرأة رقيقة ومطبعة ولكن كمية مهملة نوعا. وصدمت الآن بأن "كيت" و"ساتيبي" بدتا كمن تبادلتا شخصيتيهما، ف"ساتيبي" المسيطرة المشاكسة أصبحت مذعنة بل وتقريبا جبانة، و"كيت" الهادئة تبدو الآن مسيطرة على "ساتيبي". وفكرت "رينسنب": "ولكن الناس لا يغيرون شخصياتهم حقاً، أم هل يغيرونها؟" وشعرت بحيرة: "هل تغيرت "كيت" و"ساتيبي" حقاً في الأسابيع القليلة الماضية، أم هل التغيير الذي طرأ على واحدة هو نتيجة لتغير الأخرى؟ هل هي "كيت" التي أصبحت مشاكسة؟ أم هل تبدو هكذا بسبب انهيار "ساتيبي" المفاجئ؟ إن "ساتيبي" قطعاً متغيرة، فصوتها لم يعد يرتفع بنبراته الحادة المألوفة، وأصبحت تمشي في الفناء وفي البيت بطريقة عصبية ومنكمشة لا تشبه في شيء طريقتها العادية المعتدة وكانت "رينسنب" قد نسبت هذا التغيير إلى صدمة موت "نوفريت"، ولكن ما لا يصدق أن تدوم تلك الصدمة هذه المدة الطويلة. ولم تتمالك "رينسنب" نفسها من التفكير إنه كان من الأقرب لطبيعة "ساتيبي" أن

تكون قد ابتهجت -دون مواربة كأمر واقعي- لموت المحظية المفاجئ، ولكن على العكس من هذا كانت تنكمش بعصبية كلما ذكر اسم "نوفريت". وحتى "ياموس" أعفي من سيطرتها وشجارها، وبدأ نتيجة لذلك في اتخاذ سلوك أكثر حزما، وعلى أي حال فإن التغيير الذي حدث لـ"ساتيبي" كان تغيرا حسنا.. أو هكذا على الأقل ما تظنه "رينسنب" ولكن كان هناك مع ذلك شيء ما في هذا التغيير يجعلها غير مرتاحة.. وفجأة أجفلت "رينسنب" عندما أدركت أن "كيت" تنظر إليها عابسة، وأدركت أنها تنتظر كلمة موافقة على ما قالته. ورددت "كيت": - إن "رينسنب" أيضا قد نسيت. وفجأة شعرت "رينسنب" بثورة من الغضب تغمرها. لن تلمي عليها "كيت" أو "ساتيبي" أو أي شخص آخر ما يجب وما لا يجب أن تذكره. وقابلت نظرة "كيت" بحزم وب نظرة واضحة من التحدي. قالت "كيت":

- إن نساء الدار يجب أن يقفن معا. واستطاعت "رينسنب" أن تتكلم أخيرا وقالت بوضوح وتحد:

- لماذا؟

- لأن مصالحنهن واحدة. وهزت "رينسنب" رأسها بعنف وفكرت بارتباك: «أنا بجانب كوني امرأة إنسانة لي كياني المستقل.. إنني "رينسنب"». وقالت بصوت عال:

- ليس الأمر بهذه البساطة.

- هل تريدان إثارة المتاعب يا "رينسنب"؟

- كلا، على أي حال ماذا تعنين بالمتاعب؟

- إن كل شيء قليل في البهو الرئيسي في ذلك اليوم من الأفضل نسيانه. وضحكت "رينسنب" وقالت:

- أنت غبية يا "كيت" فإن الخدم والعبيد وجدتي وكل شخص سمعوا بالتأكيد، ولماذا ندعي أن أشياء لم تحدث بينما هي حدثت فعلا؟ قالت "ساتيبي" في صوت كئيب:

- كنا غاضبين، ولم نكن نعني ما نقوله... وأضافت بعصبية:

- كفي عن الحديث في هذا الموضوع يا "كيت". إذا كانت "رينسنب" تريد إثارة

المتاعب فدعيها تفعل. وقالت "رينسنب" باستنكار:

- أنا لا أريد إثارة متاعب ولكن من الغباء التظاهر بما ليس حقيقيا. قالت "كيت":

- لا.. إن من الحكمة أن نفعل هذا ويجب أن تراعي "قيتي".

- إن "قيتي" بخير.

- إن كل شيء بخير الآن وقد ماتت "نوفريت" .. وابتسمت "كيت". كانت ابتسامة هادئة قانعة وصافية، ومرة أخرى شعرت "رينسنب" بموجة من الثورة تجتاحها، ومع ذلك فإن ما قالته حقيقي، فإنه الآن -وقد ماتت "نوفريت" - أصبح كل شيء على ما يرام، فإن "ساتيبي" و"كيت" وهي والأطفال أصبحوا آمنين، في سلام، ودون خوف من المستقبل. والدخيلة الغريبة التي كانت تهددهم وتقلقهم قد رحلت إلى الأبد. إذن لماذا هذه المشاعر الثائرة التي لا تفهمها بخصوص "نوفريت"؟ لماذا هذا الشعور بمناصرة الفتاة الميتة التي لم تكن لتحبها؟ كانت "نوفريت" شريرة وقد ماتت. ألا يمكن أن يترك الأمر عند هذا الحد..؟ لم هذا الشعور المفاجئ بالرافقة، بل أكثر من الرافقة، بشيء يكاد يكون عطفيا؟ وهزت "رينسنب" رأسها بحيرة وجلست هناك بجوار الماء -بعد أن دخل الآخرون المنزل- وهي تحاول بلا جدوى أن تفهم هذه الخواطر المربكة التي تدور في رأسها. كانت الشمس قد قارت الغروب عندما رآها "حوري" وهو يعبر الفناء فجاء وجلس بجانبها.

- إن الوقت متأخرا "رينسنب". الشمس تغرب، من الأفضل أن تدخل. وكان لصوته الهادئ الرزين وقع مسكن لها كدأبه وتحولت إليه بسؤال:

- أيجب أن تتحد النساء اللاتي في بيت واحد؟

- من قال لك هذا يا "رينسنب"؟

- "كيت" هي و"ساتيبي" ... وتوقفت عن الكلام.

- وأنت ... تريد أن تستقلي بتفكيرك؟

- آه أفكر. أنا لا أعرف كيف أفكر يا "حوري" .. إن كل شيء مرتبك في رأسي. الناس مربكون، الجميع مختلفون عما كنت أعتقد. كنت دائما أعتقد أن "ساتيبي" جسورة وحازمة ومسيطرة، ولكنها الآن ضعيفة ومتذبذبة وحتى خجولة. إذن ماذا تكون "ساتيبي" الحقيقية؟ إن الناس لا يمكن أن يتغيروا هكذا في يوم واحد.

- لا.. ليس في يوم.

- و"كيت" .. وهي التي كانت دائما مستسلمة وديعة تترك الجميع يسIRONها..
الآن تسيطر علينا جميعا حتى "سوبك" يبدو خائفا منها. وحتى "ياموس" أصبح
مختلفا إنه يصدر الأوامر وينتظر أن تطاع.

- وكل هذا يحيرك يا "رينسنب"؟

- نعم. لأنني لا أفهم. إنني أشعر في بعض الأحيان بأنه حتى "هينيت" يمكن أن
تكون مختلفة تماما عما تبدو. وضحكت "رينسنب" كما لو كان هذا شيئا غير
معقول، ولكن "حوري" لم يشاركها الضحك وظل وجهه جادا ومفكرا:

- إنك لم تفكري كثيرا في الناس قبل ذلك يا "رينسنب"؟ فلو كنت فكرت
لكنت أدركت. وتوقف ثم مضى يقول:

- أنت تعرفين أنه يوجد دائما باب وهمي في كل المقابر؟ وحدجته "رينسنب":

- نعم بالطبع.

- حسنا هكذا الناس أيضا. إنهم يخلقون بابا وهميا للتمويه. لو شعروا بضعف
أو بعدم كفاءة فإنهم يقيمون بابا مهيبا من الثقة بالنفس والغلو والتعالى الشامل،
ويدور الزمن ويبدوون هم أنفسهم في تصديق هذا. ويعتقد الجميع أنهم حقا
هكذا، ولكن خلف هذا الباب يا "رينسنب" مجرد حجر.. ولذلك عندما يمسه
الواقع بريشة من الصدق تظهر حقيقتهم، وبالنسبة إلى "كيت" فإن رقتها وخضوعها
جلبا لها ما كانت تمنناه، زوجها وأولادا وكان الغباء يسهل حياتها، ولكن عندما
هددها الواقع في صورة الخطر ظهرت على حقيقتها. إنها لم تتغير يا "رينسنب"، إن
هذه القوة والقسوة كانتا كامنتين فيها دائما. قالت "رينسنب" بسداجة:

- لكنني لا أحب هذا يا "حوري" فإنه يخيفني. إن الجميع مختلفون عما كنت
أظنهم، ولكن ماذا عن نفسي؟ إنني لم أتغير.

- أهذا صحيح؟ وابتسم لها وهو يقول:

- إذن لماذا جلست هنا كل هذه الساعات عابسة الجبين تفكرين وتتأملين؟ هل

كانت "رينسنب" السابقة - "رينسنب" التي ذهبت مع "فاي" - تفعل هذا أبدا؟

- آه كلا. لم يكن هناك داع، وتوقفت.

- أترين؟ لقد قلتها بنفسك. هذا هو الواقع، فإنه لم يكن هناك داع إلى هذا في

ذلك الوقت . إن الحاجة تتطور بالمرء، وأنت لست الطفلة السعيدة التي لا تفكر كما كنت تبدين وتتقبلين الأمور كما تبدو . أنت لست مجرد امرأة من أهل البيت . أنت "رينسنب" التي تريد أن تستقل بتفكيرها والتي تتساءل عن الآخرين . قالت "رينسنب" ببطء:

– كنت أتساءل عن "نوفريت" .

– تتساءلين عن ماذا؟

– كنت أتساءل لماذا لا أستطيع أن أنساها . . إنها كانت شريفة وقاسية وحاولت أن تؤذينا جميعا وقد ماتت، لماذا لا أترك الأمر عند هذا الحد؟

– هل تستطيعين أن تتركيه عند هذا الحد؟

– لا.. إني أحاول، ولكن.. وتوقفت ومسحت عينيها بحيرة:

– في بعض الأحيان أشعر بأنني أعرف أمورا عن "نوفريت" يا "حوري" .

– ماذا تعنين؟

– لا أستطيع أن أوضح ولكن . . بين الحين والآخر أشعر بهذا . . كما لو كانت هنا بجانبني . إني أشعر، أكاد أشعر... بأنني هي؛ ويبدو لي أنني أدرك ما كانت تشعر به . لقد كانت تعسة جداً يا "حوري" . . إني أعرف هذا الآن، ولو أنني كنت لا أعرفه في الماضي . كانت تريد أن تؤذينا كلنا؛ لأنها كانت تعسة جداً.

– لا يمكن أن تعرفي هذا يا "رينسنب" .

– بالطبع لا يمكنني أن أعرفه ولكن هذا ما أشعر به . تلك التعاسة والمرارة والحقد الدفين، لقد رأيتها في وجهها مرة ولم أفهم، لا بد أنها أحببت شخصا ثم حدث شيء ما، ربما مات أو رحل بعيدا، ولكن الأمر جعلها هكذا تريد أن تؤذي وتجرح . . آه . في وسعك أن تقول ما تشاء، ولكنني أعرف أنني على حق . لقد أصبحت محظية هذا الرجل العجوز، أبي، وجاءت إلى هنا ولم نحبها، وفكرت أن نتعسنا جميعا مثلها . . نعم هكذا جرت الأمور . ونظر إليها "حوري" بفضول:

– كم تبدين واثقة يا "رينسنب" ومع ذلك فأنت لم تعرفي "نوفريت" جيدا .

– ولكنني أشعر بأن هذه هي الحقيقة يا "حوري" . إني أشعر بها – "نوفريت" –

وفي بعض الأحيان أشعر بها قريبة جداً بجواربي .

– أجل . . أجل . . وسادت بينهما فترة سكون . كان الظلام يكاد يحل . ثم قال

"حوري" بهدوء:

- إنك تعتقدين، أليس كذلك، أن "نوفريت" لم تمت نتيجة حادث؟ أنت تعتقدين أنها أُلقيت إلى أسفل؟ وشعرت "رينسنب" بنفور شديد لهذه الكلمات التي تعبر في الواقع عما يدور في ذهنها:

- لا. لا تقل هذا.

- ولكنني أعتقد يا "رينسنب" أنه من الأفضل أن نقوله، بما أنه يجول بخاطرك.. أعتقدين هذا؟

- أنا؟ نعم. وأحنى "حوري" رأسه مفكرا ومضى يقول:

- وأنت تعتقدين أن "سويك" هو الفاعل؟

- ومن يمكن أن يكون غيره؟ أتذكره مع الشعبان؟ أتذكر ما قاله في ذلك اليوم- يوم وفاتها- قبل أن يخرج من البهو الكبير؟

- نعم إنني أذكر ما قاله. لكن في معظم الأحيان ليس الذين يتكلمون كثيرا هم الذين يفعلون.

- لكن ألا تعتقد أنها قتلت؟

- نعم أنا أعتقد هذا، ولكن هذا فضلا على كونه مجرد رأي فليس عندي دليل عليه. ولا أعتقد أنه يمكن أن يوجد أبدا دليل. لهذا شجعت "أمحتوب" على تقبل الأمر كحادث. إن شخصا ما دفع "نوفريت"، ولن نعرف أبدا من هو.

- أتعني أنك لا تعتقد أنه كان "سويك".

- أنا لا أعتقد هذا ولكن أقول لا يمكن أن نعرف أبدا؛ لذلك فمن الأفضل ألا نفكر في هذا.

- ولكن إن لم يكن "سويك" فمن تظنه يكون؟ وهز "حوري" رأسه:

- لو كانت لدي فكرة، فقد تكون خاطئة. لذلك فمن الأفضل ألا أقولها..

- إذن لن نعرف أبدا. كان ثمة قنوط في صوت "رينسنب".

- ربما... وتردد "حوري":

- ربما كان هذا أفضل شيء.

- الأ نعرف؟

- ألا نعرف. وارتعشت "رينسنب":

— ولكن إذا... آه "حوري" أنا خائفة.

الفصل الحادي عشر

انتهت المراسم وألقيت التعاويذ طبقا للواجب وأخذ "منتو" الكاهن المبجل من معبد "هاتور" المكتسة المصنوعة من الحشائش، وكنس بها بعناية الحجرة وهو يتلو الطلاس؛ لإزالة آثار كل الأرواح الشريرة قبل أن يغلق باب المقبرة ويبرشمه إلى الأبد. ثم برشم الباب ووضع كل ما تبقى مما استعمله الحنوطية: أوعية مليئة بالقطران، ملح وأقمشة لامست الجثمان في حجرة مجاورة وبرشمت هذه الحجرة أيضا. وشد "أمحتوب" قامته وأخذ نفسا طويلا وتخلى عن مظهره الجنائزي، إن كل شيء تم بأفضل طريقة مناسبة، لقد دفنت "نوفريت" حسب الطقوس الدينية المقررة ولم تقتصد أي نفقات، فإن بعض النفقات لم يكن لها داع في رأي "أمحتوب". تبادل "أمحتوب" التحيات مع الكهنة، الذين بعد أن فرغوا من عملهم المقدس، عاودوا سلوكهم كرجال مجتمع. ونزل الجميع إلى المنزل حيث كانت تنتظرهم مرطبات مناسبة، وتناقش "أمحتوب" مع الكاهن المبجل في التغييرات السياسية الحديثة، إن "طيبة" كانت تتحول بسرعة إلى مدينة قوية جدا، وأصبح من الممكن أن تتحد "مصر" مرة أخرى تحت حكم واحد بعد فترة وجيزة، وربما يعود العهد الذهبي لباني الأهرامات. تكلم "منتو" باحترام مؤيدا الملك "رع" وهو جندي من الطراز الممتاز ورجل دين أيضا. إن الشمال الفاسد الجبان لن يستطيع أن يصمد أمامه، "مصر" الموحدة هذا ما تحتاج إليه البلاد، وسيعني هذا بدون شك— شأننا عظيما لـ"طيبة"... وتكلم الرجال معا وتناقشوا في المستقبل. نظرت "رينسنب" خلفها إلى الجبل وغرفة المقبرة المغلقة وغمغمت:

— إذن هذه هي النهاية واجتاحها شعور بالراحة. لقد كانت تخشى شيئا لا تكاد تتبينه. اتهام أو انفجار في آخر دقيقة؟ ولكن كل شيء قد تم بهدوء ودفنت "نوفريت" كما يجب وفق كل الطقوس الدينية، تلك هي النهاية.. قالت "هينيت" بصوت منخفض:

— إنني آمل هذا، أنا بالتأكيد آمل هذا يا "رينسنب". واستدارت "رينسنب"

نحوها:

- ماذا تعنين يا "هينيت"؟ وتحاشت "هينيت" نظراتها:
- إنما قلت إنني آمل أن هذه هي النهاية. في بعض الأحيان يكون ما تعتقدين أنه
النهاية هو مجرد البداية. ولن يكون هذا طيباً أبداً. قالت "رينسنب" بغضب:
- ما الذي تتكلمين عنه يا "هينيت"؟ ما الذي تلمحين إليه؟
- أنا لا ألمح أبداً يا "رينسنب". أنا لا أقول شيئاً من هذا القبيل إطلاقاً. لقد
دفنت "نوفريت" والكل راضٍ ولذلك فإن كل شيء كما يجب.
- هل سالك أبي عما تعتقدينه بخصوص موت "نوفريت"؟
- نعم يا "رينسنب". كان مهتماً جداً أن أقول له ما أعتقد بالضببط عن كل
هذا.

- وماذا قلت له؟

- حسناً بالطبع قلت له "إنني أعتقد أنها كانت حادثة، ولا يمكن أن يكون غير
ذلك؟" قلت له "أنت نفسك لا تعتقد ولو لدقيقة أن أي فرد من أسرتك يؤدي
الفتاة؟ إنهم لا يجروون على ذلك. إنهم يحترمونك جداً. قد يتدمرون ولكن لا
يفعلون أكثر من هذا بوسعك أن تصدق ما يجري به لساني. لم يجز شيء من هذا
القبيل". وأومات "هينيت" وضحكت فقالت "رينسنب":

- وهل صدقك أبي؟ وأومات "هينيت" مرة أخرى برضاء شديد:

- آه، إن أباك يعرف كم أنا متفانية في مصالحه، وهو دائماً يصدق كلام "هينيت"
العجوز في أي أمر، وهو يقدرني وإن لم يقدرني أحد منكم. آه حسناً إن في تفاني
لكم جميعاً جزائي ولا أنتظر أي شكر. قالت "رينسنب":
- كنت أيضاً متفانية لـ "نوفريت".

- لا أعرف من أين واتتك هذه الفكرة يا "رينسنب". كان عليّ أن أطيع الأوامر
مثل الجميع.

- كانت تعتقد أنك متفانية لها. وضحكت "هينيت" مرة أخرى:

- إن "نوفريت" لم تكن ذكية كما كانت تظن نفسها. كانت فتاة متكبرة تعتقد
أن الأرض ملكها. حسناً إن عليها إرضاء قضاء العالم الأسفل الآن، ولن ينقصها
هناك وجه جميل، على أي حال لقد تخلصنا منها، وأضافت بصوت منخفض وهي
تلمس أحد أحجبتها:

– على الأقل آمل هذا.

-2-

- "رينسنب" أريد أن أتحدث معك بخصوص "ساتيبي".
– نعم يا "ياموس". ونظرت "رينسنب" بود إلى وجه أخيها الرقيق البادي القلق.
قال "ياموس" ببطء وثقل:
– هناك شيء ليس على ما يرام بـ "ساتيبي" وأنا لا أفهمه. هزت "رينسنب" رأسها بحزن، لم تجد كلمات مطمئنة لتقولها. ومضى "ياموس" يقول:
– لقد لاحظت هذا التغيير فيها منذ بعض الوقت. إنها تجفل وترتعش من أي صوت غير مالوف. وهي لا تاكل ما فيه الكفاية. إنها تمشي زاحفة، كما لو كانت خائفة من خيالها.. لا بد من أنك لاحظت هذا يا "رينسنب"؟
– نعم لقد لاحظناه جميعا.
– لقد سألتها إن كانت مريضة، وهل أبعث في طلب طبيب؛ ولكنها تقول ليس بها شيء وأن صحتها جيدة.
– أعرف.
– إذن لقد سألتها أنت أيضا؟ ولم تقل لك شيئا... لا شيء بالمرّة. وضغط على الكلمات الأخيرة، وعطفت "رينسنب" عليه لقلقه، ولكن لم يكن لديها ما تقوله لتساعده.
– إنها مصممة على أنها بخير. وتتمم "ياموس":
– إنها لا تنام جيدا ليلا وهي تبكي وهي نائمة، هل هي... هل يمكن أن يكون لديها شيء لا نعرفه يحزنها؟ وهزت "رينسنب" رأسها.
– لا أدري ثم يكون هذا. فالأولاد على ما يرام ولم يحدث شيء هنا، إلا موت "نوفريت" بالطبع، وأضافت بجفاء:
– ولا اعتقد أن "ساتيبي" ستحزن من أجل هذا. ابتسم "ياموس" قائلا:
– لا أبدا بل بالعكس، وإلى جانب هذا فإن هذه الحالة بدأت منذ بعض الوقت. لقد بدأت كما اعتقد قبل موت "نوفريت". كانت نبراته مترددة قليلا، ونظرت إليه "رينسنب" سريعا وقال "ياموس" بإصرار رقيق:

- قبل موت "نوفريت". ألا تعتقدين هذا؟ قالت "رينسنب" ببطء:
- لم لاحظ هذا إلا بعد الوفاة.
- ولم تقل لك شيئاً، أنت متأكدة؟ وهزت "رينسنب" رأسها وقالت:
- ولكن أتعرف يا "ياموس" لا أعتقد أن "ساتيبي" مريضة. بل يبدو لي - أكثر
من هذا - إنها خائفة. هتف "ياموس" بدهشة:
- خائفة؟ ولكن لماذا تخاف "ساتيبي"؟ ومن ماذا؟ إن "ساتيبي" كانت لديها
دائماً الشجاعة: شجاعة الأسد. قالت "رينسنب" وقد أسقط في يدها:
- أنا أعرف. كانت هذه فكرتنا جميعاً عنها، ولكن الناس تتغير هذا أمر غريب.
- هل تعتقدين أن "كيت" تعرف شيئاً ما؟ هل تكلمت "ساتيبي" معها؟
- الأرجح أن تتكلم معها بدلا من أن تتكلم معي، ولكنني لا أعتقد هذا. بل في
الواقع إنني واثقة بما أقول.
- وما رأي "كيت"؟
- "كيت"؟ "كيت" لا تفكر أبداً في أي شيء. وكانت "رينسنب" تفكر: "كل
ما فعلته "كيت" أنها استغلت وداعة "ساتيبي" غير العادية للاستيلاء لنفسها
والأولادها على أرقى الأقمشة المنسوجة، وهو أمر لم يكن ليُسَمَّحَ به لها قط لو كانت
"ساتيبي" في حالتها الطبيعية، فالمنزل كان سيمتلئ في هذه الحالة بالمشاحات
الحامية"، وكان غريباً أن "ساتيبي" قد سمحت بهذا دون كلمة معارضة وقد أثر هذا
في "رينسنب" أكثر من أي شيء آخر. سألت "رينسنب":
- هل تحدثت مع "أسا"؟ إن جدتنا خبيرة بالنساء وبطرقهن. قال "ياموس"
بامتعاضة خفيفة:
- إن "أسا" طلبت مني أن أكون شاكرة لهذا التغيير. وهي تقول إنه لا يمكن أن
يأمل المرء في أن "ساتيبي" ستبقى طويلاً لطيفة ومعتدلة لهذه الدرجة. قالت
"رينسنب" ببعض التردد:
- هل سألت "هينيت"؟
- "هينيت"؟ وعبس "ياموس"، ثم قال:
- لا.. أنا بالطبع لا أتحدث مع "هينيت" في هذه الأمور. فإنها تتدخل فيما لا
يعنيها وفوق ذلك فإن أبي يفسدها بتدليلها.

آه أنا اعرف هذا. إنها متعبة جداً. ولكن "هينيت" في العادة تعرف أمورا كثيرة. قال "ياموس" ببطء:

هل لك أن تسألها أنت يا "رينسنب"؟ وأن تخبريني بما تقوله؟

لو أردت. ثم سألتها "رينسنب" في وقت كانت هي و"هينيت" وحدهما وكانتا في طريقهما إلى مكان الغزل، وأدهشها أن سؤالها قد أزعج "هينيت" التي كان ينقصها شوقها المعتاد للقبيل والقال. لمست "هينيت" تعويذة كانت تلبسها ونظرت خلفها.

هذا شيء لا يعنيني بالتأكيد.. وليس لي أن لاحظ إذا كان شخص ما على طبيعته أم لا، أنا لا أتدخل في غير شؤوني ولو كانت هناك متاعب فإنني لا أريد أن أتورط فيها.

متاعب؟ أي نوع من المتاعب؟ ألقت عليها "هينيت" نظرة جانبية سريعة. وقالت:

ليس من أي نوع كما آمل، وعلى أي حال متاعب لا داعي إلى أن يكون لنا بها شأن فانت وأنا يا "رينسنب" لا شيء نلوم أنفسنا عليه وهذه تعزية كبيرة لي.

هل تعنين أن "ساتيبي" ... ماذا تعنين؟

أنا لا أعني شيئاً يا "رينسنب"، وأرجوك ألا تقولي شيئاً لم أقله. لست أكثر من خادمة في هذا المنزل، وليس من شأني إبداء الآراء في أمور لا تخصني. ولو سألتني رأيي لقلت إن هذا تغير إلى الأفضل، وإذا لم يتطور فإنه أحسن لنا جميعاً. والآن عن إذنك يا "رينسنب" فإن علي أن أتأكد أنهم يعلمون القماش بالتاريخ الصحيح فإن هؤلاء النساء مهملات، وهن يتكلمن ويضحكن دائماً ويهملن عملهن. وراقبتها "رينسنب"، غير مقتنعة، وهي تهرع إلى المنزل، ثم مشت "رينسنب" ببطء راجعة إلى المنزل، ولم تسمعها "ساتيبي" عندما دخلت غرفتها، وقد أجفلت واستدارت صارخة عندما لمست "رينسنب" كتفيها.

آه لقد أفرغتني. لقد ظننت..

"ساتيبي" .. ما الأمر؟ ألا تقولين لي؟ إن "ياموس" قلق من أجلك و..؟ وارتفعت يد "ساتيبي" بسرعة لشفتيها، وقالت وهي تتلعثم بعصبية وقد فتحت عينيها واسعتين وهي خائفة:

- "ياموس"؟ ماذا... ماذا قال؟
- إنه قلق. فانت تتكلمين وأنت نائمة؟
- "رينسنب". وأمسكت "ساتيبي" ذراعها:
- هل قلت... ماذا قلت؟ كانت عيناها قد اتسعت من الرعب. واستطردت
قائلة:

- هل يعتقد "ياموس"... ماذا قال لك؟
- إن كلانا يعتقد أنك مريضة... أو... أو تعيسة.
- تعيسة؟ رددت "ساتيبي" الكلمة بطريقة غريبة وبصوت منخفض.
- هل أنت تعيسة يا "ساتيبي"؟
- ربما.. أنا لا أعرف. لا ليس هذا هو الحال.
- لا. إنك خائفة أليس كذلك؟ وحدجتها "ساتيبي" بعداء مفاجئ.
- لماذا تقولين هذا؟ لماذا أخاف؟ ماذا هناك ليخيفني؟
- أنا لا أعرف. لكن هذه هي الحقيقة أليس كذلك؟ واستردت "ساتيبي" بجهد
طريقتها المتصنعة المتعجرفة القديمة وألقت برأسها إلى الوراء.
- أنا لست خائفة من أي شيء.. أو أي واحد. كيف تجرئين على الإيعاز لي
بشيء من هذا القبيل يا "رينسنب"؟ إنني لا أسمح لك بالتحدث عني مع
"ياموس". أنا و"ياموس" نفهم بعضنا. وتوقفت ثم قالت بحدة:
- "نوفريت" قد ماتت وتخلصنا منها. هذا ما أقوله وبوسعك أن تقولني لاي
واحد يسالك أن هذا هو شعوري تجاه موتها. قالت "رينسنب" متسائلة:
- "نوفريت"؟ واشتاطت "ساتيبي" غضبا، وجعلها ذلك تبدو كما كانت من
قبل:

- "نوفريت"، "نوفريت"، "نوفريت". إنني سئمت سماع هذا الاسم. لا حاجة
بنا في هذا المنزل إلى سماعه بعد الآن وشكرا للآلهة على ذلك. وانخفض فجأة
صوتها الذي كان قد ارتفع عندما دخل "ياموس" الحجرة وقال بحزم غير عادي:
- خفصي صوتك يا "ساتيبي"، لو سمعك أبي لثارت متاعب جديدة. كيف
يمكنك التصرف بهذه الرعونة؟ وكما كانت نبرات "ياموس" الحازمة المستاءة غير
مالوفة، كذلك أيضا كانت وداعة "ساتيبي" المفاجئة وتمتت:

- أنا آسفة يا "ياموس" .. لم أفكر.

- حسنا كوني حذرة أكثر في المستقبل. أنت و"كيت" أثرتما أكثر المتاعب في الماضي. فانتن -يا معشر النساء- لا إدراك لكن. تمتت "ساتيبي" مرة أخرى:

- إني آسفة. وخرج "ياموس" وقد شد قامته وأصبحت خطاه أثبت مما كانت كما لو أن إثباته لسيطرته لمرة واحدة قد أفادته. ومضت "رينسنب" ببطاء نحو غرفة "أسا" العجوز، وكانت تشعر بأنها ربما وجدت لديها مشورة مفيدة، ولكن "أسا" التي كانت حينئذ تاكل عنبا بشهية رفضت النظر إلى الموضوع بجديّة.

- "ساتيبي"؟ "ساتيبي"؟ لم كل هذه الضجة حول "ساتيبي"؟ هل تحبون جميعا تعاليها عليكم والوامر التي تصدرها لكم حتى تثيروا هذه الضجة لأنها تتصرف الآن بكياسة؟ ولفظت بذر العنب ثم أشارت قائلة:

- على أي حال هذا الوضع أفضل من أن يدوم، ما لم يستطع "ياموس" أن يجعله دائما.

- "ياموس"؟

- نعم وإني أمل أن يكون "ياموس" قد ثاب إلى رشده أخيرا وضرب "ساتيبي" جيدا، فإن هذا هو ما تحتاج إليه، وهي من ذلك الطراز من النساء الذي يسوسه هذا على الأرجح. ولا ريب أن "ياموس" بطباعه الوديعه الذليلة كان محنة كبيرة لها. هتفت "رينسنب" محتجة:

- إن "ياموس" لطيف وهو طيب مع الجميع وفي مثل رقة النساء. وأضافت بارتياب:

- إذا كن رقيقات. وضحكت "أسا" لهذا القول الأخير وقالت:

- كلامك في محله يا حفيدتي. كلا ليست هناك أية رقة في النساء، أو لو كان هناك فلتساعدن "إيزيس". ولا يوجد الكثير من النساء ممن يرغبن في زوج طيب ورقيق. بل إنهن يفضلن رجلا وسيما وفظا مثل "سويك". فإن أمثاله تعجب بهم الفتيات، أو حتى فتى ذكيا مثل "كاهاني" -هه يا "رينسنب"؟ إن له أيضا ذوقا جميلا في أغاني الحب هه؟ ها. ها. ها. شعرت "رينسنب" بوجنتيها تحمران وقالت بعزة نفس:

- إنني لا أفهم ماذا تعنين؟

- إنكم تظنون جميعاً أن "أسا" العجوز لا تعلم ما يجري. لكنني أعرف جيداً، وحدثت إلى "رينسنب" بعينيها اللتين لا تكاد ترى بهما ومضت تقول:

- أنا أعرف وربما قبل أن تعرفي أنت يا طفلي. لا تغضبني فهذه سنة الحياة يا "رينسنب". "فاي" كان زوجاً طيباً؛ ولكنه الآن يبهر بقاربه في بحر القرايين. إن الزوجة ستجد زوجاً يصطاد السمك في نهرنا، ولا يعني هذا أن "كاماني" سيكون صياداً ماهراً. فإن هوايته هي قلمه وورق البردي، ولكنه مع هذا شاب وجيه وله ذوق جميل في الأغاني، ومع كل فإني لست متأكدة أنه الرجل الذي يصلح لك. إننا لا نعرف الكثير عنه فهو من الشمال.. إن "أمحتوب" راض عنه؛ ولكنني كنت أعتقد دائماً أن "أمحتوب" غر، وفي وسع أي واحد أن يتملقه ويخدعه بأن يمدحه، وعندنا "هينيت" مثلاً. قالت "رينسنب" بعزة نفس:

- أنت مخطئة تماماً.

- حسن جداً. إذن أنا مخطئة. إن أباك ليس غراً.

- ليس هذا ما أعنيه..

- أنا أعرف ما أعنيه يا طفلي، ولكنك لا تعرفين كم هو لطيف أن يجلس المرء مثلي مرتاحاً وقد فرغ من أمور الزواج والحب والكراهة. أن يأكل وجبة شهية -بطة أو فرخة سمينية ثم فطيرة بالعسل وبعض الكرات أبو شوشة المظهو جيداً، وبعض الكرفس ويبلع كل هذا بكأس من الشراب السوري ولا يهتم بشيء في العالم. ينظر إلى كل الاضطرابات والأحزان ويعرف أن لا شيء من هذا يمسه. أن أرى ابني وهو يتصرف بغباء من أجل فتاة جميلة وأراها وهي تثير زوبعة في المكان كله، وبوسعي أن أقول لك إن هذا قد أضحكني. أتعرفين أنني كنت بطريقة ما أحب هذه الفتاة، كانت شيطانية، تلك الطريقة التي كانت تجرهم بها جميعاً في الصميم. جعلت "سوبك" يبدو كالبالونة وخزت ونفست، و"إيبي" كطفل، و"ياموس" أخجلته بإظهاره زوجاً تسيطر عليه زوجته. إنه كما يرى المرء نفسه في بركة من الماء. لقد جعلتهم يرون كيف يبدو للناس أجمعين. لكن لماذا كانت تكرهك أنت يا "رينسنب"؟ أعطيني الجواب عن هذا؟ وتكلمت "رينسنب" بشك:

- هل كانت تكرهني؟ لقد... لقد حاولت مرة أن أصادقها.

- ولم تقبل هذه الصداقة؟ إنها كانت تكرهك بالتأكيد يا "رينسنب". وصمتت.

"أسا" ثم سألت بحدّة:

– هل يمكن أن يكون هذا بسبب "كاماني"؟ وقالت "أسا" مفكرة:

– إنها هي و"كاماني" من الشمال، ولكن "كاماني" كان يراقبك أنت وأنت

تعبرين الفناء. قالت "رينسنب" بجفاء:

– يجب أن أذهب لأعتني بـ"تيّتي". ولاحقتها ضحكة "أسا" الرفيعة المتهمكة،

وهرعت "رينسنب" ووجنتاها محمرتان عبر الفناء ثم نحو البحيرة وناداهما "كاماني"

من الشرفة:

– لقد ألفت أغنية جديدة يا "رينسنب" انتظري واسمعيها. وهزت رأسها

ومضت مسرعة. كان قلبها يدق بغضب. "كاماني" و"نوفريت" .. "نوفريت"

و"كاماني" .. لماذا تترك "أسا" العجوز، بولعها الخبيث بالأذى، تضع هذه الأفكار

في رأسها؟ ولماذا تهتم بهذا؟ على أي حال ماذا يهم؟ إنها لا تشعر بأي شيء تجاه

"كاماني" لا شيء بتاتا. إنه شاب وقح له صوت ضاحك وكتفان تذكرانها بـ"فاي".

"فاي" .. "فاي". ورددت اسمه بإصرار، ولكن في هذه المرة لم تظهر صورة "فاي"

أمام عينيها. "فاي" أصبح في عالم آخر وفي الشرفة كان "كاماني" يغني برقة:

– سأقول لـ"بتاح" أعطني زوجتي الليلة ..

-3-

– "رينسنب". كان "حوري" قد ردد اسمها مرتين قبل أن تسمعه وتتحول عن

تأملها للنيل.

– كنت غارقة في أفكارك يا "رينسنب". فبم كنت تفكرين؟ قالت "رينسنب"

بتحد مفاجئ:

– كنت أفكر في "فاي" ونظر إليها "حوري" لدقيقة أو دقيقتين ثم ابتسم قائلاً:

– هكذا. وشعرت "رينسنب" بارتباك. إنه فعلاً يدرك ما هنالك. وقالت بان دفاع

مفاجئ:

– ماذا يحدث عندما نموت؟ هل يعرف أحد حقيقة كل هذه الكتب؟ كل هذه

الأشياء التي تكتب على الاكفان؟ إن بعضها غامض لدرجة أنه لا يعني شيئاً بالمرة.

نحن نعرف أن "أوزوريس" قد قتل وأن جسده قد أعيد مرة أخرى وأنه يلبس التاج

الابيض ولذلك سيبعث من جديد، ولكن يا "حوري" في بعض الاحيان لا يبدو أي شيء من هذا حقيقيا . وكل شيء مربك لدرجة .. وأوما "حوري" برقة .
- ولكن الذي أود أن أعرفه حقيقة، هو ما يحدث بعد الموت .
- ليس بوسعي أن أقول لك يا "رينسنب" . فمن الأوفق أن تطرحي هذه الأسئلة على كاهن .

- إنه سيجيبني بالإجابات المألوفة وأنا أريد أن أعرف، قال "حوري" برقة :
- لن يعرف أحد منا إلا بعد أن نموت . وارتعدت "رينسنب" :
- لا .. لا تقل هذا .

- إن شيئا قد أزعجك يا "رينسنب" ؟
- إنها "أسا" . وتوقفت ثم قالت :

- قل لي يا "حوري" هل ... هل كان "كاماني" و "نوفريت" يعرفان بعضهما جيدا قبل ... قبل أن يأتيا إلى هنا؟ وقف "حوري" ساكنا تماما لفترة وجيزة ثم قال وهو يمشي بجانب "رينسنب" عائدين إلى المنزل :
- إنني أرى أن هذا هو الواقع .

- ماذا تعني بقولك هذا هو الواقع؟ إنني إنما سألتك سؤالا؟
- وأنا لا أعرف له جوابا . إن "نوفريت" و "كاماني" كانا يعرفان بعضهما في الشمال، أما إلى أي درجة فهذا ما لا أعرفه . وأضاف برقة :
- هل يهم هذا؟

- لا .. بالطبع لا . لا أهمية لهذا إطلافا .
- إن "نوفريت" ميتة .

- ميتة ومحنطة وموصد عليها في قبرها . وتابع "حوري" بهدوء :
- و "كاماني" لا يبدو أنه حزين؟

- لا هذا حقيقي . واستدارت نحوه تلقائيا .

- آه يا "حوري" كم ... كم أنت شخص مريح . وابتسم :
- كنت أصلح لـ "رينسنب" الصغيرة أسدها والآن لها لعب أخرى . وتحاشت "رينسنب" المنزل حينما اقتربا منه .

- لا أريد أن ادخل الآن . أشعر بأنني أكرههم جميعا . آه افهمني ليس هذا حقاً

ولكنني غاضبة، وليس لدي صبر والجميع غريبون جداً. إلا نستطيع أن نصعد إلى المقبرة؟ هناك مكان لطيف. هناك فوق... إن المرء يشعر بأنه فوق كل شيء هناك.

- أصبت يا "رينسنب" هذا ما أشعر به، إن المنزل والزراعة والأراضي، كل هذا أدنى منا وليس له قيمة. إن المرء ينظر إلى ما وراء هذا، إلى النهر، وإلى ما وراءه، إلى "مصر" كلها. لأنه عن قريب ستصبح "مصر" متحدة مرة أخرى، قوية وعظيمة مثلما كانت في الماضي. غمغمت "رينسنب" في إبهام:

- آه.. هل يهجم هذا؟ وابتسم "حوري":

- ليس لـ "رينسنب" الصغيرة إن كل ما يهجمها هو أسدها.

- إنك تضحك عليّ يا "حوري" إذن فإنه يهجمك أنت. وتتم "حوري":

- ولماذا يهمني؟ نعم لماذا؟ أنا مجرد رجل أعمال لكاهن قبور. فلماذا أهتم إذا

غدت "مصر" عظيمة أم لا؟ ولفتت "رينسنب" انتباهه للربوة فوقهم:

- انظر إن "ياموس" و"ساتيبي" كانا في المقبرة وهما ينزلان الآن.

- نعم كانت هناك بعض الأشياء التي كان يجب التصرف فيها: بعض الأقمشة

اللينون التي لم يستعملها الخنوطية. وقال "ياموس" إنه سيدعو "ساتيبي" لتصعد

معه إلى المقبرة وتشير عليه بما يجب عمله بها. ووقفا ينظران إلى "ياموس"

و"ساتيبي" وهما ينزلان عبر الطريق فوقهما. وأيقنت "رينسنب" فجأة بأنهما

يقتربان من المكان الذي سقطت منه "نوفريت" بلا ريب. كانت "ساتيبي" تمشي

في الامام و"ياموس" خلفها قليلا. وفجأة أدارت "ساتيبي" رأسها لتكلم "ياموس"،

ومر بخاطر "رينسنب" أنها تقول له إن هذا هو المكان الذي وقع فيه الحادث دون

ريب. ثم فجأة تسمرت "ساتيبي" في مكانها ووقفت كما لو أنها تجمدت وهي

تحديق خلفها، ورفعت ذراعها كما لو أنها رأت منظرا مخيفاً أو كمن يحمي نفسه

من ضربة. وهتفت بشيء وتعشرت وترنحت، ثم بينما "ياموس" يقفز نحوها

صرخت صرخة مليئة بالرعب، ووثبت إلى الامام وسقطت من فوق الحافة على

الصخور في أسفل الجبل. وشاهدت "رينسنب" ويدها على عنقها الواقعة وهي غير

مصدقة لما تراه. وكان جسم "ساتيبي" الممزق ملقى في نفس المكان الذي وقعت فيه

"نوفريت"، وجمعت "رينسنب" شتات نفسها وجرت نحوها، وكان "ياموس"

ينادي ويجري نازلا من فوق الجبل. ووصلت "رينسنب" إلى جسد زوجة أخيها

وانحنى عليها. كانت عينا "ساتيبي" مفتوحتين ورموشها تخفق، وكانت تحرك شفيتها محاولة الكلام، وانحنى عليها "رينسنب" أكثر وكانت مرتاعة من الفرع المتجمد في عيني "ساتيبي". ثم سمع صوت المرأة التي على شفا الموت، كان مجرد بحة - "نوفريت" وسقط رأسها إلى الورا وفتح فكها. كان "حوري" قد استدار لمقابلة "ياموس" وجاء الرجلان معا. تحولت "رينسنب" نحو أخيها وقالت:

- بماذا هتفت وهي أعلى الجبل قبل أن تسقط؟ كان "ياموس" يتنفس بسرعة وكان لا يكاد يستطيع الكلام.

- لقد نظرت خلفي ... من خلف كتفي كما لو أنها رأته شخصا قادما على الطريق، ولكن لم يكن هناك أحد. لم يكن هناك أحد. ووافق "حوري" قائلا:

- لم يكن هناك أحد. وانخفض صوت "ياموس" حتى صار همسا فزعا:

- ثم هتفت ... وسالت "رينسنب" بعصبية:

- ماذا قالت؟

- إنها قالت ... إنها قالت ... وارتعد صوته وهو يقول:

- "نوفريت".

الفصل الثاني عشر

- إذن هذا هو ما كنت تعنيه؟ كانت الطريقة التي تكلم بها "رينسنب" "حوري" تأكيداً أكثر منها سؤالاً. وأضافت برقة وبصوت خفيض وقد ازداد فزعها وفهمها:

- إن "ساتيبي" هي التي قتلت "نوفريت". كانت "رينسنب" جالسة وهي واضعة يديها تحت ذقنها في غرفة "حوري" الحجرية الصغيرة الملاصقة للمقبرة، وكانت تحديق إلى الوادي تحتها. فكرت وهي حاملة كيف أن الكلمات التي نطقت بها البارحة كانت صادقة. هل مرحقا وقت قصير إلى هذا الحد؟ كان يبدو أن المنزل والأشخاص الذين يهرعون هنا وهناك في الوادي لا قيمة لهم أو معنى، مثل خلية نمل. إن الشمس بقوتها الملكية وهي ساطعة فوقهم، والنيل الذي يتمثل في هذا الشعاع الفضوي اللامع الرفيع في ضوء هذا النهار، هما فقط الشيطان الخالدان الباقيان. لقد مات "فاي" و"نوفريت" و"ساتيبي"، وفي يوم ما ستموت هي

"حوري" ، ولكن "رع" سيظل يحكم في السماء، ويسير بمركبه في الليل في العالم الأسفل حتى مطلع الفجر، وسيظل النهر ساريا ويجري من منبعه إلى مصبه مارا بـ "طيبة" وبالقرية وبصعيد مصر، حيث عاشت "رينسنب" وكانت سعيدة ومرحة، ثم يمضي إلى البحر تاركا "مصر". "ساتيبي" و"نوفريت". وتابعت "رينسنب" أفكارها بصوت عال بما أن "حوري" لم يكن قد أجاب على سؤالها الأخير:

- أترى أنني لست واثقة بأن "سويك" ... وتوقفت عن الحديث. قال "حوري" لنفسه مفكراً: "الفكرة التي كونتها سابقاً". ومضت "رينسنب" قائلة:

- ومع ذلك كان هذا غباء مني. لقد قالت لي "هينيت" -أو على الأقل كان هذا مجمل حديثها- إن "ساتيبي" قد ذهبت تتمشى في هذا الاتجاه، وقالت إن "نوفريت" قد سعدت إلى هنا، فكان يجب عليّ أن أتبين كيف أنه من الواضح أن "ساتيبي" تتبعت "نوفريت"، إنهما تقابلتا في الطريق، وبعد ذلك دفعتهما "ساتيبي" من فوق.. إن "ساتيبي" كانت قد قالت قبل ذلك بفترة وجيزة إنها أكثر رجولة من كل إخوتي. وتوقفت "رينسنب" عن الكلام وارتعشت ثم تابعت حديثها:

- كان يجب أن أدرك الحقيقة عندما قابلتها. كانت على غير عاداتها، كانت مذعورة. لقد حاولت أن تقنعني بأن أعود معها، ولم تكن لتريد أن أرى جثمان "نوفريت". إنني كنت عمياء بلا ريب لاني لم أدرك الحقيقة، لكنني كنت ممتلئة بالخوف بخصوص "سويك".

- أعرف. كان هذا بسبب رؤيتك إياه وهو يقتل الشعبان. ووافقته "رينسنب" بحماس:

- نعم هذا هو السبب وبعد ذلك حلمت.. مسكين "سويك" .. كم أسأت به الظن.. فكما تقول التهديد ليس كالفعل. إن "سويك" كان دائما يتباهى بالكلام، وكانت "ساتيبي" هي دائما الجريئة دون رحمة ولا تخاف من الأفعال. ثم بعد ذلك، الطريقة التي بدت بها مثل شبح، لقد حيرنا هذا جميعا. لماذا لم نفكر في التعليل الصحيح؟ ثم أضافت وهي تنظر إليه بسرعة:

- ولكن أنت فكرت في هذا؟ قال "حوري":
- منذ وقت كنت موقنا أن مفتاح الحقيقة لموت "نوفريت" هو في التغيير الغريب

الذي طرأ على شخصية "ساتيبي"، فكان هذا التغيير عجيبا ولا بد أن يكون هناك سبب له .

- ومع ذلك لم تقل شيئا؟

- كيف يمكن أن أقول شيئا يا "رينسنب" ماذا كان بوسعي أن أثبته؟

- لا .. بالطبع لا ..

- إن الدلائل يجب أن تكون قوية . وناقشته "رينسنب" قائلة:

- ومع ذلك فإنك قلت مرة إن الناس لا يتغيرون حقيقة . ولكنك الآن تعترف بأن

"ساتيبي" تغيرت . وابتسم لها "حوري":

- كان يجب أن تتجادلي في المحاكم . كلا يا "رينسنب" إن ما قلته حقيقي

فالناس دائما كما هم لا يتغيرون . إن "ساتيبي" مثل "سويك" كانت جريئة بالكلام

فقط . وهي فعلا ربما كانت تستطيع أن تتبع القول بالفعل، ولكنني أعتقد أنها

ليست ممن بوسعهم أن يعرفوا شيئا أو ما هو عليه إلا بعد أن يقع في حياتها، ولم

تكن قد خافت من شيء حتى هذا اليوم المعين . وعندما واجهت الخوف أخذت على

غرة، وتعلمت عندئذ أن الشجاعة هي التصميم على مواجهة المجهول، ولم تكن

لتملك هذه الشجاعة . وتمتت "رينسنب" بصوت منخفض:

- عندما واجهت الخوف .. نعم إن الخوف كان ملازما لنا جميعا منذ أن ماتت

"نوفريت" ورأيناه جميعا على وجه "ساتيبي" . كان هناك يطل من عينيها وهي

تموت .. وعندما قالت "نوفريت" .. كان كما لو أنها رأت .. وأوقفت "رينسنب"

نفسها عن الكلام وأدارت وجهها نحو "حوري" وفي عينيها تساؤل .

- ماذا رأت؟ هناك على الدرب . لم نر شيئا . لم يكن هناك شيء .

- لا لم يكن هناك شيء نراه نحن .

- ولكن كان هناك شيء رآته هي؟ لقد رأت "نوفريت"، "نوفريت" التي جاءت

لتقيم، ولكن "نوفريت" ماتت وأوصد قبرها إذن ما الذي رآته "ساتيبي"؟

- الصورة التي رسمها لها عقلها .

- أو أوثق أنت؟ لأنه إن لم يكن هكذا .

- نعم يا "رينسنب" ألم يكن هكذا؟

- "حوري" . ومدت "رينسنب" يدها إلى الأمام:

- هل انتهى هذا الموضوع الآن؟ الآن.. وقد ماتت "ساتيجي"؟ هل انتهى حقا؟
وأمسك يدها بين يديه مطمئنا إياها.
- نعم. نعم بالتأكيد يا "رينسنب" وأنت على الأقل لا داعي لأن تخافي.
وتمتت "رينسنب":
- لكن "أسا" تقول إن "نوفريت" كانت تكرهني.
- "نوفريت" كانت تكرهك أنت؟
- هكذا تقول "أسا". قال "حوري":
- كانت "نوفريت" ميالة إلى الكره. واعتقد أحيانا أنها كانت تكره جميع أفراد
هذا المنزل، ولكن أنت على الأقل لم تفعل شيئا ضدها.
- كلا. كلا هذا حقيقي.
- ولذلك يا "رينسنب" ليس هناك ما تلومين عليه نفسك.
- أعني يا "حوري" أني إذا مشيت في هذا الطريق -في ساعة الغروب- في نفس
الوقت الذي ماتت فيه "نوفريت"، وإذا أدت رأسي لن أرى شيئا، وسأكون في
أمان؟
- ستكونين في أمان يا "رينسنب" لأنك إذا مشيت في هذا الطريق سأمشي
بجانبك ولن يصيبك أذى. وعبست "رينسنب" وهزت رأسها.
- لا يا "حوري" سأمشي وحدي.
- لماذا يا "رينسنب" الصغيرة؟ ألن تخافي؟
- نعم اعتقد أني سأخاف ولكن مع ذلك فهذا ما يجب أن أفعله. إنهم في البيت
جميعا يرتعشون ويرتعدون ويهرعون إلى المعابد ليشتروا أحجبة، ويتصايحون بأن
المشي في هذا الدرب في ساعة الغروب لا خير فيه، ولكن الذي جعل "ساتيجي"
تتعثر وتسقط هو الخوف وليس السحر، الخوف المتسبب من العمل الشرير الذي
قامت به. لأن سلب حياة امرأة شابة قوية تستمتع بالحياة هو عمل شرير. لكن أنا لم
أفعل شرا ولذلك فحتى لو كانت "نوفريت" تكرهني، فإن كرهها لا يمكن أن
يؤذي. هذه هي عقيدتي، وعلى أي حال فلو كان المرء سيعيش دائما في خوف
فمن الأفضل له أن يموت. لذلك سأغلب على الخوف.
- هذه كلمات شجاعة يا "رينسنب".

– ربما إنها أشجع مما أشعر به يا "حوري". وابتسمت له وهبت واقفة:
– لكن كان من المريح أن أقولها. ونهض "حوري" ووقف بجانبها:
– سأذكر دائما كلماتك هذه يا "رينسنب". أجل والطريقة الابية التي تكلمت بها. إنها تظهر الشجاعة والحقيقة التي شعرت دائما بأنهما في قلبك. وأمسك بيدها ومضى قائلا:

– انظري يا "رينسنب" انظري من هنا عبر الوادي إلى النهر وإلى ما وراءه، هذه هي "مصر" بلدنا. ممزقة بالحرب والنزاع لسنين عديدة منقسمة إلى ممالك صغيرة ولكن الآن، قريبا جداً ستتحده مرة أخرى "مصر" الشمالية والجنوبية، متحدتان في مملكة واحدة، إنني أمل وأعتقد أنها ستسترد عظمتها السابقة، وفي ذلك الحين ستحتاج "مصر" إلى رجال ونساء شجعان ومخلصين، نساء مثلك يا "رينسنب". إن "مصر" لن تحتاج إلى رجل مثل "أمحتوب" المشغول دائما بمكاسبه وخسائره الخاصة، ولا إلى رجال مثل "سوبك" لا يشتغلون، ودائما يتباهون ولا إلى فتيان مثل "إبيي" الذي يفكر فقط فيما يستطيع أن يكسبه لنفسه، ولا حتى إلى أبناء أمناء ذوي ضمائر مثل "ياموس". لقد تبينت، وأنا جالس هنا بين الأموات أحسب المكاسب والخسائر، وهكذا اهتديت إلى مكاسب لا يمكن أن تحسب بمقاييس الثروة وخسائر أكثر ضررا من فقد المحصول... أنا أنظر إلى النهر وأرى فيه مصدرا للحياة "مصر"، لقد وجد قبل أن نولد وسيظل بعد أن نموت.. إن الحياة والموت يا "رينسنب" ليسا بمثل هذه الأهمية. أنا "حوري" مجرد رجل أعمال "أمحتوب" لكنني عندما أنظر عبر "مصر" أشعر بسلام، نعم وبإعزاز لن أبادلها لأصبح حاكما للمنطقة هل تفهمين ما أعني يا "رينسنب"؟

– أعتقد ذلك يا "حوري"، فعلى الأقل أنت مختلف عن الآخرين، ولقد عرفت هذا لفترة، وأحيانا عندما أكون هنا معك أشعر بما تشعر به لكن ليس بوضوح. ولكنني أعرف ما تعنيه.. وأشارت بيدها:

– عندما أكون هنا لا تبدو الأمور التي في الوادي مهمة، المشاجرات والأحقاد والضجة التي لا تهدأ، وهنا يهرب المرء من هذا كله. وتوقفت وقد قطبت جبينها وأردفت وهي تتلعثم قليلا:

– أحيانا أكون سعيدة لأنني هربت ومع ذلك فأنا لا أعرف، هناك شيء... هناك

شيء في الوادي يناديني . ترك "حوري" يدها وتراجع خطوة ثم قال برفق :
- نعم، إنني أرى "كاماني" وهو يغني في الفناء .
- ماذا تعني يا "حوري"؟ لم أكن أفكر في "كاماني" .
- هذا جائز يا "رينسنب" ولكنني أعتقد أنه يغني حتى دون أن تعرفي ما تسمعيه . وحدقت "رينسنب" إليه وهي مقطبة الجبين .
- إنك تقول أشياء غريبة يا "حوري" . لا يمكن للمرء أن يسمعه من هنا . إن هذا بعيد جداً . وتنهت "حوري" برفق وهز رأسه، وحيرتها النظرة التي في عينيه وشعرت ببعض الضيق والحيرة لأنها لا تفهم .

الفصل الثالث عشر

- هل يمكنني التحدث معك دقيقة يا "أسا"؟ نظرت "أسا" بحدة نحو "هينيت" التي كانت تقف على عتبة باب الغرفة وعلى وجهها ابتسامة استعطاف . وسالت المرأة العجوز بحدة :
- ما الأمر؟
- لا شيء حقيقة، على الأقل لا اظن ذلك لكنني فكرت في أنني أود أن أسأل . وقاطعتها "أسا" بحدة :
- ادخلي إذن . ادخلي وأنت -ومست بعضاها على كتف الجارية الصغيرة السوداء التي كانت تطرز الخرز- اذهبي إلى المطبخ وأحضري لي بعض الزيتون وأعدي لي شرابا من عصير الرمان . وهرعت الفتاة الصغيرة خارجة وأشارت "أسا" إلى "هينيت" بعصبية .
- هذا هو كل ما في الأمريا "أسا" . وحدقت "أسا" إلى الشيء الذي كانت "هينيت" ترفعه إليها .. كانت علبة جواهر صغيرة بغطاء ينزلق وبزرارين مثبتين .
- ما هذا؟
- إنها علبتها ولقد وجدتها الآن ... في حجرتها .
- عمن تتحدثين؟ "ساتيبي"؟
- كلا، كلا يا "أسا" ... الأخرى .

– هل تعنين "نوفريت"؟ ماذا عنها؟

– إن كل جواهرها وأدوات زينتها وروائعها .. كل شيء .. دفن معها . وفتحت "أسا" العلبة، وكان فيها خيط من الخرز الأحمر الصغير ونصف تميمة خضراء . قالت "أسا":

– هه ليس هذا بالكثير . لقد تغاضوا عنها .

– إن المحنطين أخذوا كل شيء معهم .

– إن المحنطين كغيرهم من الرجال لا يمكن الاعتماد عليهم . لقد نسوا هذا .

– إنني أقول لك يا "أسا" لم تكن هذه الأشياء في الغرفة عندما نظرت إليها آخر مرة . نظرت "أسا" بحدة إلى "هينيت":

– ماذا تحاولين أن تثبتي؟ أن "نوفريت" قد عادت من العالم الأسفل وموجودة هنا في المنزل؟ أنت لست غبية يا "هينيت" ولو أنك في بعض الأحيان تحبين أن تتظاهري بذلك . ما السرور الذي تشعرين به من نشر حكايات السحر السخيفة هذه؟ كانت "هينيت" تهز رأسها بتشاؤم .

– نحن نعرف جميعا ماذا حدث لـ "ساتيبي" والسبب في ذلك .

– قد نعرف وربما كان بعضنا يعرف قبل ذلك . هه يا "هينيت"؟ لقد كانت دائما

تراودني فكرة أنك تعرفين أكثر منا جميعا حقيقة موت "نوفريت" .

– آه "أسا" بالتأكيد إنك لا تفكرين للحظة ... وقاطعتها "أسا":

– ما الذي لا أفكر فيه؟ إنني لست خائفة من التفكير يا "هينيت" . لقد رأيت

"ساتيبي" وهي تتسلل من المنزل في الشهرين الماضيين وهي تبدو خائفة جداً، ولقد

خطر لي منذ البارحة أنه من الممكن أن يكون ثمة من كان يعرف ما فعلته

بـ "نوفريت" وربما كان يهددها بإفشاء السر إلى "ياموس" أو "أمحتوب" نفسه .

وانفجرت "هينيت" بسلسلة من الاعتراضات والتعجب بصوت حاد رفيع .

وأغمضت "أسا" عينيها ومالت إلى الخلف في مقعدها ثم قالت:

– لا أظن ولو للحظة أنك ستعترفين أبدا بأنك فعلت شيئا من هذا القبيل وأنا لا

أنتظر أن تفعلي هذا .

– لماذا أفعل شيئا مثل هذا؟ هذا هو ما أسألك عنه .

– ليس لدي أية فكرة عن السبب . فإنك تفعلين أشياء كثيرة يا "هينيت" لم أجد

لها قط سببا مرضيا .

- اظن أنك تعتقدين اني كنت احاول ان اجعلها ترشوني لاسكت . اني اقسام
بالآهة "الأينيد" التسعة ...

- لا تقلقي ومن الجائز أنك لم تكوني تعرفين شيئا عن موت "نوفريت" . لكنك
تعرفين أغلب ما يجري في هذا المنزل، وأقسم أنك أنت التي وضعت هذه العلبة في
حجرة "نوفريت" . ولو أنني لا أستطيع أن أتصور السبب في ذلك، ولكن هناك
سبب وراء هذا، وبوسعك أن تخدعي "أمحتوب" بالاعيبك، لكن لا يمكنك أن
تخدعيني . أنا امرأة عجوز ولا أحتمل الأشخاص الذين يثنون . اذهبي وانديبي
لـ "أمحتوب" فإنه يبدو عليه أنه يحب ذلك، غير أن "رع" فقط هو الذي يعرف
السبب في ذلك .

- سأخذ العلبة إلى "أمحتوب" وأقول له ...

- سأعطيه أنا بنفسى العلبة . هيا اذهبي يا "هينيت" ولا تنشري هذه الروايات
الخرافية السخيفة . إن المنزل أهدأ دون "ساتيبي" . إن موت "نوفريت" قد أفادنا أكثر
من حياتها . لكن الآن وقد دُفع الدين فليرجع الجميع إلى أعمالهم اليومية .

-2-

تساءل "أمحتوب" بصخب وهو يدخل غرفة "أسا" بعد بضع دقائق :

- ما الأمر؟ إن "هينيت" في غاية الغم، لقد جاءت إليّ والدموع تجري على
وجنتيها، لماذا لا يظهر أي شخص في هذا المنزل لهذه المرأة المتفانية أبسط أنواع
المعاملة الطيبة؟ وأطلقت "أسا" -التي لم تهتز من هذا الكلام- ضحكة . ومضى
"أمحتوب" يقول :

- لقد اتهمتها كما فهمت بسرقة علبة ... علبة جواهر .

- هل هذا ما قالته لك؟ لم أفعل شيئا من هذا القبيل . ها هي العلبة ويبدو أنها
وجدت في غرفة "نوفريت" . وأخذها "أمحتوب" منها .

- آه نعم إنها العلبة التي أعطيتها لها . وفتحها قائلا :

- لا يوجد شيء يذكر بداخلها إنه الإهمال، إهمال شديد من الحنوطية إنهم لم
يضعوا هذه الأشياء ضمن حاجاتها الشخصية الأخرى . ونظراً للاتعاب التي

يتقاضاها "إيبي" و"منتو" فإن المرء ينتظر على الأقل الا يوجد إهمال . حسنا إن كل هذا يبدو لي زوبعة في فنجان دون سبب .
- بالضبط .

- سأعطي العلبة لـ "كيت" ، كلا لـ "رينسنب" فقد كانت دائما تتصرف بذوق مع "نوفريت" . وتنهذ وهو يقول :

- كم يبدو من المستحيل أن يتمتع الرجل بالسلام . هؤلاء النساء دموع بلا نهاية أو مشاجرات ومشاحنات .

- آه حسنا يا "أمحتوب" لقد نقص عددن واحدة على الأقل الآن .

- نعم هذا صحيح . يا لـ "ياموس" المسكين ومع كل "يا" "أسا" إنني أشعر بان هذا قد يكون من الأفضل .. إن "ساتيبي" قد أنجبت حقيقة أطفالاً أصحاء، ولكنها كانت من نواحي عديده زوجة غير مرضية و"ياموس" بالطبع كان يخضع لها أكثر من اللازم . حسنا . حسنا إن كل هذا قد انتهى الآن . ويجب أن أقول إنني مسرور من سلوك "ياموس" في الفترة الأخيرة . إنه يبدو أكثر اعتمادا على نفسه وأقل حياء وحكمة وفي عدة أمور كان ممتازا، ممتازا تماما ..
- لقد كان دائما ولدا مطيعا طيبا .

- نعم . نعم، ولكنه بطيء نوعا ويخاف من المسؤولية إلى أبعد الحدود . قالت "أسا" بجفاء :

- إن المسؤولية شيء لم يُسمح له به قط .

- حسنا إن كل هذا سيتغير الآن . إنني أعد وثيقة مشاركة وستوقع بعد بضعة أيام . إنني سأشارك أبنائي الثلاث معي .

- بالتأكيد لن تشارك "إيبي" ؟

- سيخرج شعوره إذا لم أشاركه . إنه ولد عزيز دافئ القلب .

- بالتأكيد لا يعيبه أي بطاء .

- على حد قولك، و"سويك" أيضا، لقد كنت مستاء منه في الماضي، ولكنه بدأ

أخيرا صفحة جديدة حقيقية . إنه لم يعد يمضى وقته في اللهو ويستمتع إلى رأيي ورأي "ياموس" أكثر . قالت "أسا" :

- هذه حقا أنشودة من المديح . حسنا يا "أمحتوب" يجب أن أقول إنني أعتقد

أنك تفعل صوابا. عدم إرضاء أبنائك كانت سياسة خاطئة. لكنني لا زلت أعتقد أن "إيبي" صغير على ما تعتز به له. إن من السخف إعطاء ولد في هذه السن مركزا قويا. ماذا ستكون سلطتك عليه؟ وبدا على "أمحتوب" التفكير:

- لك بعض الحق في هذا بلا ريب. ثم نهض مهتما وقال:

- يجب أن أذهب.. هناك ألف أمر يجب العناية به، هناك كل الترتيبات التي يجب اتخاذها لدفن "ساتيبي". إن الموت يكلف... يكلف جداً وقد تتابعتم الوفيات الواحدة بعد الأخرى بهذه السرعة.

- آه حسنا لنأمل أنها ستكون الوفاة الأخيرة حتى يأتي دوري.

- أأمل أنك ستعيشين سنين أخرى عديدة يا والدتي العزيزة. قالت "أسا" بابتسامة:

- أنا واثقة بهذا. أرجوك ألا توفري جنازتي. لن يبدو هذا جميلا. سأحتاج إلى كمية كبيرة من الأدوات لتسليني في العالم الآخر. الكثير من الطعام والشراب وغمادج كثيرة من العبيد، منضدة مزينة ببذخ للعب، عطور وأدوات تجميل وأنا أصغر على أنواع الزينة المصنوعة من الألبستر.

- نعم، نعم بالطبع، وغير "أمحتوب" وضع قدميه بعصبية.

- بالطبع سيقدم لك كل الاحترام عندما يحين هذا اليوم المحزن. لكنني يجب أن اعترف بانني أشعر بشعور مختلف حيال "ساتيبي". إن المرء لا يريد فضيحة ولكن في الحقيقة، نظرا إلى هذه الظروف... ولم يكمل "أمحتوب" كلامه ولكنه هرع خارجا. وابتسمت "أسا" بتهكم عندما أدركت أن هذه الجملة «نظرا إلى هذه الظروف» هي أقصى ما سيقوله "أمحتوب" اعترافا بأن كلمة حادثة لا تنطبق تماما على الطريقة التي لاقت بها محظيته الغالية موتها.

الفصل الرابع عشر

ساد شعور عام بالسرور والبهجة عند رجوع أفراد العائلة من بلاط الحاكم بعد أن سجل عقد المشاركة، وكان الاستثناء الوحيد هو بلا ريب، "إيبي" الذي لم يشرك في آخر وقت على أساس صغر سنه. ولذلك كان عابسا وتغيب متعمدا عن المنزل.

ونادى "أمحتوب" وهو في غاية الانشراح مطالباً بجرّة شراب فجيء بها إلى الشرفة . وقال وهو يرت كتف "ياموس" :

- ستشرب يا بني . انس فترة حزنك ودعنا نفكر فقط في الأيام الطيبة القادمة .
وشرب "أمحتوب" و"ياموس" و"سويك" و"حوري" هذا النخب، ثم جاء نبأ سرقة ثور فهرع الرجال الأربعة ليتأكدوا صحة الخبر . وعندما رجع "ياموس" بعد ساعة إلى الفناء كان متعباً ويشعر بالحر، وقصد خابية الشراب التي كانت ما تزال في الشرفة واحتسى الشراب على مهل، وبعد قليل جاء "سويك" يخطو بسرعة وهتف بسرور :
- هيا لنشرب الآن مزيداً من الشراب . لنشرب نخب مستقبلينا الذي أمن أخيراً .
إن هذا بلا ريب يوم سعيد لنا يا "ياموس" . ووافق "ياموس" :

- نعم بالتأكيد إن هذا سيجعل الحياة أسهل من جميع النواحي .
- إنك دائماً متحفظ في شعورك يا "ياموس" . وضحك "سويك" وهو يتكلم وملاً كأسه بالشراب وشربه في جرعة واحدة، ثم لعق شفتيه وهو يضع كأسه .
- سنرى الآن إذا كان أبونا سيظل محافظاً كما كان، أم هل سيكون بوسعي أن أهديه للطرق الحديثة؟ ونصحه "ياموس" قائلاً :

- لو كنت مكانك لتنايت . إنك كنت دائماً متسرعاً . وابتسم "سويك" لأخيه بود وكان في غاية الانشراح ثم قال مداعباً :
- كنت دائماً متسرعاً ولكنني كنت متأكداً . وابتسم "ياموس" دون أن يهتز لذلك ثم قال :

- هذه أفضل طريقة في النهاية . وإلى جانب ذلك فأبي كان كريماً جداً معنا، ولا يجب أن نفعل شيئاً يقلقه . ونظر إليه "سويك" بفضول :
- إنك تحب أبانا حقيقة؟ إنك إنسان ودود يا "ياموس" . أنا لا يهمني أحد - بتاتا- إلا "سويك" ، ليعيش طويلاً . وأخذ جرعة أخرى من الشراب . قال "ياموس" محذراً :

- كن حذراً .. إنك لم تأكل كثيراً اليوم وفي بعض الأحيان عندما يحتسي المرء شراباً ... وتوقف فجأة وقد التوت شفتاه .

- ماذا بك يا "ياموس" ؟
- لا شيء .. ألم مفاجئ .. أنا، لا شيء .. ولكنه رفع يده ليمسح بها جبينه الذي

ملأه العرق فجأة .

- أنت لا تبدو على ما يرام .

- لقد كنت بخير الآن .

- طالما أن أحدا لم يسمم الشراب . وضحك " سويك " لكلماته ومد ذراعه نحو الجرة ثم تخشب ذراعه وهو ممدود، وانحنى جسده إلى الأمام في تشنج مفاجئ من الألم .

- " ياموس " ، " ياموس " ، أنا أيضا . كان " ياموس " ينزلق إلى الأمام وقد انثنى، وصدرت منه صرخة مكتومة . وكان " سويك " يتلوى من الألم ورفع صوته :

- النجدة، ابعثوا في طلب طبيب، طبيب .. وجاءت " هينيت " تجري من داخل المنزل :

- هل ناديت؟ ماذا قلت؟ ما الأمر..؟ وأتى آخرون على صياحها . كان الاخوان يئنان من الألم وقال " ياموس " بصوت منخفض :

- الشراب .. سم .. ابعثوا في طلب طبيب .. وصدرت صرخة رقيقة من " هينيت " :

- مصيبة أخرى . إن هذا المنزل ملعون في الحقيقة . بسرعة .. أسرعوا ابعثوا للمعبد في طلب الكاهن المجل " مرسو " الطبيب البارع ذي الخبرة العظيمة .

-2-

مشى " أمحتوب " ذهابا وإيابا في البهو الرئيسي للمنزل، وكان ثوبه اللينون الفاخر قدرا ومجعداً ولم يكن قد استحم أو غير ثوبه، ووجهه متجهما من القلق والخوف . ومن مؤخرة المنزل كان يسمع صوت بكاء منخفض ومستمر -مساهمة من النساء في الكارثة التي حلت بالبيت- وكان صوت " هينيت " يقود الأصوات الأخرى، ومن غرفة جانبية كان يسمع صوت الطبيب الكاهن " مرسو " وهو يرتفع بينما يناضل حول جسد " ياموس " الراقد دون حركة . وجذب صوته " رينسنب " التي تسللت بهدوء من جناح السيدات إلى البهو الرئيسي . وقادتها قدماها إلى عتبة الباب المفتوح، وتوقفت هناك وهي تشعر ببلسم شاف في الكلمات الرنانة التي كان الكاهن يتلوها .

– أي "إيزيس" يا ذات السحر العظيم، حرريني من كل الشرور والسيئات والأمور الحمراء، حرريني من لطمة إله ومن لعنة آلهة، من الاموات، من عدو ذكر أو عدوة أنثى ممن هم ضدي.. وبدرت تنهيدة خافتة من شفتي "ياموس". وفي دخيلة قلبها شاركت "رينسنب" في الصلاة.

– "إيزيس"، "إيزيس" العظيمة، أنقذيه.. أنقذي أخي "ياموس"، يا ذات السحر العظيم.. ومرت بخلدها أفكار متضاربة انبعثت من كلمات التراتيل:

– من كل الشرور والسيئات والأمور الحمراء.. هذا هو ما أصابنا كلنا في هذا المنزل.. نعم الأفكار الحمراء الغاضبة، غضب امرأة ميتة. وخاطبت الشخص الذي كان في ذهنها بما يدور في ذهنها. «لم يكن "ياموس" هو الذي آذاك يا "نوفريت"، ولو أن "ساتيبي" كانت زوجته فلا يمكنك أن تحمليه مسؤولية أفعالها، إنه لم يكن له قط أي سلطان عليها، ولم يكن لأحد سلطان عليها "ساتيبي" التي آذتك ماتت. أليس هذا كافياً؟ "سوبك" مات، "سوبك" الذي تكلم ضدك فقط ومع ذلك لم يفعل أي شيء يؤذيك قط. آه يا "إيزيس" لا تدعي "ياموس" يموت، أنقذيه من حقد "نوفريت" المنتقم». ورفع "أمحتوب" بصره وهو يروح ويجيء بلا وعي ورأى ابنته واسترعى وجهه بود.

– تعالي هنا يا طفلتي العزيزة "رينسنب". وجرت نحوه ووضع ذراعه حولها.

– آه يا أبى ما قولهم؟ وقال "أمحتوب" بحزن:

– لقد مات في الفجر. "سوبك" ابني القوي الوسيم. وتعرش صوته وكف عن الكلام.

– آه إن هذا الأمر شرير وقاس، ألم يمكن عمل شيء؟

– لقد عملنا كل ما يمكن عمله. أعطى عقاقير مقيئة وأعطى له عصير بعض الأعشاب الفعالة ووضعت له أحجية مقدسة ودُعي له دعاء عظيم، ولم ينفع هذا كله. إن "مرسو" طبيب بارع ولو لم يتمكن من إنقاذ ابني فإنها إذن إرادة الآلهة. ارتفع صوت الطبيب الكاهن في دعاء عالٍ أخيراً، وخرج من الغرفة وهو يسمح العرق عن جبينه. واتجه "أمحتوب" نحوه:

– حسناً؟ وقال الطبيب بجدية:

– بفضل "إيزيس" سيعيش ابنك. إنه ضعيف ولكن خطورة السم قد زالت، وبدأ

التأثير الشرير في الأندثار . ومضى يقول وهو يغير نبرات صوته ليصبح صوته عاديا :

– من حسن الحظ أن "ياموس" ارتشف كمية قليلة من الشراب المسموم بينما يبدو أن ابنك "سويك" جرعه . وتأوه "أمحتوب" :

– هذا هو الفارق بينهما : "ياموس" خجول حذر في معالجته لكل أمر حتى الأكل والشرب . و"سويك" دائما مفرط وكريم –ويا للأسف– متهور ، ثم أضاف بحدة :
– الشراب كان مسموما قطعاً ؟

– ليس هناك أي شك في هذا يا "أمحتوب" . لقد أجرى مساعدي تجربة على المتبقي منه ، ولقد ماتت سريعا كل الحيوانات التي شربت منه .
– ومع ذلك فأنا الذي شربت من نفس الشراب قبل ذلك بأقل من ساعة ولم أشعر بأي سوء .

– لم يكن الشراب بلا ريب مسموما في ذلك الوقت، إن السم قد أضيف بعد ذلك . وضرب "أمحتوب" كفا على كف وقال :

– لا يوجد حي يجرؤ على سم ولدي هنا تحت سقف بيتي . هذا شيء مستحيل .
إنني أقول لا يوجد حي . وأحنى "مرسو" رأسه قليلا وبدا وجهه دون تعبير :
– أنت أفضل من يحكم في هذا يا "أمحتوب" ، ووقف "أمحتوب" وهو يحك خلف أذنه بعصبية . وقال فجأة :

– هناك رواية أريد أن تسمعها . وصفق وقال لخادمه الذي جاء يجري .

– ائت بالراعي الصغير هنا . وتحول نحو "مرسو" قائلا :

– إنه ولد فيه شيء من البله . إنه يستوعب ما يقوله الناس له بصعوبة ، وليس متمالكا لكل قواه العقلية ، ورغم ذلك فإن له عينين ونظره جيد ، وفوق ذلك فهو متفان في الإخلاص لابني "ياموس" الذي يعامله برفق ويحنو عليه . ورجع الخادم وهو يجرب يده غلاما نحيفا أسود تقريبا يلبس قماشا ملفوفا حول خصره ، وعيناه فيهما حول ووجهه يبدو عليه الغباء والخوف . قال "أمحتوب" بحدة :

– تكلم . ردد الآن ما قلته لي . وطأطأ الغلام رأسه وبدت أصابعه تمسك بالقماش الملفوف حول وسطه . وصرخ "أمحتوب" :

– تكلم . وجاءت "أسا" تنكئ على عصاها وهي تحديق بعينها الضعيفتين .

– إنك ترعب الغلام . خذي يا "رينسنب" أعطيه هذه الحلوى . هيا يا بني قل لنا

ما رأيته. وصدق الولد إليهم وذكرته "أسا" قائلة:

- كان ذلك البارحة عندما مررت أمام باب الفناء لقد رأيت ... ماذا رأيت؟ هز الولد رأسه ونظر جانبا وغمغم:

- أين مولاي "ياموس"؟ وتكلم الكاهن برفق وحزم:

- إنها رغبة مولاك "ياموس" أن تخبرنا بالرواية. لا تخف لن يؤذيك أحد، واستنار وجه الغلام.

- إن مولاي "ياموس" طيب معي. سأفعل ما يريد، وتوقف عن الكلام وبدا أن "أمحتوب" سيتكلم بغضب ولكن نظرة من الطبيب كبحتة. وفجأة بدأ الولد يتكلم بعصبية وبسرعة، وهو ينظر إلى جانبه كما لو كان خائفا من أن يسمعه شخص غير ظاهر للعين.

- كنت أجري بعصاي وراء الحمار الصغير، الذي يحميه "ست" والذي يثير المشاكل دائما، وتعدى بوابة الفناء ونظرت من البوابة نحو المنزل ولم يكن هناك أحد في الشرفة، ثم خرجت سيدة من سيدات المنزل إلى الشرفة، ومشت نحو الإناء ومدت يديها فوّه ثم رجعت إلى المنزل كما أعتقد.. إني لا أعرف لاني سمعت وقع أقدام واستدرت ورأيت مولاي "ياموس" قادما من بعيد من الحقول. لذلك مضيت أبحث عن الحمار الصغير ودخل مولاي "ياموس" الفناء. صاح "أمحتوب" غاضبا:

- ولم تحذره. لم تقل شيئا. وصاح الولد:

- لم أعرف أن هناك شيئا على غير ما يرام. لم أر إلا السيدة تقف هناك تبسم وهي تفرد يديها فوق إناء الشراب. لم أر شيئا. سال الكاهن:

- من كانت السيدة يا ولد؟ وهز الولد رأسه دون أي تعبير في نظراته.

- لا أعرف. لا بد أنها إحدى سيدات المنزل واللاتي لا أعرفهن. لاني أرعى الماشية في الناحية النائية من الضيعة. كانت تلبس ثوب لينون مصبوغاً.

- ربما خادمة؟ وراقب الكاهن الولد. وهز الولد رأسه بتأكيد:

- لم تكن خادمة.. كانت على رأسها باروكة وكانت تلبس جواهر. قال "أمحتوب":

- جواهر؟ أي جواهر؟ أجاب الغلام بثقة كمن استرد ثقته، وتغلب على خوفه وهو متأكد جداً فقال:

- عقد به ثلاثة صفوف من اللالي، وبينها أسود من الذهب معلقة بينها. وقعت عصا "أسا" على الأرض وأطلق "أمحتوب" صرخة مكتومة. قال "مرسو" مهددا:
- وإذا كنت تكذب يا ولد؟
- إنها الحقيقة. أقسم إنها الحقيقة. كان صوت الولد مرتفعا وواضحا. ونادى "ياموس" المريض بصوت ضعيف من الغرفة الجانبية حيث كان راقدا:
- ما كل هذا؟ ومرق الولد من الباب المفتوح وركع بجانب الأريكة التي كان "ياموس" راقدا عليها.
- سيدي. سيعذبونني.
- كلا، كلا، وأدار "ياموس" رأسه بصعوبة على المخذة الخشبية.
- لا تؤذوا الغلام، إنه ساذج ولكنه أمين، عدوني. قال "أمحتوب":
- بالطبع. بالطبع. لا حاجة إلى هذا إنه من الواضح أن الولد قال كل ما يعرفه وأنا لا أعتقد أنه يكذب. امض يا ولد ولكن لا ترجع إلى القطعان البعيدة. ابق على مقربة من المنزل لكي نستطيع استدعاءك مرة أخرى إذا احتجنا إليك. ونهض الولد وألقى نظرة مترددة إلى "ياموس":
- أنت مريض يا مولاي "ياموس". وابتسم "ياموس" بضعف:
- لا تخف. لن أموت. اذهب الآن وأطع ما قيل لك. ومضى الولد وهو يبتسم بسعادة، وفحص الكاهن عيني "ياموس" وجس نبضه ثم أوصاه بالنوم، وخرج مع الآخرين إلى البهو الرئيسي مرة أخرى، وقال الكاهن:
- هل تعرفت إلى الوصف الذي أعطاه الولد؟ وأوما "أمحتوب" وبدأ على وجنتيه البرنزيتين الداكنة مثل إصفرار المريض. قالت "رينسب":
- إن "نوفريت" فقط هي التي كانت تلبس ثوبا من اللينون المصبوغ. إنها موضحة حديثة جاءت بها من المدن الشمالية، ولكن هذه الأثواب دفنت معها. وقال "أمحتوب":
- والثلاثة صفوف من اللالي مع رؤوس الأسود الذهب حلية أعطيتها لها، ولا توجد حلية مثلها في المنزل. كانت غالية وغير مالوفة. إن كل جواهرها باستثناء عقد من اللؤلؤ الأحمر الزائف دفنت معها وأحكم غلق المقبرة. ولوح بيديه:
- ما هذا الحقد والاضطهاد. محظيتي التي عاملتها معاملة طيبة وباحترام والتي

دفتتها حسب الطقوس الصحيحة ولم أبخل عليها بشيء. لقد أكلت وشربت معها بمودة، والكل شاهد على ذلك لم يكن هناك شيء تشكو منه، بل لقد فعلت من أجلها أكثر مما ينبغي وكنت مستعدة لأن أفضلها على حساب أولادي. لماذا إذن ترجع من الموت لتضطهدني أنا وأسرتي؟ قال "مرسو" بجد:

- يبدو أن المرأة الميتة لا تضر لك شخصا شرا. إن الشراب كان غير مضر عندما شربته. مَنْ مِنْ عائلتك أضر محظيتك المتوفاة؟ قال "أمحتوب" بجفاء:
- امرأة ماتت.

- هكذا. أتعني زوجة ابنك "ياموس"؟

- نعم، وصمت "أمحتوب" ثم انفجر قائلاً:

- لكن ما الذي يمكن عمله أيها الكاهن المبجل؟ كيف نقاوم هذا الشر؟ إن اليوم الذي أدخلت فيه هذه المرأة إلى منزلي كان يوم شؤم. قالت "كيت" بصوتها العميق وهي خارجة من جناح النساء:

- إنه كان يوم شؤم حقاً. كانت عيناها مغرورتين بالدموع التي سفحتها، وكان على وجهها غير الجميل أمارات قوة وتصميم بارزة، وكان صوتها عميقاً وأجش ويرتعش من الغضب.

- كان يوم شؤم عندما أتيت بـ "نوفريت" هنا يا "أمحتوب" لكي تقتل أذكي وأجمل أبنائك. لقد جلبت الموت لـ "ساتيبي" ولـ "سويك" ونجا "ياموس" بأعجوبة، ترى من يكون التالي؟ هل ستبقي حتى على الأطفال، وهي التي ضربت صغيرتي "انكا"؟ يجب عمل شيء يا "أمحتوب". وردد "أمحتوب" كصدى وهو ينظر بتضرع إلى الكاهن:

- يجب عمل شيء. وأوماً هذا الأخير يهدوء:

- هناك طرق عديدة يا "أمحتوب" ومتى تأكدنا من الواقع يمكننا المضي قدماً. إنني أفكر في زوجتك المتوفاة "أياشات" لقد كانت امرأة من عائلة ذات نفوذ، ويمكن أن تستنجد بذوي النفوذ في عالم الأموات الذين يوسعهم أن يتدخلوا لصالحك، والذين لا تقدر عليهم "نوفريت" .. يجب أن نتشاور معاً. وأطلقت "كيت" ضحكة قصيرة:

- لا تنتظروا كثيراً. إن الرجال دائماً سواء، نعم حتى الكهنة. يجب عمل كل

شيء وفقا للقانون وللسوابق. لكنني أقول اعملوا بسرعة، أو سيكون هناك أموات آخرون تحت هذا السقف. واستدارت وخرجت. وتمتم "أمحتوب":

- امرأة ممتازة. أم متفانية لأولادها، زوجة مطيعة، لكن سلوكها أحيانا ليس كما يجب أن يكون تجاه سيد المنزل. وبالطبع فإنني أسامحها في مثل هذا الوقت، إننا جميعا مدهولون ولا نكاد نعرف ماذا نعمل، وأمسك رأسه بين يديه. وقالت "أسا":
- إن بعضنا قليلا ما يعرفون ماذا يعملون. وألقى إليها "أمحتوب" نظرة غاضبة. واستعد الطبيب للانصراف، وخرج "أمحتوب" معه إلى الشرفة وتلقى منه التعليمات للعناية بالمرضى. ونظرت "رينسنب" التي بقيت إلى جدتها بتساؤل. كانت "أسا" جالسة وهي ساكنة وكانت عابسة، وكان التغيير الذي بدا على وجهها غريبا لدرجة أن "رينسنب" سألت بخجل:

- ما الذي تفكرين فيه يا جدتي؟

- التفكير هو الكلمة المناسبة يا "رينسنب" فإن الأمور التي تجري في هذا المنزل غريبة لدرجة أنه من الضروري أن يفكر المرء.

- إنها أمور مريعة وهي تخيفني. وارتعشت "رينسنب". استطردت "أسا":

- إنها تخيفني أيضا لكن ربما ليس لنفس السبب. وبحركتها القديمة المألوفة أزاحت الباروكة من على رأسها. قالت "رينسنب":

- لكن "ياموس" لن يموت الآن. إنه سيعيش. وأومات "أسا":

- نعم لقد أنقذه طبيب ماهر في الوقت المناسب، ولكن في مناسبة أخرى قد لا يكون سعيد الحظ مثل هذه المرة.

- أعتقدين أنه ستحدث أمور أخرى مثل هذه؟

- إنني أعتقد أن "ياموس" وأنت و"إيبي"، وربما "كيت" أيضا من الأفضل أن تحترسوا جيدا جداً مما تاكلون وتشربون. دعوا دائما عبدا يذوقه قبلكم.

- وأنت يا جدتي؟ وابتسمت "أسا" ابتسامتها المتهمكة:

- أنا يا "رينسنب" امرأة عجوز وأحب الحياة كما يستطيع الكبار فقط أن يحيوها بتذوق كل ساعة وكل دقيقة باقية لهم، ولي دونكم جميعا أفضل فرصة للحياة لأنني سأحترس أكثر منكم جميعا.

- وأبي؟ بالتأكيد إن "نوفريت" لن تتمنى له أي شر؟

- أبوك؟ لا أعرف.. لا أعرف، أنا لا يمكنني حتى الآن أن أرى بوضوح. غدا بعد أن أكون قد فكرت في كل هذا سأتكلم مرة أخرى مع راعي الغنم. هناك شيء في روايته، وتوقفت وهي عابسة، ثم وقفت وهي تتنهد وابتكأت على عصاها ومضت خارجة ببطء نحو جناحها. دخلت "رينسنب" إلى غرفة أخيها وكان نائما فخرجت بهدوء، وبعد لحظة تردد ذهبت إلى جناح "كيت" ووقفت على عتبة الباب، دون أن تلاحظها "كيت"، وجعلت تراقبها وهي تغني لطفلها لينام. كان وجه "كيت" هادئا وساكتا مرة أخرى، وبدت كمعادتها لدرجة أنه للحظة خيل إلى "رينسنب" أن الأمور المفجعة التي حدثت في الأربعاء والعشرين ساعة الماضية كانت حلما. ثم استدارت ببطء ومضت نحو جناحها الخاص، وعلى منضدة بين أدوات زينتها وأوانيها كانت توجد علبة "نوفريت" الصغيرة للجواهر. والتقطتها "رينسنب" ووقفت تنظر إليها وهي في يدها. إن "نوفريت" قد لمستها وحملتها، إنها كانت ملكها. ومرة أخرى جرفت "رينسنب" موجة من العطف ممزوجة بشعور غريب من الفهم. إن "نوفريت" كانت تعسة وربما بينما كانت تمسك بهذه العلبة الصغيرة حولت هذه التعاسة إلى حقد وضغينة.. وإلى الآن لم ينفث هذا الحقد.. كان لا يزال يبحث عن الانتقام.. آه كلا بالتأكيد.. كلا بالتأكيد.. كلا.. وبطريقة آلية تقريبا. أدارت "رينسنب" الزرارين وانفتحت العلبة كانت اللؤلؤ الحمراء فيها والحجاب المكسور وشيء آخر. وأخرجت "رينسنب" وقلبها يدق بعنف عقدا من الذهب وفيه أسود ذهبية في واجهته.

الفصل الخامس عشر

وبحركة لا شعورية أعادته بسرعة إلى علبة الجواهر وأقفلتها مرة ثانية. كانت تشعر بفطرتها بأن عليها أن تخفي اكتشافها، ونظرت خلفها بخوف لتتأكد عدم وجود أي شخص يراقبها. وأمضت ليلة لم تذق فيها النوم وهي تتقلب على جنبها بقلق، وتغير وضع رأسها على المسند الخشبي للرأس على سريرها. وعندما لاح الصباح كانت قد قررت أنها يجب أن تأمن أحدا على سرها، فلم يكن في وسعها أن تتحمل مثل هذا الاكتشاف المحير وحدها. وكانت قد جفلت مرتين في الليل وهي

تتساءل لو أنها ربما ستري "نوفريت" واقفة مهددة بجانبها، ولكن لم يكن هناك شيء لثراه. وأخذت "رينسنب" العقد ذا الأسود الذهبية من علبة المجوهرات وأخفته في ثنايا ثوبها اللينون، وما كادت تفرغ من هذا حتى قابلت "هينيت" التي كانت عيناها تلمعان بشدة سرورا لأن لديها أبناء جديدة.

- تصوري يا "رينسنب" .. أليس هذا فظيعا؟ هذا الولد الراعي، نائم نوما عميقا بجوار القمح والجميع يهزونه ويصيحون في أذنه، والآن يبدو أنه لن يصحو أبدا مرة أخرى. إنه يبدو كما لو أنه شرب عصير الخشخاش، وربما فعل ذلك، لكن إذا كان هذا هو ما حدث فمن أعطاه إياه؟ لا أحد هنا .. أنا واثقة بهذا، وليس من المحتمل أنه قد شربه وحده. آه كان يجب أن نتوقع هذا منذ الأمس، ولمست "هينيت" إحدى الأحذية العديدة التي تلبسها:

- ليحميننا "آمون" من أرواح الأموات الشريرة. إن الولد روى ما رآه وكيف رآه، ولذلك رجعت مرة ثانية وسقته من عصير الخشخاش لتغلق عينيه إلى الأبد .. آه إن "نوفريت" هذه قوية. لقد سافرت كما تعلمين خارج "مصر" وأكاد أقسم أنها تعلمت جميع أنواع السحر البدائي الغربية. نحن لسنا في أمان في هذا المنزل، لا أحد منا في أمان. يجب على والدك أن يقدم ثيرانا كثيرة لـ "آمون" - قطيعا بأكمله إذا لزم الأمر، ليس هذا وقت يمارس فيه الادخار. يجب أن نحمي أنفسنا ويجب أن نتوسل لوالدتك، هذا ما يعتزمه "أمحتوب". لقد قال الكاهن "مرسو" هذا .. خطاب رسمي للأموات .. إن "حوري" مشغول الآن بإعداده، وكان والدك يريد أن يوجهه إلى "نوفريت"، يستعطفها كما تعلمين يقول: «أيتها الممتازة "نوفريت"، ما الشر الذي أذيتك به أبدا .. إلخ». ولكن كما يقول الكاهن المبجل "مرسو" إن الأمر يحتاج إلى وسائل أقوى من هذا. إن والدتك "أياشات" كانت سيدة عظيمة، وكان خالها هو الحاكم وكان أخوها هو الساقى الأكبر للوزير في "طيبة"، وعندما تعرف ما يحدث لن تسمح لمجرد محظية أن تقضي على أولادها. آه نعم سنحصل على العدل وكما أقول إن "حوري" يعد لها التماسا الآن.

كان في نية "رينسنب" أن تبحث عن "حوري" وتروى له كيف وجدت العقد ذا الأسود، ولكن إذا كان "حوري" مشغولا مع الكهنة في معبد "إيزيس" فلا أمل في التفكير في محاولة مقابلته بمفرده. هل يجب أن تذهب إلى أبيها؟ وهزت

"رينسنب" رأسها دون اقتناع فإن فكرتها القديمة منذ الطفولة عن قوة أبيها قد تلاشت تماما، وأدركت الآن كيف أنه ينهار سريعا في الأزمات، وأن ما لديه هو جمعة جوفاء وليس قوة حقيقية، ولو لم يكن "ياهووس" مريضا لقاتل له ولو أنها تشك في أنه كان سيكون لديه أية نصائح عملية لها. إنه في الغالب سيصر على عرض الأمر على "أمحتوب"، وهذا كما تشعر "رينسنب" هو ما يجب أن تتجنبه بكل وسيلة. إن أول شيء سيفعله "أمحتوب" هو أنه سيديع الأمر على الملا، وكان شعور "رينسنب" هو أنه يجب إبقاءه سرا، ولو أنها كانت لا تعرف السبب في شعورها هذا. كلا إن ما تحتاج إليه هو مشورة "حوري" فإنه كالمعتاد دائما سيرف ما يجب عمله، وسيأخذ منها العقد، وفي نفس الوقت سيزيل عنها القلق والحيرة، وسينظر إليها بعينيه الطبيعتين الجادتين وستشعر في الحال بأن كل شيء على ما يرام.. ولبرهة أحست "رينسنب" بإغراء لكي تفضى سرها لـ "كيت"، ولكن "كيت" ليست مرضية، فإنها لا تستمع أبدا بانتباه، وربما إذا استطاع المرء أن يبعدها عن أطفالها... كلا هذا لن يفيد، إن "كيت" لطيفة لكنها غبية. وفكرت "رينسنب": "هناك "كاماني" .. وهناك جدتي". نعم "كاماني" ..؟ كان هناك شيء سار في فكرة تحديثها بهذا لـ "كاماني"، إن بوسعها رؤية وجهه بوضوح تام في مخيلتها، وتعبيره الذي يتغير من مرح إلى اهتمام، إلى خشية من أجلها.. أو هل هو من أجلها؟ لماذا هذا الشك الخبيث في أن "نوفريت" و"كاماني" كانا أقرب لبعضهما مما يبدو وظاهريا؟ لأن "كاماني" ساعد "نوفريت" على حملتها لفصم "أمحتوب" عن أسرته؟ لقد دافع عن نفسه بقوله إنه لم يملك إلا أن يفعل ما أمر به، لكن هل هذا حقيقي؟ إنه شيء سهل قوله وكل ما يقوله "كاماني" يبدو سهلا وطبيعيا وصحيحا. إن ضحكته مرحة لدرجة أنها تجعلك تريد أن تضحك أيضا. إن مشيته رشيقة، والطريقة التي يحرك بها رأسه من فوق كتفيه البرنزيتين، وعيناه اللتان تنظران إليه... تنظران إليك، وتوقفت أفكار "رينسنب" بارتباك. إن عيني "كاماني" مثل عيني "حوري": فيهما طيبة وأمان، إنهما تتحديان وتطالبان. كانت أفكار "رينسنب" قد ألهمت وجنتيها وبرقت عينها، ولكنها قررت ألا تخبر "كاماني" بعثورها على عقد "نوفريت". كلا إنها ستذهب إلى "أسا". إن "أسا" قد أثرت فيها أمس فإنها على الرغم من كبر سنها تفهم الأمور، وتمتعت بشعور

عملي ذكي لا يملكه سواها في الأسرة. وفكرت "رينسنب": "إنها عجوز ولكنها ستعرف".

-2-

عند أول ذكر للعقد نظرت "أسا" حولها بسرعة ووضعت إصبعها علي شفيتها محذرة، ومدت يدها وبحثت "رينسنب" بين ثنايا ثوبها ثم أخرجت العقد ووضعت في يد "أسا". وأمسكت به "أسا" للحظة قريبا من عينيها الكليلتين ثم أخفته في ثوبها، وقالت بصوت منخفض وبلهجة آمرة:

– كفانا الآن فمن يتحدث في هذا المنزل يتحدث إلى ماله أذن.

– لقد ظللت أغلب الليل مستيقظة أفكر وهناك أمور عديدة يجب عملها. إن أبي و"حوري" ذهبا إلى معبد "إيزيس" ليتشاورا مع الكاهن "مرسو" في محتويات الالتماس لوالدتي لكي تتدخل في الأمر.

– أعرف هذا. حسنا دعي والدك يشغل نفسه بأرواح أموات، إن أفكاري مشغولة بأمور هذه الدنيا.. عندما يعود "حوري" أحضره إلى هنا. هناك أمور يجب قولها ومناقشتها، وأنا أستطيع أن أثق بـ"حوري".

– "حوري" سيعرف ما يجب عمله. ونظرت إليها "أسا" بفضول:

– إنك تذهبين كثيرا لرؤيته في المقبرة اليس كذلك؟ فيم تتكلمان؟ وهزت "رينسنب" رأسها بإبهام:

– "آه.. النهر – و"مصر" – والطريقة التي يتغير بها الضوء ولون الرمال والأحجار.. ولكننا في أغلب الأحيان لا نتكلم بتاتا. إنني أجلس هناك فقط في سلام دون أصوات عالية ودون أطفال باكية ودون ضجيج. بوسعي أن أفكر كما أشاء ولا يقطع "حوري" أفكاري، وفي بعض الأحيان أنظر إلى أعلى وأجده يراقبني ويبتسم كلانا.. إنني سعيدة وأنا في أعلى الجبل هناك. قالت "أسا" ببطء:

– أنت محظوظة يا "رينسنب". لقد وجدت السعادة التي هي في كل قلوب الناس، والسعادة بالنسبة إلى أغلبية النساء تعني الحركة الدائبة والانشغال بالأمور الصغيرة. إنها العناية بالأطفال والضحك والمحادثة والشجار مع النساء الأخريات والحب والغضب مع رجل. إنها مكونة من أمور صغيرة مرتبطة بعضها ببعض مثل

خرز منظوم .

- هل كانت حياتك هكذا يا جدتي؟

- معظمها، ولكن الآن وقد أصبحت عجوزا أجلس بمفردي كثيرا، وضعفت عيناوي وأمشي بصعوبة فقد أدركت أن هناك حياة داخلية، كما أن هناك حياة خارجية، ولكنني كبرت ولم يعد في وسعي أن أتعلم طريققتها الصحيحة، ولذلك فإنني أنهر خادمتي الصغيرة وأتمتع بالطعام الساخن الجيد من المطبخ، وأتذوق كل أنواع الخبز العديدة التي تخبزها، وأتمتع بالعنب الناضج وبعصير الرمان. إن هذه الأشياء تبقى عندما تفرغ الأمور الأخرى. إن الأولاد الذين كنت أحبهم قد ماتوا، وأبوك ليساعده "رع"، كان دائما ساذجا، كنت أحبه عندما كان طفلا يحبو ولكنه الآن يثيرني بتصنعه الأهمية. وأنا أحبك أكثر من كل أحفادي يا "رينسنب"، وعلى ذكر الأحفاد أين "إيبي"؟ لم أره اليوم ولا أمس.

- إنه مشغول جدا بمراقبة تخزين الحبوب. لقد ترك له أبي مسؤولية هذا العمل. وابتسمت "أسا":

- هذا سيسر ديكنا الصغير، إنه سيتبختر وهو ممتلئ بأهميته، عندما يأتي لياكل ابعتي به إليّ.

- نعم يا "أسا".

- وبالنسبة إلى بقية الأمر يا "رينسنب"، الصمت ..

-3-

- هل كنت تريد أن رأيتي يا جدتي؟ وقف "إيبي" يبتسم بكبرياء ورأسه مائل جانبا قليلا وبين أسنانه وردة بيضاء. وبدا عليه السرور بنفسه وبحياته عموما. وقالت "أسا" وهي تفحصه بدقة:

- إذا كان بوسعك أن تمنحني برهة من وقتك الثمين. ولم تؤثر لهجتها الحادة في "إيبي".

- أنا حقيقة مشغول جدا اليوم فإن عليّ أن أراقب كل شيء بما أن أبي ذهب إلى المعبد.

- إن الذئب الصغيرة تعوي عاليا. ولكن "إيبي" لم يهتز:

– هيا يا جدتي إنك بلا ريب لديك أكثر من هذا تريدن قوله لي .
– بالتأكيد لدي أكثر من هذا لأقوله وأولا هذا منزل حزين . إن جثمان أخيك
"سويك" بين أيدي الحنوطية ومع ذلك فوجهك مشرق كما لو كان هذا يوم عيد .
وابتسم "إيبي" :

– إنك لست منافقة يا "أسا" فهل تريدن أن أكون أنا هكذا؟ أنت تعرفين جيدا
أنني و"سويك" لم نكن لنحب بعضنا، وكان يفعل كل ما بوسعه ليضايقني ويحبط
خططي . كان يعاملني كطفل وكان يعهد إلي بكل الأعمال المهينة والصيبانية في
الحقول . وكثيرا ما كان يتهمك ويضحك علي، وعندما أراد أبي أن يشركني وأخوي
الكبيرين معه كان "سويك" هو الذي أقنعه بالا يفعل ذلك . وسالت "أسا" بحدّة:
– ما الذي يجعلك تعتقد أن "سويك" هو الذي أقنعه بذلك؟
– لقد قال لي ذلك "كاماني" .

– "كاماني"؟ ورفعت "أسا" حاجبيها وأزاحت باروكتها إلى جانب وهرشت
رأسها:

– "كاماني" . إني أجد هذا الآن مهما .
– قال "كاماني" إنه سمع هذا من "هينيت" ، ونحن متفقون جميعا على أن
"هينيت" تعرف دائما كل شيء . وقالت "أسا" بجفاء:
– ومع ذلك فهذه المرة كانت "هينيت" مخطئة . كان من رأي "سويك"
و"ياموس" بلا ريب أنك صغير جدا على الأعمال . . ولكن أنا . . نعم أنا، التي
أقنعت أباك بعدم مشاركتك .

– أنت يا جدتي . . وحقق إليها الصبي بدهشة حقيقية ثم بدا على ملامحه تجهم
أسود، ووقعت الوردة من بين شفتيه .

– لماذا تفعلين هذا؟ ما شأنك؟

– إن شؤون أسرتي هي من صميم شؤوني .

– واستمع لك والدي؟

– ليس في أول مرة . لكنني سأعطيك درسا يا ولدي الجميل . إن النساء يحاورن
ويتعلمن، إذا كن لم يولدن وهن يعرفن أن يلعبن على ضعف الرجال وقد تتذكر
أنني بعثت "هينيت" بلعبة الشطرنج إلى الشرفة في المساء الرطب .

- إنني أتذكر. لقد لعبت أنا وأبي معا. وماذا في ذلك؟

- هذا. لقد لعبتما ثلاث مرات وبما أنك اللاعب الأمهر فقد هزمته في المرات

الثلاث.

- نعم.

- هذا كل ما في الأمر. إن أباك كممثل كل اللاعبين الضعفاء لم يعجبه هزيمته،

خصوصا من مجرد صبي ولذلك تذكر كلماتي، وقرر أنك صغير جدا عن أن تصبح

شريكا. وحدق "إيبي" إليها لحظة ثم ضحك ضحكة غير سارة. وقال:

- إنك ذكية جدا يا "أسا". نعم قد تكونين عجوزا ولكنك ذكية. بالتأكيد فانت

وأنا أذكيا هذه الأسرة. لقد انتصرت علي في أول مباراة ولكنك ستترين أنني

سأنتصر في المباراة القادمة، لذلك خذي حذرک يا جدتي.

- أنا أنوي ذلك وبدوري دعني أذكوك أنت أن تأخذ حذرک. إن أحد أخويك قد

مات والآخر كاد أن يموت وانت أيضا ابن أبيك، وقد يصيبك ما أصابهم. وضحك

"إيبي" باستهزاء:

- لا خوف من ذلك.

- ولم لا؟ أنت أيضا هددت وأهنت "نوفريت".

- "نوفريت" ... كان ازدراء "إيبي" واضحا. وسالت "أسا" بحدة:

- ماذا يدور برأسك؟

- إن لي آرائي الخاصة يا جدتي وأستطيع أن أؤكد لك أن "نوفريت" والأعيب

روحها لا تقلقني. دعيتها تفعل أقصى ما في وسعها. وندت صيحة حادة من ورائه

ودخلت "هينيت" وهي تجري وتهتف:

- أيها الولد الأحمق، أيها الولد المتهور.. أتتحدى الاموات بعد كل ما ذقناه مما

تستطيعه؟ ولا تلبس حتى حجابا لحمايتك.

- حماية؟ أنا ساحمي نفسي. ابعدي عن طريقي يا "هينيت" فإن ورائي عملا.

إن هؤلاء الفلاحين الكسالى سيعرفون ما يعني وجود سيد حقيقي لهم... وأزاح

"هينيت" جانبا وخرج بخطى واسعة. وقاطعت "أسا" عويل ونحيب "هينيت":

- استمعني إلي "هينيت" وكفاك تعجبا من "إيبي" .. إنه قد يعرف ما يفعله وقد

لا يعرف.. إن سلوكه غريب جدا لكن وأجيبيني على هذا: هل قلت لـ "كاماني" إن

"سوبك" هو الذي أقنع "أمحتوب" بالا يدخل "إيبي" في الشركة؟ وأنخفض صوت "هينيت" إلى نبرته الباكية العادية:

- إنني بالتأكيد مشغولة جدا في المنزل لكي يضيع وقتي بالجري هنا وهناك وتزويد الناس بالأخبار، و"كاماني" من دون الناس جميعا. إنني متأكدة من أنني لا اكلمه إلا إذا جاء إليّ وكلمني هو. إن له طريقة لطيفة كما يجب أن تعرفي بنفسك يا "أسا"، وأنا لست الوحيدة التي تفكر فيه هكذا، آه لا. وإذا أرادت أرملة شابة أن تعقد قرانها من جديد فإنها في العادة تختار شابا وسيما، ولو أنني لا أعرف ما سيقوله "أمحتوب" فإن "كاماني" مجرد كاتب صغير قبل كل شيء.

- دعك من هو "كاماني"؟ هل قلت له إن "سوبك" هو الذي عارض دخول "إيبي" في الشركة؟

- حسنا، في الحقيقة يا "أسا" لا أستطيع أن أتذكر ما قد أكون قلته أو لم أقله. وفي الواقع فإنني لم أذهب لأحد وأقل له أي شيء. هذا أمر أكيد، ولكن قد تسمع كلمة من هنا وهناك وأنت نفسك تعلمين ما الذي كان يقوله "سوبك"، و"ياموس" أيضا في هذا الأمر، ولو أنه بالطبع لم يكن ليتكلم بصوت عال مثله ولا كان يردد هذا بكثرة مثل "سوبك"، إن "إيبي" مجرد صبي ولن ينفع هذا أبدا، وقد يكون "كاماني" سمعه منه وهو يقول هذا وليس مني أنا فإنني لا أثرر أبدا، ولكن بعد كل هذا فإن الإنسان أعطي لسانا ليتكلم به وأنا لست خرساء بكما.

- أنت بالتأكيد لست كذلك. إن اللسان يا "هينيت" يكون أحيانا سلاحا. إن اللسان قد يسبب أكثر من موت واحد وآمل ألا يكون لسانك أنت يا "هينيت" قد تسبب في موت أحد.

- "أسا" ماذا تقولين. وماذا يدور في رأسك؟ أنا متأكدة أنا لا أقول لأحد أبدا كلمة لست مستعدة لأن يسمعها أمام العالم أجمع. أنا مخلصه جدا للعائلة كلها، وعلى استعداد لأن أموت من أجل أي فرد فيها. آه إنهم لا يقدرّون إخلاص "هينيت" العجوز. لقد وعدت والدتهم الغالية... وقاطعتها "أسا" بجفاء:

- ها. ها هي فرختي السمينة المطهورة بالكرات والكرفس.. إن رائحتها بديعة وهي مطهية كما يجب، بما أنك متفانية إلى هذه الدرجة يا "هينيت" فيمكنك أن تأخذي قطعة صغيرة من جانب لعلها تكون مسمومة. وصرخت "هينيت":

- "أسا" مسمومة.. كيف يمكنك أن تقولي شيئا كهذا وهي مطبوخة في مطبخنا أيضا؟ وقالت "أسا":
- حسنا يجب أن يذوقها أحد احتياطيا. ومن الأفضل أن يكون أنت يا "هينيت" بما أنك مستعدة لأن تموتي من أجل أي فرد في العائلة. إنني لا أظن أنها ستكون ميتة مؤلمة.. هيا يا "هينيت" انظري كم هي سميئة وشهية. كلا شكرا أنا لا أريد أن أفقد جاريتي الصغيرة فهي صغيرة ومرحة، وأنت قد تخطيت أفضل أيامك يا "هينيت" ولا يهم كثيرا ماذا يحدث لك. هيا الآن، افتحي فمك.. ممتازة أليس كذلك؟ أنا لا أقول، لقد اخضر لونك. ألم تعجبك نكتتي الصغيرة؟ أنا لا أعتقد أنها أعجبتك ها. ها.. وتمايلت "أسا" من كثرة الضحك ثم تمايلت نفسها فجأة وبدأت تأكل طبقها المفضل بشهية.

الفصل السادس عشر

انتهت الاستشارة في المعبد وتم إعداد وتدبير صيغة الالتماس وقد اشتغل فيها بهمة "حوري" وكاتبان آخران من المعبد. والآن أخيرا اتخذت الخطوة الأولى ووقع الكاهن أمرا بقراءة مسودة الالتماس: "إلى روح السيدة الجليلة "أياشات". هذه الرسالة من زوجك. هل نسيت الزوجة زوجها؟ هل نسيت الام أولادها الذين ولدتهم..؟ ألا تعرف السيدة الجليلة "أياشات" أن روحا شريرة تهدد أولادها؟ إن "سوبك" ابنها قد ذهب إلى "أوزوريس" مسموما. لقد عاملتك بكل احترام في دنياك، وأعطيتك الجواهر والملابس والدهون والعطور، ولقد عشنا في سلام ومودة سويا وعندما مرضت لم أبخل عليك بشيء، وأحضرت لك طبيبا نابغة ودفنت بكل احترام وبالطقوس الاصلوية وأعددت كل الامور التي تحتاجين إليها في حياتك المقبلة، الخدم والثيران وماكولات ومشروبات وجواهر وملابس وحزنت عليك سنوات كثيرة، وبعد سنوات طويلة اتخذت فقط محظية لكي أعيش كما يجب أن يعيش رجل لم يكبر بعد. إن هذه المحظية هي التي تقوم بأعمال شريرة ضد أولادك. ألا تعرفين هذا؟ ربما تجهلينه وبالتأكيد عندما تعرفين ستهرعين لنجدة أولادك. هل من الممكن أنك تعرفين ولكن الشر ما زال مستمرا؛ لأن المحظية "نوفريت" تملك سحرا

شريرا قويا؟ لكن بالتأكيد أن هذا ضد رغبتك يا "أياشات". لذلك تذكري أن لك في حقل القرايين أقارب أقوياء. "إيبي" النبيل العظيم الساقى الاول للوزير. اطلبي معونته وأيضا خالك "مير بتاح" القوي العظيم حاكم الولاية بلغيه الحقيقة المخجلة. دعي الأمر ينظر في محكمته واستدعي الشهود ودعيهم يشهدون ضد "نوفريت" بأنها فعلت شرا. وليصدر حكم ولتدان "نوفريت" وليحكم عليها بالا ترتكب شرا ضد هذا البيت. آه أيتها السيدة الجميلة "أياشات" إذا كنت غاضبة من زوجك "أمحتوب"؛ لأنه استمع إلى تمرير هذه المرأة الشريرة، وهدد بأن يظلم أولادك فتذكري أنه ليس وحده الذي يتالم ولكن أولادك أيضا يتالمون. سامحي زوجك "أمحتوب" من أجل ما فعله بأولادك". وتوقف الكاتب الاول عن القراءة وأوما "مرسو" موافقا.

– إنها مكتوبة جيدا ولا اعتقد أننا أغفلنا فيها شيئا. ونهض "أمحتوب":
– أنا أشكرك أيها الكاهن المبجل وستصلك قراييني قبل أن تغرب الشمس غدا، مواشي وزيت وكتان.. هل نحدد اليوم الذي يلي ذلك للطقوس ووضع البلاص المنقوش في غرفة القرايين التابعة للمقبرة؟
– اجعلها ثلاثة أيام من الآن، فإنه يجب نقش الكلام على البلاص والإعداد للطقوس الضرورية.

– كما تشاء. إني مشغول البال وأخشى أن تقع أية مصيبة أخرى.
– أفهم قلقك جيدا يا "أمحتوب" ولكن لا تخف إن روح "أياشات" الطيبة ستستجيب بالتأكيد لهذا الالتماس، وأقاربها أقوياء ولهم نفوذ وفي وسعهم أن ينفذوا العدالة حيث تستحق بجدارة.

– لتسمح "إيزيس" بهذا. أشكرك يا "مرسو"، لعنايتك ولشفائك لابني "ياموس". هيا يا "حوري" علينا الكثير الذي يجب عمله فلنرجع إلى المنزل. آه إن هذا الالتماس قد أزاح حملا عن ذهني إن "أياشات" المبجلة لن تتخلى عن زوجها الحائر.

كانت "رينسنب" تتربح "حوري" عندما دخل الفناء وهو يحمل رزمة أوراق البردي وجاءت تجري من البحيرة.

- "حوري".

- نعم يا "رينسنب".

- هل تأتي معي إلى "أسا"؟ إنها تنتظرك وتريدك.

- بالطبع. دعيني أرى إذا كان "أمحتوب" ... ولكن "إيبي" كان قد حاصر أباه

وكان الابن والاب منهمكين في الحديث.

- دعيني أضع هذه الرزم والأشياء الأخرى وسأتي معك يا "رينسنب". وبدت

"أسا" مسرورة عندما دخلت عليها "رينسنب" و"حوري".

- ها هو "حوري" يا جدتي. لقد أتيت به إليك فوراً.

- حسناً. هل الجو لطيف في الخارج؟ وأخذت "رينسنب" تفكر قليلاً، ثم قالت:

- أعتقد ذلك ...

- إذن ناوليني عصاي فإنني سامشي قليلاً في الفناء. كانت "أسا" قليلاً ما تترك

المنزل ولذلك كانت "رينسنب" مندهشة. وقادت المرأة العجوز وهي تسندها بيدها

ومضوا عبر البهو الرئيسي إلى الشرفة.

- هل تجلسين هنا يا جدتي؟

- كلا يا بنتي سامشي حتى البحيرة. كانت "أسا" تتقدم ببطء ومع أنها كانت

تعرج إلا أنها لم يبد عليها التعب، وكانت قدمها قويتين، ونظرت حولها واختارت

بقعة بجانب البحيرة كانت فيها زهور وتظللها شجرة جميز. ثم قالت برضاء بعد أن

استقرت:

- هنا نستطيع الآن أن نتكلم دون أن نسمعنا أحد. قال "حوري" مستحسناً:

- أنت حكيمة يا "أسا".

- إن الكلام الذي سيقال لا يجب أن يعرفه أحد سوانا نحن الثلاثة. أنا أثق بك

يا "حوري". لقد ظللت معنا منذ أن كنت ولداً صغيراً، وكنت دائماً مخلصاً كتوما

وحكيماً. إن "رينسنب" هي أحب أحفادي إليّ، ولا يجب أن يصيبها أذى

يا "حوري".

– لن يصيبها أذى يا "أسا". لم يرفع "حوري" صوته ولكن نبراته والنظرة التي في عينيه أرضت السيدة العجوز تماما.

– هذا قول حسن يا "حوري" – بهدوء وبلا حماس ولكن كمن يعني ما يقول –
والآن ماذا تم اليوم؟ وروى "حوري" مضمون الالتماس واستمعت "أسا" بعناية. ثم قالت:

– استمع إليّ يا "حوري" وانظر إلى هذا... وأخرجت العقد من ثوبها وأعطته له
وأضافت:

– قولني له يا "رينسنب" أين وجدته... وأخبرته "رينسنب". ثم قالت "أسا":

– حسنا يا "حوري" ما رأيك؟ صمت "حوري" برهة ثم سأل:

– أنت كبيرة وحكيمة يا "أسا" ما رأيك أنت؟

– إنك يا "حوري" أحد الذين لا يحبون أن يتكلموا بعجلة دون أدلة. إنك كنت تعرف منذ البداية كيف ماتت "نوفريت" اليس كذلك؟

– كنت أشك في الحقيقة يا "أسا". كان مجرد شك.

– بالضبط. وكل ما لدينا الآن مجرد شك، ومع ذلك فهنا بجوار البحيرة وبيننا نحن الثلاثة ممكن أن نتحدث عن الشك. ولا نتكلم عنه بعد ذلك. يبدو لي أن هناك ثلاثة تعليقات للأمر المفجعة التي حدثت: أولا: إن الراعي قد صدق، وإن ما رآه هو في الحقيقة شبح "نوفريت" الذي عاد من الموت، وإن لها رغبة شريرة لتنتقم أكثر من ذلك بجلب الحزن والأسى لاسرتنا. هذا ممكن، ويقول الكهنة والآخرون إن هذا ممكن، ونحن نعرف أن الأمراض تسببها الأرواح الشريرة، ولكن يبدو لي –أنا المرأة العجوز التي لا تميل إلى تصديق الكهنة والآخريين– أن هناك احتمالات أخرى.
قال "حوري":

– مثل؟

– لتعترف بأن "نوفريت" قتلت بيد "ساتيبي"، وأنه بعد ذلك بمدة خيل لـ "ساتيبي" أنها رأت "نوفريت" وأنها وقعت وماتت نتيجة لخوفها وشعورها بالذنب. إن كل هذا واضح بما فيه الكفاية، ولكن لننظر الآن إلى احتمال آخر، وهو أنه بعد ذلك أراد أحدهم –لسبب لا نعرفه بعد– أن يتسبب في موت اثنين من أبناء "أمحتوب"، وهذا الشخص اعتمد على خوف خرافي يسند الجريمة إلى شبح

"نوفريت"، وهو افتراض ملائم بشكل غريب. وصاحت "رينسنب":

– من يريد قتل "ياموس" أو "سوبك"؟ .. أجابت "أسا":

– ليس الخدم فإنهم لا يجروون وهذا يترك لنا أفرادا قليلين نختر من بينهم.

– واحد منا؟ لكن كيف يمكن هذا يا جدتي؟ قالت "أسا" بجفاء:

– اسالي "حوري" ولاحظي أنه لم يعترض. وتحولت "رينسنب" نحوه.

– "حوري" ... بالتأكيد؟ وهز "حوري" رأسه بجد:

– "رينسنب" أنت صغيرة وتثقين بالناس. أنت تعتقدين أن كل شخص تعرفينه وتخبينه هو كما يبدو لك .. أنت لا تعرفين قلب الإنسان والمرارة، نعم بل والشر الذي قد يحتويه.

– لكن من .. من منهم؟ وقاطعتها "أسا":

– لنرجع إلى هذه الرواية التي قالها الراعي. إنه رأى امرأة مرتدية ثوب لينون مصبوغ، وتضع عقد "نوفريت"، والآن إذا لم يكن هذا شبحا فإنه إذن رأى بالضبط ما ذكره، وهذا يعني أنه رأى امرأة تحاول متعمدة أن تبدو مثل "نوفريت". قد تكون "كيت" وقد تكون "هينيت" وقد تكون أنت يا "رينسنب" وعن هذا البعد قد يكون أي أحد يلبس ثوب امرأة وباروكة. صه .. دعوني أكمل. إن الاحتمال الآخر هو أن الولد يكذب، وأنه روى رواية أوحى له بها أحدهم، وأنه كان يطيع شخصا له الحق في أن يأمره، وقد يكون غبيا لدرجة أنه لم يدرك النقطة في الرواية التي أرشي أو خُذع ليقولها. إننا لن نعرف أبدا الآن لأن الولد قد مات، وهذا في ذاته نقطة مهمة. إن هذا يجعلني أميل إلى الاعتقاد أن الولد روى رواية علمها إياه شخص ما، ولو كان قد استجوب بعمق كما كان سيحدث اليوم، فإنه كان سيتعثر في روايته، فإنه من السهل بقليل من الصبر اكتشاف ما إذا كان طفل يكذب. قال "حوري":

– إذن فانت تعتقدين أن بيننا شخص يدس السم؟

– نعم. ألا تعتقد أنت ذلك؟ ردّ "حوري":

– أنا أيضا أعتقد هذا. ونظرت "رينسنب" من واحد إلى الآخر بحسرة. ومضى

"حوري" يقول:

– ولكن يبدو لي أن الدافع ليس واضحا. قالت "أسا":

– أنا أوافقك ولهذا فإنني لست مرتاحة. أنا لا أعرف مَنْ المهْدُد بعد ذلك.
واقطعتها "رينسنب":

– لكن أحدنا؟ وكان صوتها مازال غير مصدق. وقالت "أسا" بحزم:
– نعم يا "رينسنب"، أحد منا. "هينيت" أو "كيت" أو "إيبي" أو "كاماني" أو
حتى "أمحسوب" نفسه.. نعم أو "أسا" أو "حوري" أو حتى... وابتسمت
"رينسنب". قال "حوري":

– أنت مخطئة يا "أسا". يجب أن نحسب أنفسنا. وكان في صوت "رينسنب"
ذعر وتساؤل:

– لكن لماذا؟.. لماذا؟ قالت "أسا":

– لو كنا نعرف السبب لعرفنا تقريبا كل ما نريد معرفته، إننا نستطيع فقط أن
نركّز في الذين هوجموا. تذكروا أن "سويك" لحق بـ"ياموس" على غير انتظار بعد
أن بدأ "ياموس" يشرب. من المؤكد إذن أن الفاعل كان يريد قتل "ياموس"، وهناك
تأكيد أقل بأن هذا الشخص كان يريد قتل "سويك". وتكلمت "رينسنب"
بتشكك:

– لكن من يرغب في قتل "ياموس"، إن "ياموس" بالتأكيد دوننا جميعا لا أعداء
له. إنه دائما هادئ وطيب. قال "حوري":

– إذن فمن الواضح أن الدافع ليس حقدا شخصيا، وكما تقول "رينسنب" إن
"ياموس" ليس من طراز الرجل الذي له أعداء. "أسا":

– كلا إن الدافع أكثر غموضاً من ذلك. إننا هنا نواجه إما عداوة ضد الأسرة كلها
كوحدة، أو أن هناك خلف كل هذه الأمور الجشع الذي حذرنا منه "بتاح". إنه كما
يقول حزمة من كل نوع من الشر، وعصبة من كل شيء سيئ. قال "حوري":

– إنني أرى الاتجاه الذي يميل نحوه عقلك يا "أسا"، ولكن لكي نتوصل إلى أية
نتيجة يجب أن ننتبأ بالمستقبل. وأومات "أسا" برأسها بشدة وانحرفت باروكتها
على إحدى أذنيها، ومع أن مظهرها كان مضحكا إلا أن أحدا لم يشعر بميل إلى
الضحك وقالت:

– تنبأ يا "حوري". وظل "حوري" صامتا لدقيقة أو دقيقتين وعيناه فيهما تفكير
وانتظرت المرأتان ثم تكلم أخيرا:

– لو كان "ياموس" قد مات كما كانت النية، إذن لأصبح المنتفعون الأوائل هم ابنا "أمحتوب" الباقيين "سويك" و"إيبي". .. ودون شك إن جزءاً من الضيعة كان سيخصص لأولاد "ياموس" ولكن إدارة الأرض كانت ستكون بين أيديهما، وبين يدي "سويك" بالأخص. وبلا ريب أن "سويك" كان سيصبح أكبر منتفع. وفي الغالب كان سيقوم مقام "أمحتوب" ككاهن القبر في غيابها، وكان سيرث هذا المنصب بعد وفاته، ولكن مع أن "سويك" كان هو المنتفع الأول إلا أنه لم يكن المذنب؛ لأنه هو نفسه شرب من الشراب المسموم لدرجة أنه مات. لذلك فعلى قدر ما أستطيع أن أراه فإن موت هذين الاثنين كان يفيد شخصا واحدا معينا في هذا الوقت، وهذا الشخص هو "إيبي" ... وقالت "أسا" موافقة:

– ولكنني ألاحظ يا "حوري" أنك بعيد النظر وأنا أقدر معنى جملتك الوصفية. لكن دعنا نبحث أمر "إيبي" إنه صغير، ومتعجل للأمور، وهو من عدة نواح سيئ الطباع، وهو في سن يبدو له فيها أن أهم شيء في الحياة هو أن يحصل على ما يريد، ولقد شعر بغضب واستياء من أخويه الكبارين، واعتقد أنه قد استبعد دون حق من المساهمة في المشاركة العائلية، ويبدو أيضا أن "كاماني" قال له أشياء دون حكمة.

– "كاماني"؟ كانت "رينسنب" هي التي قاطعتها، وما كادت تفعل ذلك حتى احمر وجهها وعضت شفتيها، وأدار "حوري" رأسه لينظر إليها وشعرت بحرج لا تفهمه من نظرته الطويلة الرفيعة. ومدت "أسا" عنقها إلى الامام وحدقت إلى "رينسنب" وقالت:

– نعم "كاماني". أما إذا كان هذا بإيعاز أو لا من "هينيت" فأمر آخر، لكن الواقع هو أن "إيبي" الذي هو طموح ومتعجرف كان يتبرم من سلطة أخويه الأكبر من سلطته، ويعتبر نفسه دون شك – كما قال لي منذ مدة طويلة – الرأس المفكر الذكي في العائلة. وكان صوت "أسا" جافا. قال "حوري":

– هل قال ذلك لك أنت؟

– إنه كان من الكرم بحيث أنه أشركني مع نفسه في ملكية كمية معينة من الذكاء. وسالت "رينسنب" غير مصدقة:

– اتعتقدين أن "إيبي" سم "ياموس" و"سويك" متعمدا؟

- أنا اعتبره مجرد احتمال . إن ما نتكلم عنه الآن هو الشك . ولا نملك حتى الآن دليلا . . إن الرجال قد قتلوا إخوتهم منذ الأزل، وهم يعرفون أن الآلهة لا تحب هذا، ولكنهم رغم ذلك مدفوعين بالشرور والجشع والحقد . ولو كان "إيبي" قد فعل هذا فإننا لن نجد من السهل الحصول على ما يثبت ما فعله لان "إيبي" ، وأنا اعترف بهذا، ذكي . وأوما "حوري" ومضت "أسا" تقول :

- لكن كما أقول نحن الآن نتكلم تحت الشجرة عن الشك، وسنمضي ننظر إلى كل فرد من الأسرة على ضوء الشك، وكما أقول إنني أستبعد الخدم فأننا لا أصدق ولو لدقيقة أن أي واحد منهم يجروء على فعل شيء من هذا القبيل . ولكن لا أستبعد "هينيت" . وهتفت "رينسنب" :

- "هينيت" ؟ لكن "هينيت" متفانية لنا جميعا وهي لا تكف عن ترديد ذلك .
- إنه من السهل الكذب كما أنه من السهل الصدق . إنني أعرف "هينيت" منذ سنوات عديدة، عرفتها منذ أن جاءت إلى هنا وهي شابة مع والدتك، وكانت قريبة لها، فقيرة وتعسة وكان زوجها لا يحبها . وكانت "هينيت" في الواقع قبيحة، وكان قد طلقها والطفل الوحيد الذي رزقت به مات في المهد . وجاءت إلى هنا وهي تتصنع التفاني لوالدتك، ولكنني رأيت عينيها وهي تراقب والدتك وهي تتحرك في المنزل وفي الفناء، وأقول لك يا "رينسنب" إنه لم يكن فيهما حب . كلا بل كان فيهما شيء أقرب إلى الحسد المر، وأما ادعاؤها بأنها تحبكم فأننا لا أثق به . قال "حوري" :

- قولني لي يا "رينسنب" . ألا تشعرين بمودة نحو "هينيت" ؟ أجابت "رينسنب" :

- كلا، لا أستطيع وقد لمت نفسي كثيرا لاني لا أحبها .
- ألا تظنين أن هذا لانك بالغريزة تعرفين أن كلماتها كاذبة؟ هل أظهرت لك أبدا حبها المزعوم بأي خدمة حقيقية؟ ألم تثر دائما الخلافات بينكم جميعا بالهمس وبتريدي أمور من الجائز أن تجرح وتتسبب في غضب؟

- نعم . . نعم، هذا حقيقي . وضحكت "أسا" ضحكة جافة . وقالت :
- إن لك عينين وأذنين في رأسك يا "حوري" العظيم . وناقشت "رينسنب" :
- لكن أبي يودها ويصدقها . قالت "أسا" :

- إن ابني كان وسيظل دائما ساذجا. إن الرجال جميعا يحبون المديح، و "هينيت" تستعمل العطور في كل حفل. قد تكون حقيقة مخلصه له وفي بعض الأحيان أظن ذلك، ولكنها بالتأكيد ليست مخلصه لأي شخص آخر في هذا المنزل. واعترضت "رينسنب":

- ولكنها بالتأكيد لم تقتل. لماذا تريد أن تقتل أي واحد منا؟ ما الخير الذي سيصيبها من ذلك؟

- لا شيء.. لا شيء. أما لماذا، فانا لا أعرف شيئا عما يجري في رأس "هينيت". ما تفكر فيه وما تشعر به هذا ما لا أعرفه. ولكن أعتقد أن أمورا غريبة تختمر خلف هذا السلوك المتذلل المتملق، وإذا كان هذا صحيحا فإن أسبابها لن تفهميها أنت أو "حوري" أو أنا. وأوما "حوري":

- هناك عفن يبدأ من الداخل.. لقد كلمت "رينسنب" في هذا مرة. قالت "رينسنب":

- ولم أفهمك ولكنني بدأت أفهم الآن أفضل من قبل.. لقد بدأ بمجيء "نوفريت"، لقد رأيت حينئذ كيف أنه لا أحد منا مثلما كنت أظن تماما وأخافني هذا والآن... وأتت بيديها بإشارة كمن لا حول لها:
- كل شيء يخيف. قال "حوري":

- إن الخوف هو المعلومات الناقصة، وعندما نعرف يا "رينسنب" لن يعود هناك خوف. ومضت "أسا" تقول:

- ثم هناك بالطبع "كيت". واعترضت "رينسنب":
- ليست "كيت". إن "كيت" لن تحاول قتل "ياموس". هذا شيء لا يصدق؟
قالت "أسا":

- لا يوجد شيء لا يصدق.. على الأقل هذا ما تعلمته في مجرى حياتي. إن "كيت" امرأة غبية تماما، وأنا دائما لا أثق بالنساء الغيبات فإنهن خطيرات، إنهن لا يستطعن رؤية شيء إلا محيططن المباشر، وشيء واحد فقط في وقت واحد. إن "كيت" تعيش في قلب عالم صغير مكون من نفسها وأولادها و "سوبك" بوصفه والد الأولاد، وقد تفكر ببساطة في أن إزالة "ياموس" سيغني أطفالها. إن "سوبك" كان دائما غير مرض في عين "أمحتوب". إنه كان متهورا لا يطيق الرقابة وليس مرنا

وكان "ياموس" هو الابن الذي يعتمد عليه "أمحتوب". لكن يموت "ياموس" كان "أمحتوب" سيضطر إلى الاعتماد على "سويك". وأنا أعتقد أنها سترى الموضوع ببساطة هكذا تماما. وارتعدت "رينسنب"، فعلى الرغم منها أدركت أن هذا وصف حقيقي لموقف "كيت" من الحياة. إن رقتها وحنانها وكل حركاتها الهادئة الحبيبة موجهة لأطفالها والعالم لا وجود له في نظرها خارج نفسها وأطفالها و"سويك"، وهي تنظر إلى العالم دون فضول أو اهتمام. وقالت "رينسنب" ببطء:

– لكنها بالتأكيد أدركت أنه من الممكن جدا أن يعود "سويك" كما عاد عطشان ويشرب أيضا من هذا الشراب؟ قالت "أسا":

– كلا لا أعتقد أنها كانت ستدرك هذا فإن "كيت" كما أقول غيبية، وهي ترى فقط ما تريد أن تراه، "ياموس" يشرب ويموت وينسب الأمر إلى السحر – إلى سحر فاتنتنا الشريرة "نوفريت" – إنها ترى فقط شيئا واحدا بسيطا، وليس إمكانات أو احتمالات عديدة ومتنوعة، وبما أنها لم تكن لتريد أن يموت "سويك" فلن يخطر ببالها أنه سيعود على غير انتظار.

– والآن مات "سويك"، و"ياموس" على قيد الحياة كم يكون هذا فظيعا بالنسبة إليها إذا كان ما تخمينه صحيحا.

– إنه من الأمور التي تحدث للمرأة إذا كان غيبيا، فإن الأمور تجري مختلفة جدا عن الطريقة التي بعدها... وتوقفت ثم مضت تقول:

– والآن ناتي لـ "كاماني". وشعرت "رينسنب" بأنه من الضروري أن تقول الكلمة بهدوء ودون اعتراض:

– "كاماني"؟ ومرة أخرى شعرت بعدم ارتياح وهي تشعر بعيني "حوري" عليها.
– نعم نحن لا نستطيع أن نستبعد "كاماني". لا يوجد لديه دافع معروف لإيذائنا، ولكن ما الذي نعرفه عنه حقيقة؟ إنه جاء من الشمال من نفس المكان الذي جاءت منه "نوفريت" إنه ساعدها – برضائه أو على الرغم منه – من يستطيع أن يعرف؛ ليغير قلب "أمحتوب" ضد أولاده، لقد راقبته في بعض الأحيان وفي الحقيقة فإني لا أفهمه. إنه يبدو لي على العموم شابا عاديا يتمتع ببعض الذكاء، وهو أيضا إلى جانب كونه وسيما له شيء يجذب إليه أعين النساء. نعم إن النساء سيعجبن دائما بـ "كاماني" ومع ذلك فانا أعتقد – وقد أكون مخطئة – أنه ليس من

الطراز الذي له تأثير حقيقي في قلوبهن وعقولهن. إنه يبدو دائما مرحا ولا يحمل هما ولم يبد عليه حزن شديد عند وفاة "نوفريت"، ولكن كل هذه مظاهر خارجية. من يستطيع أن يعلم ماذا يجري في القلب البشري؟ إن الرجل المصمم يمكنه بسهولة أن يلعب دوره. هل "كاماني" في الحقيقة يستنكر بشدة موت "نوفريت"، وهل يسعى لكي ينتقم لها؟ ألان "ساتيبي" قتلت "نوفريت" يجب أن يموت زوجها "ياموس" أيضا؟ نعم و"سوبك" أيضا الذي هددها وربما "كيت" التي كانت تضطهدها بطرق حقيرة و"إيبي" الذي كان يكرهها أيضا؟ إن هذا يبدو خياليا ولكن من يعلم؟ توقفت "أسا" ونظرت إلى "حوري" .. قال "حوري":
- من يعلم يا "أسا"؟ ونظرت إليه "أسا" بخبث.

- ربما تستطيع أن تقول أنت يا "حوري"؟ إنك تعتقد أنك تعرف ليس كذلك؟
وصمت "حوري" برهة ثم قال:

- نعم إن لي فكرة في رأسي عن سقم الشراب والسبب لذلك، ولكنها ليست واضحة تماما الآن .. وفي الحقيقة فإنني لا أرى .. وتوقف لدقيقة ثم هز رأسه:
- كلا ليس بوسعي أن أوجه اتهاما محمدا.

- إننا نتكلم هنا فقط عن الشك. اكمل يا "حوري" تكلم. وهز "حوري" رأسه:
- كلا يا "أسا". إنها مجرد فكرة معتمة .. ولو كانت صحيحة فإن من الأفضل لك إذن ألا تعرفي. إن معرفتك قد تكون خطرا عليك ونفس الشيء ينطبق على "رينسب".

- إذن فإن ما تعرفه خطر عليك أنت أيضا يا "حوري".
- نعم إنه خطر .. وأعتقد يا "أسا" أننا جميعا في خطر، ولو أن "رينسب" ربما كانت أقلنا تعرضا للخطر. ونظرت إليه "أسا" لبعض الوقت دون أن تتكلم ثم قالت أخيرا:

- أنا على استعداد لبذل الكثير لمعرفة ما في ذهنك. ولم يجب "حوري" في الحال وقال بعد برهة بدا أنه يفكر في خلالها:

- إن المفتاح الوحيد لما في عقول الناس هو سلوكهم. إذا تصرف رجل بطريقة غريبة وغير مألوفة دون أن يكون على طبيعته ... قالت "رينسب":
- حينئذ تشك فيه؟ اجاب "حوري":

- كلا.. هذا بعينه هو ما أعنيه. إن الرجل الشرير الذي ينوي الشر يدرك هذا ويعرف أنه يجب أن يخفيه بأي ثمن، وهو لذلك لا يجرؤ على أن يتصرف أي تصرف غير عادي.. قالت "أسا":

- رجل؟

- رجل أو امرأة. الأمر سيان. قالت "أسا":

- حقا.. ورمقته بنظرة فاحصة ثم قالت:

- وماذا عنا؟ ماذا عن الشك فينا نحن الثلاثة؟ قال "حوري":

- هذا أيضا يجب مواجهته. أنا موثوق بي جدا. إن العقود وبيع المحاصيل بين يدي، وبوصفي كاتباً أتولى كل الحسابات، فإن من المحتمل أن أكون قد زورتها، كما اكتشف "كاماني" في الشمال، ثم قد يكون "ياموس" قد حيره الأمر وبدأ يشك، ولذلك يكون من الضروري لي أن أسكت "ياموس"، وابتسم قليلاً من كلامه هذا. قالت "رينسنب":

- آه كيف يمكن أن تقول أشياء كهذه؟! لا أحد ممن يعرفونك سيصدق هذا الكلام. قالت "أسا":

- وأنا؟ أين الشك من ناحيتي، حسنا أنا عجوز وفي بعض الأحيان يمرض العقل عندما يكبر ويكره ما كان يحب. ربما أكون قد سئمت أحفادي وأسعى لتدمير من هم من لحمي ودمي. إنه مرض من فعل روح شريرة يصيب أحيانا الكبار. قالت "رينسنب":

- وأنا؟ لماذا أحاول قتل أخي الذي أحبه؟ قال "حوري":

- لو مات "ياموس" و"سويك" و"إيبي" فستكونين آخر أولاد "أمحتوب"، وسيجد لك زوجاً وترتين كل شيء هنا، وتصبحين أنت وزوجك أوصياء على أولاد "ياموس" و"سويك"، ثم ابتسم وتابع قوله:

- ولكن هنا تحت الشجرة، شجرة الجميز فإننا لا نشك فيك يا "رينسنب". قالت "أسا":

- تحت شجرة الجميز أو في غير هذا المكان فإننا نحبك.

الفصل السابع عشر

قالت "هينيت" وهي تدخل بضوضاء بينما كانت "أسا" تعرج داخلة إلى غرفتها:
- إذن فقد كنت خارج المنزل؛ هذا شيء لم تفعله من سنة تقريبا.. ونظرت
لـ"أسا" بتساؤل. قالت "أسا":

- إن الكبار لهم نزوات.

- رأيتك جالسة بجوار البحيرة مع "حوري" و"رينسب".

- كلاهما مجلسه لطيف. هل هناك شيء لا تريه أبداً يا "هينيت"؟

- حقا يا "أسا". إني لا أعرف ما تعنين. كنت جالسة هناك وبوسع العالم أجمع
أن يراك.

- لكنني لم أكن قريبة بما فيه الكفاية ليسمعني العالم أجمع. وابتسمت "أسا"
واستشاطت "هينيت" غضبا:

- لا أعرف لماذا أنت قاسية معي إلى هذا الحد يا "أسا". إنك دائما تلمحين إلى
أمور. إني مشغولة جدا بمراقبة العمل في المنزل لئتم كما يجب، فليس لدي متسع
من الوقت لأسمع أحاديث الناس. ماذا يهمني مما يقوله الناس؟
- هذا ما تساءلت عنه مرارا.

- لو لم يكن لاجل "أمحتوب" الذي يقدرني. وقاطعتها "أسا" بحدة:

- نعم لولا "أمحتوب" ..! إنك تعتمدين على "أمحتوب" اليس كذلك؟ ولو
جرى أي شيء لـ"أمحتوب" ... وكان دور "هينيت" أن تقاطع:

- لن يجري شيء لـ"أمحتوب".

- كيف تعرفين يا "هينيت"؟ هل هناك أي أمان في هذا المنزل؟ إن شيئا ما حدث
لـ"ياموس" و"سويك"؟

- هذا حقيقي، "سويك" مات. و"ياموس" كاد أن يموت. وانحنى "أسا" إلى
الأمم وسألت:

- "هينيت" لماذا ابتسمت عندما قلت هذا؟

- أنا؟ ابتسمت ... أنت تحلمين يا "أسا". هل من المحتمل أن ابتسم في وقت
كهذا وأنا أتكلم عن هذا الأمر الفظيع؟ قالت "أسا":

- أنا حقيقة شبه عمياء، ولكنني لست عمياء تماما، وفي بعض الأحيان بحركة من الضوء أو من الجفون أرى جيدا. جيدا جدا. وكثيرا ما يحدث أنه حين يتكلم إنسان مع شخص آخر يعرف أنه لا يرى جيدا فإنه لا يحترس، ويسمح لنفسه بأن تظهر على وجهه تعبيرات لا يسمح بظهورها في وقت آخر، ولهذا أسالك مرة أخرى لماذا ابتسمت بهذا الرضاء الخفي؟

- إن ما تقولينه شنيع ومشين.

- أنت خائفة الآن. وصاحت "هينيت" بحدة:

- ومن ذا الذي لا يخاف وكل هذه الامور تجري في هذا المنزل؟ إننا جميعا خائفون، لقد تاكدت رجوع هذه الأرواح الشريرة لتعذبنا، ولكنني أعرف ماذا حدث.. كنت تنصتين لـ "حوري". ماذا قال عني؟

- ما الذي يعرفه "حوري" عنك يا "هينيت"؟

- لا شيء.. لا شيء بتاتا. من الأفضل أن تسالي عما أعرفه أنا عنه؟ وبدا الاهتمام في عيني "أسا":

- حسنا ماذا تعرفين؟ ورفعت "هينيت" رأسها:

- آه إنكم جميعا تحتقرون "هينيت" المسكينة. إنكم تظنون انها قبيحة وغبية، ولكنني أعرف ما يجري. هناك أشياء كثيرة أعرفها، وفي الحقيقة لا يوجد إلا القليل جدا مما يجري في هذا المنزل مما لا أعرفه.. قد أكون غبية، ولكن أكثر مما يراه الأشخاص الأذكياء مثل "حوري" .. و "حوري" لديه طريقة ينظر بها إلي عندما يقابلني كما لو كنت غير موجودة، وكما لو كان يرى شيئا ورائي، شيئا لا وجود له. إن من الأفضل له أن ينظر إلي. قد يعتقد أنني كمية مهملة وغبية، ولكن ليس دائما الأذكياء هم الذين يعرفون كل شيء. إن "ساتيبي" كانت تعتقد انها ذكية وأين هي الآن؟ وتوقفت "هينيت" برهة ثم بدا أن ضميرها أنبها، وانكلمت قليلا بوضوح ونظرت إلى "أسا" بعصبية. ولكن "أسا" كانت تبدو غارقة في بحر من أفكارها الخاصة وكانت تبدو على وجهها نظرة خوف وصدمة وحيرة وقالت ببطء وبأمل:

- "ساتيبي" .. وقالت "هينيت" بصوتها الباكي المعتاد:

- أنا آسفة يا "أسا" لاني فقدت أعصابي، وفي الحقيقة فإنني لا أدري ماذا دهاني.

أنا لم أعن شيئا مما قلته .. ونظرت "أسا" إليها وقاطعتها.

– اخرجني يا "هينيت". سيان إذا عنيت أو لم تعن ما قلته فإن هذا لا يهم حقيقة، ولكنك نطقت بجملة واحدة أيقظت أفكارا جديدة في ذهني.. اذهبي يا "هينيت" واحذرك كوني حذرة في كلامك وأفعالك. إننا لا نريد وفيات أخرى في هذا المنزل. أمل أن تفهمي.

-2-

« كل شيء يخيف ».. وجدت "رينسنب" هذه الكلمات تصعد إلى شفتيها تلقائيا في أثناء المشاورة التي جرت بجوار البحيرة، لكنها لم تبدأ في إدراك حقيقتها إلا بعد ذلك. كانت قد بدأت آليا في الاتجاه إلى الكوخ الصغير لتلحق بـ "كيت" وبالاطفال، ولكنها وجدت أن خطواتها بدأت تثقل ثم توقفت من نفسها. ووجدت أنها كانت خائفة من اللحاق بـ "كيت"، والنظر إلى هذا الوجه الساكن الجميل؛ لأنها ربما يخيل إليها أنها ترى فيه وجه قاتلة بالسم، وراقبت "هينيت" وهي تخرج وتدخل بضجة مرة أخرى من الشرفة، ووجدت أن شعورها المعتاد بالنفور قد زاد، وتحولت بياس نحو باب الفناء، وقابلت بعد ذلك بلحظة "إيبي" وهو يدخل منه بخطى سريعة ورأسه عال وعلى وجهه الوقع ابتسامة. ووجدت "رينسنب" نفسها تحديق إليه. "إيبي" طفل الأسرة المدلل، الولد الوسيم العنيد كما تتذكره منذ أن رحلت مع "فاي".

– لماذا تنظرين إليّ بهذه الطريقة الغريبة يا "رينسنب"؟ ما الخبر؟

– هل كنت أفعل ذلك؟ وضحك "إيبي":

– أنت تبدين في مثل بلاهة "هينيت". وهزت "رينسنب" رأسها:

– إن "هينيت" ليست بلهاء إنها حاذقة جدا.

– إنها خبيثة جدا وأنا أعرف ذلك، وفي الواقع فإنها عامل مزعج في المنزل، وأنا

أنوي أن أتخلص منها. وفغرت "رينسنب" فاهها ثم أطبقت شفتيها وهمست:

– تتخلص منها؟

– ما الذي بك يا أختي العزيزة؟ هل رأيت أيضا أرواحا شريرة مثل هذا الصبي

الأسود الأبله المسكين؟

– أتعتقد أن كل إنسان أبله؟

– هذا الصبي كان بالتأكيد كذلك . حسنا . . حقيقة أنني ميال إلى عدم الصبر على الغباء . لقد عانيت الكثير منه ، ولأقول لك إنه ليس مسلما أن ينكب المرء بأخوين بليدين لا يستطيعان أن يريا أبعد من أنفهما ، والآن وهما بعيدان ولا يوجد إلا أبي أمامي فسترتين قريبا الفرق . إن أبي سيفعل ما أقوله أنا . ونظرت "رينسنب" إليه مرة أخرى . كان يبدو وسيما ومتعجرفا أكثر من العادة ، وكان يمتلئ في هذه اللحظة بالحوية والشعور بانتصار الحياة . وبدا كما لو أن شعورا داخليا كان يمدد بهذه الحوية . وقالت "رينسنب" بحدة :

– إن أخوي ليس كلاهما بعيدين عن طريقك كما تقول . فإن "ياموس" حي . ونظر إليها "إيبي" بتهكم وازدراء :

– وأظن أنك تعتقدين أنه سيشفى تماما؟

– ولم لا؟ وضحك "إيبي" :

– لم لا؟ حسنا دعينا نقول ببساطة أنا أختلف معك في الرأي . "ياموس" انتهى . قد يزحف لفترة ويجلس في الشمس ويتأوه ، ولكنه لم يعد رجلا . إنه قد شفي من أول مفعول للسم ولكن بوسعك أن تري بنفسك أنه لا يتقدم عن هذا .

– ولماذا لا يتقدم؟ إن الطبيب قال إنه سيمر وقت قليل يسترد بعده صحته وقوته تماما . وهز "إيبي" كتفيه :

– إن الأطباء لا يعرفون كل شيء . إنهم لا يتكلمون بحكمة ويستعملون كلمات رنانة . لومي "نوفريت" الشريرة إذا أردت ، لكن "ياموس" أخاك العزيز . . "ياموس" قضى عليه .

– أولا تخاف على نفسك يا "إيبي" ؟

– أخاف؟ أنا؟ وضحك الفتى وهو يرفع رأسه الجميل . فقالت "رينسنب" :

– إن "نوفريت" لم تكن لتحبك يا "إيبي" .

– لا شيء يستطيع أن يؤذيني يا "رينسنب" إلا إذا اخترت أن أجعله يفعل ذلك . مازلت صغيرا ولكنني واحد من الناس الذين ولدوا لينجحوا . أما بالنسبة إليك يا "رينسنب" فمن الأفضل لك أن تكوني في صفي . . أتسمعين؟ إنك تعاملينني كثيرا كولد غير مسؤول ، ولكنني الآن أكثر من هذا . إن كل شيء سيظهر ، وقريبا لن تكون هناك إرادة إلا إرادتي . قد يصدر أبي الأوامر ولكن ولو أن صوته هو الذي يتفوه

بها فإن العقل الذي تولد منه سيكون عقلي . وخطا خطوتين ثم قال وهو ينظر خلفه :
- لذلك احذري يا "رينسنب" ان اكون غير راض عنك؟ وبينما كانت "رينسنب"
واقفة تمدق إليه وهو يبتعد سمعت خطوة خلفها واستدارت لترى "كيت" واقفة
بجانبها .

- ما الذي كان يقوله "إيبي" يا "رينسنب"؟
- يقول إنه سيصبح السيد هنا قريبا . قالت "كيت" :
- ايقول هذا؟ إنني أعتقد شيئا آخر .

-3-

جرى "إيبي" بخفة صاعدا سلم الشرفة، ودخل المنزل وبدأ كما لو أن رؤية
"ياموس" وهو راقد على الأريكة تسره وقال بمرح:

- كيف حالك يا أخي؟ ان نراك ثانية في المزرعة؟ انا لا أفهم كيف لا تنهار كل
الأمور دونك؟ وقال "ياموس" متبرما بصوت ضعيف:

- انا لا أفهم شيئا بتاتا . إن السم قد طرد من جسمي فلماذا لا أسترد قوتي؟ لقد
حاولت المشي هذا الصباح ولم تحملني قدماي أنا ضعيف... ضعيف والأدهى أنه
يبدو أنني أضعف يوما عن يوم . وهز "إيبي" رأسه مواسيا:
- هذا فعلا سيئ . ألا يساعدك الأطباء؟

- إن مساعد "مرسو" يأتي كل يوم، وهو لا يفهم حالتي . إنني أشرب أعشابا قوية،
ويصلي للآلهة كل يوم ويعد لي طعاما مليحا بالغذاء، ويؤكد الطبيب أنه ليس
ثمة سبب يمنعني من استرداد قوتي بسرعة، ولكن بدلا من ذلك يبدو أنني أفقد قوتي
بالتدريج . قال "إيبي" :

- هذا شيء مؤسف . ومنضى في طريقه وهو يغني برفق حتى وصل إلى أبيه
و"حوري" وهما منهما كان في الحسابات . وأضئ وجه "أمحتوب" المتعب القلق
لرؤية ولده الأصغر المحبوب :

- ها هو "إيبي" ولدي . ما تقريرك عن الضيعة؟
- كل شيء على ما يرام يا أبي . لقد كنا نحصد الشعير . محصول طيب .
- نعم شكرا لـ "رع" .. كل شيء حسن في الخارج، وكم كنت أود أن يكون هذا

هو الحال أيضا في الداخل. ومع ذلك فيجب أن أثق بـ"أياشات"، إنها لن ترفض مساعدتنا في محتنتنا. أنا قلق على "ياموس"، ولا أفهم هذا الضعف الذي لا سبب له. قال "إيبي":

– إن "ياموس" كان دائما ضعيفا. قال "حوري" بهدوء:

– هذا ليس صحيحا فإن صحته كانت دائما جيدة. وقال "إيبي" مؤكدا:

– إن الصحة تعتمد على روح الرجل، و"ياموس" كان دائما ضعيف الإرادة، وكان يخاف حتى من إصدار الأوامر. وقال "أمحتوب":

– لم يكن الأمر كذلك في الفترة الأخيرة. لقد أظهر "ياموس" سلطة كبيرة في الشهور الأخيرة، وقد أدهشني هذا، لكن هذا الضعف في الأطراف يقلقني، وقد أكد لي "مرسو" إنه متى انتهت آثار السم سيكون الشفاء سريعا. وأزاح "حوري" بعض الأوراق جانبها وقال بهدوء:

– هناك بعض السموم المعروفة التي لا يظهر مفعولها في الحال ويعنف. إنها سموم غادرة، وتتراكم في الجسم كمية صغيرة كل يوم، ولا يأتي الموت إلا بعد شهور طويلة من الضعف، والنساء يعرفن هذه السموم، وفي بعض الأحيان يستخدمنها لقتل الزوج حتى يبدو كما لو أن موته كان طبيعيا. واصفر وجه "أمحتوب":

– هل تقترح أن هذا هو ما أصاب "ياموس"؟

– أنا أقترح.. إنه مجرد احتمال، ولو أن أحد العبيد يذوق طعامه الآن قبل أن يأكله إلا أن هذا الاحتياط لا يعني شيئا بما أن الكمية في أي طبق واحد وفي يوم واحد لن يكون لها أثر ضار. وهتف "إيبي" بصوت عال:

– هراء... هراء تام. أنا لا أصدق أن هناك مثل هذه السموم. ولم أسمع عنها قط. ورفع "حوري" عينيه:

– أنت صغير جدا يا "إيبي"، ولا تزال هناك أمور كثيرة لا تعرفها. وهتف "أمحتوب":

– لكن ما الذي بوسعنا أن نفعله؟ لقد استغثنا بـ"أياشات" وأرسلت القرايين للمعبد، ولو أنني لا أؤمن قط كثيرا بالمعابد. إن النساء هن اللاتي يعتقدن في هذه الأمور. ما الذي نستطيع أن نفعله أكثر من ذلك؟ قال "حوري" مفكرا:

– ليعد طعام "ياموس" عبد واحد موثوق به، وليراقب هذا العبد طوال الوقت.

- لكن هذا يعني... إن هنا في هذا المنزل... وصاح "إيبي":
- هراء... هراء تام. ورفع "حوري" حاجبيه وقال:
- فلنجرب هذا وسنرى قريبا إن كان هراء أم لا؟ وخرج "إيبي" غاضبا من الغرفة وحدث "حوري" وراءه وعلى جبينه عبوس وحيةرة.

- 4 -

- خرج "إيبي" من المنزل وهو ناثر لدرجة أنه كاد أن يوقع "هينيت" أرضا:
- ابعدي عن طريقي يا "هينيت" .. إنك دائما تتلصصين وتسدين الطريق.
- كم أنت فظ يا "إيبي". لقد تسببت في ازرقاق ذراعي.
- هذا شيء طيب. لقد سئمتك وطرقك الملتوية، وكلما اقترب خروجك من هذا المنزل نهائيا كان هذا أفضل، وسأجعلك ترحلين. ولمعت عينا "هينيت" بخبث:
- إذن فانت تريد طردي. اليس كذلك؟ بعد كل العناية والحب اللذين وهبتهما لكم جميعا والإخلاص الذي أخلصته للأسرة كلها. إن أباك يعرف هذا جيدا.
- أنا متأكد أنه سمع عن ذلك بما فيه الكفاية، ونحن كذلك. أنت في رأيي مجرد امرأة لسانها شيرير وفاعلة سوء. أنت ساعدت "نوفريت" على تنفيذ خطتها - هذا ما أعرفه جيدا - ثم ماتت فعدت تتملقينا مرة أخرى ولكن سترين في النهاية سيستمع أبي لي أنا وليس لرواياتك الكاذبة.
- أنت غاضب يا "إيبي" .. ما الذي أغضبك؟
- دعك من هذا.
- أنت لست خائفا من شيء يا "إيبي" أليس كذلك؟ إن هناك أمورا غريبة تجري هنا.

- لا تستطيعين إخفايتي أيتها القطة العجوز. ومضى سريعا خارجا من المنزل.
- واستدارت "هينيت" ببطء إلى الداخل، واسترعى انتباهها أن "ياموس". كان قد رفع نفسه من الأريكة محاولا أن يمشي، لكن قدميه خائتاه في الحال تقريبا، وكاد أن يقع على الأرض لولا مساعدة "هينيت" السريعة.
- هاك يا "ياموس" ارقد مرة أخرى.
- كم أنت قوية يا "هينيت". إن المرء لا يعتقد ذلك بالنظر إليك. ووضع رأسه

مرة أخرى على مسند الرأس الخشبي .

- أشكرك . لكن ماذا بي ؟ لماذا هذا الشعور كما لو أن عضلاتي قد تحولت إلى ماء؟

- إن ما بك هو أن هذا المنزل مسحور، وهذا من عمل هذه الشيطانة التي جاءت إلينا من الشمال . لا يأتي خير أبدا من الشمال . وتتم "ياموس" بقنوط مفاجئ:

- إنني أموت . نعم إنني أموت .. وقالت "هينيت" بعبوس:

- سيموت قبلك آخرون .

- ماذا؟ ماذا تعنين؟ ورفع رأسه على مرفقه وحدق إليها .

- أنا أعرف ما أقوله . وأومات "هينيت" برأسها عدة مرات وقالت:

- لن تكون أنت الذي سيموت في المرة القادمة .. انتظر وسترى .

-5-

- لماذا تتحاشيني يا "رينسنب"؟ وقف "كاماني" راسخا في طريق "رينسنب" مباشرة، واحمر وجه "رينسنب"، ووجدت صعوبة في الإجابة، فإنها في الحقيقة كانت قد استدارت متمعدة للناحية الأخرى عندما رأت "كاماني" قادما .

- لماذا يا "رينسنب" ..؟ قل لي لماذا؟ ولكن لم يكن لديها جواب حاضر، ولم يسمعها إلا أن تهز رأسها دون أن تجيب . ثم نظرت إليه وهو واقف في مواجهتها، وكانت تخشى قليلا أن يبدو وجهه مختلفا، وشعرت بسرور غريب عندما وجدته لم يتغير وهو ينظر إليها في هذه المرة نظرة جادة ودون ابتسامة على شفثيه . ولم تستطع أن تقابل نظراته، وأرخت عينيها، فإن "كاماني" كان بوسعه دائما تحريك مشاعرها، وكان قربه منها يؤثر فيها، ودق قلبها أسرع قليلا .

- إنني أعرف لماذا تتحاشيني يا "رينسنب"؟ واستطاعت الكلام:

- أنا ... لم أكن لآتحاشاك . لم أرك وأنت قادم .

- هذه أكذوبة . قال ذلك وهو يبتسم وقد أدركت هذا من نبرات صوته .

- "رينسنب" . "رينسنب" الجميلة . وشعرت بيده القوية الدافعة حول ذراعها

وفي التو أفلتت منه :

- لا تلمسني . لا أحب أن يلمسني أحد .

- لماذا تحاربيني يا "رينسنب"؟ أنت تعرفين جيدا الأمر الذي بيننا . أنت صغيرة وقوية وجميلة، وإنه لخالف للطبيعة أن تظلي حزينة على زوج مدى حياتك . سأخذك بعيدا عن هذا المنزل فإنه مليء بالموت وبالسحر الأسود . ستأتين معي وتكونين في أمان . وقالت "رينسنب" :
- افرض أنني لا أريد أن أذهب معك؟ وضحك "كاماني" ولمعت أسنانه القوية الناصعة.

- إنك تريدین الذهاب، ولكنك لا تريدین الاعتراف بذلك . إن الحياة طيبة يا "رينسنب" عندما يكون الزوجان معا . سأحبك وأسعدك وستكونين حقا جميلا لي .. أنا سيدك -انظري .. لن أعود أغنى لـ "بتاح" : أعطني زوجي الليلة بل سأذهب إلى "أمحتوب" . وأقول له: أعطني "رينسنب" كزوجة . لكنني لا أعتقد أنك هنا في أمان ولذلك سأخذك بعيدا .. أنا كاتب ماهر وبوسعي أن أدخل في خدمة أحد نبلاء "طيبة" العظماء إذا أردت، ولو أنني في الواقع أحب حياة الريف هنا، الزراعة والماشية وأغاني الرجال وهم يحصدون وقارب النزهة الصغير على النهر . أود أن أبحر معك على النهر يا "رينسنب" ، وسأخذ "تيتي" معنا . إنها طفلة جميلة وقوية وسأحبها وأكون أبا طيبا لها . هيا يا "رينسنب" ما قولك؟ ووقفت "رينسنب" ساكنة . كانت تشعر بقلبها وهو يدق بسرعة، وشعرت باسترخاء يطغى على إحساسها، ولكن مع ذلك كان هناك مع هذا الشعور بالليونة وبالتسليم شيء آخر، شعور بالعداء . وفكرت : "لمسة من يده على ذراعي وأضعف .. من أجل قوته .. وكتفيه العريضتين .. وفمه الضاحك .. ولكنني لا أعرف شيئا عن عقله، عن أفكاره، عن قلبه . ولا يوجد بيننا سلام ومحبة .. ماذا أريد ..؟ لا أعرف .. ولكن ليس هذا .. لا ليس هذا ..؟" وسمعت نفسها تقول هذا، ورنت الكلمات ضعيفة وغير واثقة حتى في أذنيها .

- أنا لا أريد زوجا آخر .. أريد أن أكون وحدي أن أكون نفسي ..
- لا يا "رينسنب" أنت مخطئة . إنك لم تولدي لتعيشي وحيدة . انظري ..
وشدت "رينسنب" يدها .

- أنا لا أحبك يا "كاماني" ، وأعتقد أنني أكرهك . وابتسم :
- أنا لا أعني بكرهك يا "رينسنب" . فإن كرهك قريب جدا للحب . سنتكلم في

هذا الموضوع مرة أخرى. وتركها وهو يتحرك بسرعة وفي مثل رشاقة غزال صغير. وذهبت "رينسنب" ببطء إلى حيث كانت "كيت" والأطفال يلعبون بجوار البحيرة. وردت "رينسنب" جزافا عندما كلمتها "كيت"، ولكن لم يبد على "كيت" أنها لاحظت هذا، فإنها كالمعتاد كان ذهنها مشغولا جدا بالأطفال حتى لا تنتبه لأشياء أخرى، وفجأة قالت "رينسنب" وهي تقطع السكون:

– هل أتخذ زوجا آخر، ما قولك يا "كيت"؟ وردت "كيت" بهدوء ودون اهتمام:

– سيكون هذا أفضل كما أعتقد، فانت قوية وصغيرة يا "رينسنب" وبوسعك أن تنجبي أطفالا كثيرين.

– هل هذه كل حياة المرأة يا "كيت"؟ أن اشغل نفسي في مؤخرة المنزل، ويكون لدي أطفال وأن أمضي بعد الظهر معهم تحت شجر الجميز؟

– إن هذا هو كل ما يهتم المرأة وأنت تعرفين هذا بالتأكيد. لا تتكلمي كما لو كنت جارية. إن النساء أقوياء في "مصر". إن الميراث يمر من خلالهن إلى أولادهن وهن منبع الحياة في "مصر". ونظرت "رينسنب" مفكرة إلى "تييتي" التي كانت مشغولة بعمل باقة من الورد لدميمتها، وكانت "تييتي" عابسة قليلا وهي تركز فيما تقوم به. وفي وقت من الأوقات كانت "تييتي" تشبه "فاي"، وكانت لها طريقة في مد شفتها السفلى وإدارة رأسها إلى الجانب قليلا مملكان يجعل قلب "رينسنب" يعتصر من الحب والألم. ولكن الآن لم يعد فقط وجه "فاي" غير واضح في ذاكرة "رينسنب"، ولكن "تييتي" أيضا لم تعد لها هذه الحركات، وفي بعض الأحيان كانت "رينسنب" تتعلق بـ"تييتي" وهي تشعر بأن الطفلة ما زالت جزءا حيا من جسدها، وتشعر حيالها بشعور ملكية مثير وكانت تقول لنفسها: "إنها ملكي، ملكي كلية". وفكرت "رينسنب" وهي تراقبها الآن: "إنها أنا، و"فاي"... ثم رفعت "تييتي" عينيها، وابتسمت عندما رأت أمها. كانت ابتسامة جادة ودودة فيها ثقة وسرور. وفكرت "رينسنب": "كلا إنها ليست أنا وليست "فاي" إنها نفسها. إنها "تييتي". وهي وحيدة كما أنا وحيدة وكما أننا جميعا وحيدون. ولو كان بيننا حب فسنكون أصدقاء مدى الحياة، لكن إن لم يكن بيننا حب سنكبر ونصبح غرباء. إنها "تييتي" وأنا "رينسنب". وكانت "كيت" تنظر إليها بفضول:

— ماذا تريد يا "رينسنب"؟ ..؟ إنني لا أفهم؟ ولم تجب "رينسنب". فكيف تجسد الكلمات لتقول لـ "كيت" الأمور التي لا تكاد تفهماها؟ ونظرت حولها إلى أسوار الفناء وشرفة المنزل المزينة بالوان زاهية، وإلى مياه البحيرة الهادئة والكوخ الصغير الرشيق، وإلى أحواض الزهور المنظمة وأوراق البردي. كل شيء في داخل الأسوار، ولا شيء يخيف، وحولها أصوات البيت المألوفة وهممة الأطفال وأصوات النساء العالية في المنزل ونعير الماشية من بعيد. وقالت ببطء:

— إن المرء لا يستطيع رؤية النهر من هنا؟ وبدت الدهشة على "كيت":

— ولماذا يريد المرء أن يراه؟ وقالت "رينسنب" ببطء:

— أنا غبية. ولا أعرف. ورات أمامها بوضوح تام منظر الحقول الخضراء الغنية، وبعدها عن بعد لون وردي فاتح ساحر ولون أزرق يتلاشى في الأفق ويندمج فيهما لون النيل الفضي. وأمسكت أنفاسها؛ لأن الأصوات من حولها تلاشت مع وضوح الرؤية، وحل بدلا منها سكون وشعور غني بمنتهى الرضاء. وقالت لنفسها: "سأرى حوري" إذا ما أدت رأسي .. سينظر إلي من فوق ورق البردي وسيبتسم لي، وقريبا ستغرب الشمس وسيحل الظلام ثم سأنام .. وسيكون هذا هو الموت".

— ماذا قلت يا "رينسنب"؟ وجفلت "رينسنب" فإنها لم تدرك أنها تكلمت بصوت عال، ورجعت إلى يقظتها، وكانت "كيت" تنظر إليها بفضول.

— لقد قلت الموت يا "رينسنب". فقيم تفكرين؟ وهزت "رينسنب" رأسها:

— أنا لا أعرف أنا لم أعن شيئا. ونظرت حولها مرة أخرى. كم هو لطيف هذا المنظر العائلي بالمياه المفلتة للنظر والأطفال يلعبون. وتنفست نفسا طويلا.

— كم المكان هادئ هنا. إن المرء لا يستطيع أن يتصور أي شيء فظيع يحدث هنا، ولكن المكان الذي وجدوا فيه "إيبي" في الصباح التالي كان بجوار البحيرة وكان منكفئا إلى الامام ووجهه في الماء حيث كانت يد قد أمسكت به حتى غرق.

الفصل الثامن عشر

جلس "أمحتوب" منكشأ، وكان يبدو أكبر سنا كثيرا، وشيخاً محطماً على وجهه نظرة حيرة تثير الشفقة. وأتت له "هينيت" بالطعام ولاطفته وهي تحته على أكله.

- نعم يا "أمحتوب" .. هيا يجب أن ترعى صحتك .
- ولماذا أفعل ذلك؟ ما أهمية الصحة؟ إن "إيبي" كان قويا، قويا بشبابه وبجماله، والآن يرقد في حمام من الماء المالح .. "إيبي" ابني المحبوب . آخر أبنائي .
- كلا . كلا . يا "أمحتوب" ، إن لديك "ياموس" .. ابنك "ياموس" الطبيب .
- إلى متى؟ لا .. إنه أيضا مقضي عليه . إننا كلنا مقضي علينا .. ما هذا الشر الذي حل بنا؟ هل كان في مقدوري أن أعرف إن أمورا كهذه ستحدث لاني أتيت بمحظية إلى منزلي؟ إنه أمر معمول به .. إنه طبقا لقانون الناس والآلهة . فقد عاملتها بإكرام، فلماذا إذن تحمل بي هذه الأمور؟ هل هي "أياشات" التي تنتقم مني؟ هل هي التي لن تغفر؟ إنها بالتأكيد لم تستجب لالتماسي فإن الشر مازال مستمرا .
- كلا كلا يا "أمحتوب" . لا يجب أن تقول هذا لقد مر وقت قصير جدا منذ أن وضع البلاص في غرفة القرايين . ألا تعرف كم تستغرق أمور القانون والعدالة في بلاط الحاكم، وتتأجل أكثر عندما ترفع قضية للوزير؟ إن العدالة هي العدالة في هذا العالم وفي العالم الآخر وهي تتحرك ببطء ولكن تسوى الأمور بالحق في نهاية الأمر .
- وهز "أمحتوب" رأسه بشك ومضت "هينيت" تقول :
- وإلى جانب هذا يجب أن تذكر يا "أمحتوب" أن "إيبي" ليس ابن "أياشات" ، إنه ابن زوجتك الأخرى، فلماذا إذا تشغل "أياشات" نفسها بشدة من أجله؟ ولكن الأمر يختلف فيما يخص "ياموس" ، سيسقى "ياموس" لان "أياشات" ترعاه .
- يجب أن أعترف يا "هينيت" بأن كلامك فيه عزاء وسلوى، ويحتوي على الكثير من الحق، فإنه صحيح أن "ياموس" يسترد قوته يوما بعد يوم . إنه ابن مخلص وطيب، ولكن آه ويا حسرتاه على "إيبي" .. وعلى رفته .. وعلى جماله، وتأوه "أمحتوب" مرة أخرى . وولولت "هينيت" متعاطفة معه :
- واحسرتاه . واحسرتاه .
- تلك الفتاة الملعونة وجمالها . يا ليت عيناى لم تقع عليها قط .
- نعم حقا يا سيدي العزيز إنها حقا من بنات "أست" وهي متعمقة في السحر الأسود دون شك . وسمعت طرقة عصا على الأرض ودخلت "أسا" البهو وهي تعرج متكئة .
- ليس لأحد في هذا المنزل أي منطق؟ اليس لديكم شيء أفضل تفعلونه غير

الابتهال باللعنات على فتاة مسكينة أعجبتك ومارست بعض النكاية والخبث النسائي، مدفوعة في ذلك بالسلوك الغبي للزوجات الغيبات لابنائك الاغبياء؟
- بعض النكاية والخبث، هل هذا هو ما تسمينه يا "أسا"؟ بعد أن مات اثنان من ابنائي الثلاثة، والثالث يحتضر. آه يا للهول. أمي تقول لي هذا الكلام.

- يبدو أنه من الضروري أن يقوله شخص ما بما أنك لا تستطيع أن تتفهم الوقائع. امح من ذهنك هذه الخرافة السخيفة بأن روح الفتاة الميتة هي التي تفعل الشر، إن اليد التي أطبقت على عنق "إيبي" وأبقت رأسه في البحيرة حتى غرق يد شخص حي، وكذلك اليد التي وضعت السم في الشراب الذي شربه "ياموس" و"سوبك" .. إن لك عدوا ولكنه في هذا المنزل يا "أمحتوب" والدليل هو أنه منذ أن أخذت بنصيحة "حوري" وأصبحت "رينسنب" هي التي تعد طعام "ياموس" أو تلاحظ عبدا وهو يعده، منذ هذا الوقت أخذ "ياموس" يسترد صحته وقوته يوما بعد يوم. حاول يا "أمحتوب" أن تكف عن الغفلة والنحيب ولطم وجهك و"هينيت" تساعدك كثيرا على كل هذا.
- آه يا "أسا" كم تسيئين الظن بي.

- وكما أقول تساعدك على كل هذا "هينيت"، إما لأنها مغفلة هي الأخرى أو لسبب آخر.

- ليسامحك "رع" يا "أسا" لقسوتك على امرأة وحيدة مسكينة. ولوحت "أسا" بعصاها بحركة مؤثرة ومهيبه.

- تماسك يا "أمحتوب" وفكر في أن "أياشات" زوجتك المتوفاة التي كانت امرأة جميلة جدا وليست على فكرة مغفلة قد تستعمل نفوذها من أجلك في العالم الآخر، ولكن ليس من المنتظر أن يطلب منها أن تفكر بدلا منك في هذا العالم. يجب أن تعمل شيئا يا "أمحتوب" لأنه إن لم تفعل فستحدث وفيات أخرى.

- عدو حي؟ عدو في منزلي. هل تعتقدين هذا حقا يا "أسا"؟

- بالطبع لأنه الأمر المنطقي الوحيد.

- لكن إذن نحن جميعا في خطر.

- بالتأكيد في خطر، ليس من السحر وأيدي الأرواح ولكن في الطعام والشراب من أصابع حية تلقي السم في الطعام والشراب، من إنسان يتسلل خلف فتى رجوع

متأخرا في الليل من القرية ويمسك برأسه عنوة تحت مياه البحيرة. وقال "أمحتوب" مفكرا:

- إن هذا يحتاج إلى قوة.

- ظاهريا يبدو هكذا ولكنني لست متأكدة. إن "إيبي" كان قد تناول الكثير من الشراب في القرية وكان في حالة نفسية ثائرة ومتباهيا، وربما رجع إلى البيت وهو يترنح، وبما أنه لا يخاف من الشخص الذي قابله فإنه بمحض إرادته أحنى رأسه في البحيرة ليشرّب، وفي هذه الحالة لا يحتاج الأمر إلى قوة كبيرة.

- ما الذي تحاولين قوله يا "أسا"؟ إن امرأة فعلت هذا. لكن هذا مستحيل. إن الأمر كله مستحيل، لا يمكن أن يوجد عدو في هذا البيت وإلا كنا عرفنا هذا وأنا كنت سأعرف ذلك.

- هناك شرفي القلب لا يظهر على الوجه يا "أمحتوب".

- أتعني أن أحد الخدم أو عبدا.

- بل واحد منا.

- واحد منا. اتعنين "حوري" أو "كاماني"؟ لكن "حوري" فرد من الأسرة وقد أثبت وفاء وإخلاصه و"كاماني"، إنه حقيقة غريب ولكنه من دمنا وقد أثبت وفاءه بتفانيه في خدمتي، وفوق هذا فقد جاء إليّ هذا الصباح فقط وحنني على الموافقة على زواجه بـ"رينسنب". وظهر على "أسا" الاهتمام:

- آه.. أفعل ذلك؟ وماذا قلت أنت؟

- ما الذي كان بوسعي أن أقوله؟ هل هذا وقت مناسب للكلام عن زواج؟ لقد قلت له ما معناه ذلك.

- وما كان قوله في ذلك؟ قال: إنه في رأيه إن هذا هو الوقت المناسب للكلام عن الزواج، وقال إن "رينسنب" ليست في أمان في هذا المنزل. "أسا":

- إنني أتساءل.. بشدة.. وهل هي كذلك؟ لقد ظننت أنها في أمان، وكان هذا رأي "حوري" أيضا، لكن الآن.. ومضى "أمحتوب" يقول:

- هل يستطيع المرء أن تكون في بيته أفراح بينما عنده مراسم جنازة في نفس الوقت؟ إن هذا غير لائق. إن المقاطعة بأكملها ستحدث في هذا. ليس هذا بالوقت الذي تكون فيه أفراح وبالأخص حين يبدو أن الحنوطية سيكونون عندنا بصفة

مستديمة. إن كل هذا لأبد نعمة لهم وهم بلا ريب يربحون جيدا. قال "أمحتوب" وقد تحول تفكيره لبرهة:

- لقد رفعوا أسعارهم عشرة في المائة. هذا ظلم. إنهم يقولون إن العمالة ارتفعت.

- كان يجب أن يخفضوا أجورهم لنا بسبب المعاملة بالجملة. وابتسمت "أما" بعبوس على فكاهتها. ونظر إليها "أمحتوب" بذعر:

- يا أمي العزيزة ليس هذا مزاحا.

- إن الحياة كلها مزاح يا "أمحتوب"، والموت هو الذي يضحك أخيرا. ألا تسمع هذا القول في كل حفلة؟ اشرب وكل وكن مرحا لأنك ستموت غدا؟ حسنا إن هذا

صحيح عندنا هنا، والسؤال فقط هو من الذي سيموت غدا؟

- إن ما تقولينه فظيع... فظيع. ما الذي يمكن عمله؟

- لا تثق بأحد. هذا هو أول وأهم شيء ورددت وهي تضغط على الكلمات

لتأكيدها:

- لا تثق بأحد. وبدأت "هينيت" تنتحب:

- لماذا تنظرين إلي؟ إنني متأكدة أنه إذا وجد شخص جدير بالثقة فهو أنا، وقد أثبت هذا طوال كل هذه السنين. لا تستمع لها يا "أمحتوب".

- اهدهني، اهدهني يا عزيزتي "هينيت"، بالطبع أنا أثق بك. وأعرف جيدا قلبك المخلص الحقيقي. قالت "أما":

- أنت لا تعرف شيئا ولا يعرف أحد منا شيئا. وهذا هو الخطر علينا. وتاوهت "هينيت" قائلة:

- أنت انهميتيني؟!!

- أنا لا يمكن أن أنهم فليس لديّ الدليل أو المعرفة، كل ما لديّ هو شك. ونظر "أمحتوب" إليها بحدة:

- أنت تشكين في من؟ وقالت "أما" ببطء:

- لقد شككت مرة.. ومرة ثانية.. ومرة ثالثة. سأكون أمينة. لقد شككت أولا

في "إيبي". ولكن "إيبي" مات، ولذلك فهذا الشك كان خطأ. ثم شككت في شخص آخر، ولكن في اليوم نفسه الذي مات فيه "إيبي" روادتني فكرة ثالثة.

وتوقفت ثم تابعت حديثها:

– هل "حوري" و"كاماني" في المنزل؟ أرسل في طلبهما هنا. نعم، وأرسل في طلب "رينسنب" أيضا من المطبخ، وفي طلب "كيت" و"ياموس". إن لدي شيئا سأقوله ويجب أن يسمعه كل من في المنزل.

نظرت "أسا" حولها إلى العائلة المجتمعة، وقابلت نظرة "ياموس" الجادة الوديعة، وابتسامة "كاماني" الدائمة، والاستفسار المتزج بالخوف في عيني "رينسنب"، ونظرة "كيت" الهادئة الخالية من الفضول، ونظرة "حوري" الغامضة الهادئة المليئة بالتمعن، ونظرة الخوف الممزوج بالعصبية في وجه "أمحتوب" المختلج، والفضول الشره، ونظرة السرور في عيني "هينيت". وفكرت: "إن وجوههم لا تنبئني بشيء. إنها تظهر فقط المشاعر الخارجية، لكن بالتأكيد إذا كنت على صواب فيجب أن تخون أحدهم أعصابه" وقالت بصوت عال:

– لدي شيء أقوله لكم جميعا، ولكن أولا يجب أن أوجه حديثي لـ "هينيت" وحدها، هنا أمامكم جميعا. وتغير تعبير وجه "هينيت"، اختفى الفضول الشره والسرور، وبدأ عليها الخوف وارتفع صوتها الرفيع معترضا.

– أنت تشكين في "أسا"؟ كنت أعرف ذلك. إنك ستقيمين ضدي قضية، ومن أين لي أنا المرأة الضعيفة المحدودة الذكاء أن أذاع عن نفسي؟ سادان دون أن يسمع دفاعي. وقالت "أسا" بتهمك:

– لا ليس دون أن يُسمع. ورات "حوري" يبتسم. ومضت "هينيت" تقول وصوتها يزداد هيستيرية:

– لم أفعل شيئا. أنا بريئة.. "أمحتوب" يا سيدي العزيز أنقذني.. وارتمت على الأرض واحتضنت ركبتيه، وبدأ "أمحتوب" يتهته بحنق بينما كان يربت رأس "هينيت".

– حقا يا "أسا" إنني أعترض.. هذا أمر شائن.. وقاطعته "أسا":

– أنا لم أوجه اتهاما. أنا لا اتهم دون دليل. إن كل ما أطلبه هو أن توضح "هينيت" هنا معنى بعض الأشياء التي قالتها.

– لم أقل أي شيء، لم أقل شيئا بتاتا.. قالت "أسا":

– بل قلت، إنها كلمات سمعتها بأذني.. وأذناي حادثان جدا حتى لو كانت

عيناى ضعيفتين. لقد قلت إنك تعرفين شيئا عن "حوري"، والآن ما الذي تعرفينه عن "حوري"؟ قال "حوري":

- نعم يا "هينيت" ما الذي تعرفينه عني؟ أسمعنا إياه. جلست "هينيت" على أردافها ومسحت عينيها وبدت متحدية ومشاكسة وقالت:

- إنني لا أعرف شيئا ما الذي يجب أن أعرفه؟ قال "حوري":

- هذا ما ننتظر أن نخبرنا به. وهزت "هينيت" كتفيها:

- كان مجرد كلام ولم أعن شيئا. قالت "أسا":

- ساعيد عليك كلماتك. لقد قلت إنك تحتقريننا جميعا، ولكنك تعرفين الكثير

عما يجري في المنزل، وإنك رأيت أكثر مما يراه الناس الأشد منك ذكاء. ثم قلت هذا

إنه عندما يقابلك "حوري" وهو ينظر إليك كأن لا وجود لك وكما لو أنه يرى شيئا

خلفك، شيئا لا وجود له. وقالت "هينيت" بعبوس:

- إنه ينظر إليّ دائما هكذا كما لو كنت حشرة، شيئا لا يكاد يكون له وجود ولا

أهمية له بتاتا. قالت "أسا" ببطء:

- لقد ظلت هذه الجملة في ذهني «شيئا خلفي، شيئا لا وجود له هناك» وقالت

"هينيت":

- كان يجب أن ينظر إليّ.

ثم مضت تتكلم عن "ساتيبي"... نعم عن "ساتيبي"، وكيف أن "ساتيبي"

كانت ذكية ولكن أين هي الآن؟ ونظرت "أسا" حولها:

- هل يعني هذا أي شيء لأحد منكم؟ فكروا في "ساتيبي"، "ساتيبي" التي

ماتت، وتذكروا أن المرء يجب أن ينظر إلى الشخص، وليس إلى شيء غير موجود..

مرت برهة صمت ثم صرخت "هينيت". كانت صرخة عالية رفيعة، صرخة رعب

خالصة كما يبدو، وصاحت بكلمات غير مترابطة:

- أنا لم أفعل.. أنقذني.. سيدي.. لا تدعها.. لم أقل شيئا.. لا شيء. وانفجر

غضب "أمحتوب" المكبوت وزأر:

- هذا لا مبرر له. لن أسمح بأن تتهم وتروع هذه المرأة المسكينة. ما الذي لديك

ضدها؟ لا شيء بتاتا باعترافك. وانضم إليه "ياموس" وقد تخلى عن خجله المعتاد.

- إن أبي محق، لو كان لديك اتهام محدد ضدها فاتهميها به. قالت "أسا"

ببطء:

- أنا لا أتهمها . وكانت تنكئ على عصاها، وبدت أنها انكشمت وكانت تتكلم ببطء وبثقل، وتحول "ياموس" نحو "هينيت" بثقة وبلهجة آمرة .
- إن "أسا" لا تتهمك بالتسبب في الشرور التي حدثت، ولكن لو كنت أفهمها حقيقة فهي تظن أن عندك معلومات لا تدلين بها، ولذلك يا "هينيت" فلو كان هناك ما تعرفينه عن "حوري" أو غيره فالآن حان وقت الكلام . هنا أمامنا جميعا . تكلمي . ما الذي تعرفينه؟ وهزت "هينيت" رأسها:
- لا شيء .
- تأكدي مما تقولينه يا "هينيت" ، فالمعرفة خطر .
- أنا لا أعرف شيئا وأقسم على ذلك، أقسم بالكهنة "الأينيد" التسعة وبالإلهة "مات" و"رع" نفسه . كانت "هينيت" ترتعد ولم يكن في نبراتها رنة من بكائها المعتاد بل كان يرن صادقا ومتهيبا . وزفرت "أسا" بعمق وانحنى للامام وتمتمت :
- ساعدوني على العودة لغرفتي . وهرع "حوري" و"رينسنب" إليها سريعا، وقالت "أسا":
- لست أنت يا "رينسنب" . إنني سأخذ "حوري" . واتكات عليه وهو يساعدها على الخروج من الغرفة والذهاب إلى جناحها الخاص، ورأت وهي تنظر إليه أن وجهه متجهم وتعس . وتمتمت :
- حسنا يا "حوري"؟
- لقد تصرفت دون حكمة يا "أسا" دون أية حكمة .
- كان يجب أن أعرف .
- نعم، ولكنك خاطرت مخاطرة رهيبه .
- هكذا . فانت إذن تفكر مثلي؟
- لقد فكرت في هذا منذ فترة، ولكن لا يوجد دليل ولا شبه دليل، وحتى الآن يا "أسا" ليس لديك دليل . . إن كل هذا تفكرين فيه فقط في ذهنك .
- أنا أعرف وهذا يكفي .
- قد يكون في هذا أكثر من الكفاية .
- ماذا تعني؟ آه نعم بالطبع .
- احترسي يا "أسا" . . إنك منذ الآن في خطر .

– يجب أن تحاول أن تتصرف بسرعة.

– نعم. لكن ما الذي نستطيع فعله؟ يجب أن يكون هناك دليل.

– أعرف. ولم يتمكننا من متابعة الحديث فإن خادمة "أسا" الصغيرة جاءت تجرى نحو سيدتها، وتخلي "حوري"، عنها وعهد بها لرعاية الفتاة واستدار وكان وجهه جادا وفيه حيرة. ومضت الخادمة الصغيرة تثرثر وتتهمك بضوضاء حول "أسا"، ولكن "أسا" لم تكد تشعر بها.. كانت تشعر بالشيخوخة وبالمرض وبالبرد.. ورأت مرة أخرى دائرة الوجوه المنتبهة تراقبها وهي تتكلم. نظرة واحدة فقط، ومضة من الخوف والفهم. هل من الجائز أنها مخطئة؟ هل هي واثقة بما رآته..؟ إن عينيها ضعيفتان.. نعم إنها واثقة. إنه التصلب المفاجئ للجسم كله، أكثر من مجرد تعبير كان تصلبا وقسوة وصرامة.. إن كلامهما العائم كان له معنى لشخص واحد، ولشخص واحد فقط.. وشعورها هذا الذي لا يخطئ، شعورها المमित الذي هو الحقيقة.

الفصل التاسع عشر

الآن وقد عرض الأمر عليك فما قولك يا "رينسنب"؟ نقلت "رينسنب" نظراتها بشك من أبيها إلى "ياموس"، وشعرت بأن أفكارها متبلدة ومشتتة ثم قالت:
– لا أعرف. وخرجت كلماتها بلهجة آلية من بين شفيتها. ومضى "أمحتوب" يقول:

– من المحتمل أن يكون ثمة وقت كبير للمناقشات في الظروف العادية. إن لي أقارب آخرين، وقد كان بوسعنا أن نختار منهم أفضل زوج مناسب لك، ولكن والحال على ما هو عليه فإن الحياة مليئة بالشكوك، نعم إن الحياة محفوفة بالمخاطر. وتعثر صوته ومضى يقول:

– إن الوضع الآن يا "رينسنب" هو أن الموت يواجهنا نحن الثلاثة، "ياموس" وأنت وأنا. من منا الذي سيهاجم بعد ذلك؟ لذلك يجب علي أن أرتب أموري. إذا حدث أي شيء لـ "ياموس" فستحتاجين يا بنتي الوحيدة إلى رجل يقف بجانبك، ويقاسمك ميراثك، ويؤدي الواجبات المتعلقة بضيعتي التي لا تستطيع أن تؤديها

امراة. إذ من يدرى متي أموت؟ لقد دبرت في وصيتي أن تعهد الوصاية على أولاد "ياموس" إلى "حوري" إذا كان "ياموس" لم يعد حيا، ما دامت هذه رغبة "ياموس"، هه يا "ياموس"؟ وأوما "ياموس":

- إن "حوري" كان دائما صديقا قريبا جدا لي وهو كفرد من أسرتي. قال "أمحتوب":

- تماما.. تماما، ولكن الواقع هو أنه ليس من الأسرة. إن "كاماني" فرد من الأسرة، ولذلك فنظرا لكل الاعتبارات فهو أفضل زوج أمامنا في الوقت الحاضر لـ "رينسنب"، فما قولك يا "رينسنب"؟ ورددت "رينسنب" مرة أخرى:

- لا أعرف. وكانت تشعر بإعياء شديد.

- إنه وسيم ولطيف ألا توافقين على ذلك؟

- آه نعم. وسأل "ياموس" برفق:

- لكنك لا ترغبين في الزواج به، وألقت "رينسنب" نظرة شاكرة إلى "ياموس". إنه كان مصمما على ألا ترغم أو تدفع إلى عمل شيء لا ترغبه. ومضت تقول بسرعة:

- في الحقيقة لا أعرف ما الذي أريد أن أفعله. إن هذا غباء كما أعرف ولكنني غبية اليوم. ذلك.. ذلك من أثر الضغط الذي نعيش فيه. قال "أمحتوب":

- ستشعرين بالحماية بوجود "كاماني" بجانبك.. وسأل "ياموس" "أمحتوب":

- هل فكرت في "حوري" كزوج محتمل لـ "رينسنب"؟

- حسنا.. نعم هذا احتمال..

- إن زوجته ماتت عندما كان شابا صغيرا و"رينسنب" تعرفه جيدا وتميل إليه. وجلست "رينسنب" كأنها في حلم بينما كان الرجلان يتكلمان. إن ما يناقشانه هو زواجهما، و"ياموس" يحاول أن يساعدها على اختيار ما تريده هي، ولكنها شعرت بأنها مثل إحدى دمي "تيتي" الخشبية دون حياة. وبعد قليل قالت بجفاء وهي تقاطع حديثهما دون أن تسمع حتى ما يقولانه:

- سأزوج "كاماني" ما دمتم تعتقدون أن ذلك أمر طيب. وأرسل "أمحتوب"

صيحة رضاء، وهرع خارجا من البهو، وجاء "ياموس" لشقيقته وربت كتفها.

- هل تريدین هذا الزواج يا "رينسنب"؟ هل ستكونین سعيدة؟
– ولماذا لا اكون سعيدة؟ إن "كاماني" وسيم ومرح وطيب.
– أعرف هذا. وكان الشك لا يزال باديا على "ياموس" وعدم الرضا:
– ولكن سعادتك مهمة يا "رينسنب" ولا يجب أن تدعي أبي يدفعك إلى شيء
لا ترغبين فيه. أنت تعرفين طباعه.
– آه نعم نعم إنه عندما يتشبث بفكرة يجب أن نتقبلها جميعا. وتكلم "ياموس"
بحزم:
– ليس هذا ضروريا.. لن أتزحزح عن موقفی في هذا الموضوع إلا إذا كانت هذه
رغبتك.
– آه يا "ياموس" إنك لا تقف أبدا ضد أبينا.
– سأفعل ذلك في هذا الأمر. إنه لا يستطيع أن يجبرني على موافقته ولن أفعل
ذلك. ونظرت "رينسنب" إليه. كم يبدو وجهه المتردد مصمما. وقالت بامتنان:
– أنت طيب معي يا "ياموس"، ولكنني في الواقع لا أذعن لضغط. إن الحياة
القديمة هنا -الحياة التي كنت مسرورة برجوعي إليها- قد ولت، وسنبداً و"كاماني"
حياة جديدة معا وسنعيش كما يجب أن يعيش زوجان طيبان.
– إذا كنت واثقة...
– أنا واثقة. وابتسمت له "رينسنب" بود وخرجت من البهو إلى الشرفة ومن
هناك عبرت الفناء، وكان "كاماني" يلعب مع "تيتي" على حافة البحيرة، واقتربت
منهما "رينسنب" دون أن تبدي أي صوت، راقبتهما وهما لا يشعران بقربها. وكان
يبدو على "كاماني" الذي كان مرحا كعادته أنه يستمتع باللعب مثل الطفلة تماما،
ورق له قلب "رينسنب" وفكرت: «إنه سيكون والدا طيبا لـ"تيتي"». ثم أدار
"كاماني" رأسه ورآها ووقف وهو يضحك وقال:
– لقد جعلنا عروسة "تيتي" كاهن قبور، وهو يقدم القرابين ويقیم الشعائر في
المقبرة. وقالت "تيتي" بجدية:
– إن اسمه "ميرييتاح" وله ولدان وكاتب مثل "حوري"، وضحك "كاماني"
وقال:
– إن "تيتي" ذكية جدا، وهي قوية وجميلة جدا. وتنقلت عيناه بين "رينسنب"

والطفلة، وقرأت فيهما "رينسنب" الفكرة التي تدور في رأسه، الأطفال الذين ستحملهم له في يوم ما . وجعلتها نظرتة تشعر برجفة هزت مشاعرهما، ولكن في نفس الوقت شعرت بأسف مفاجئ عنيف . إنها كانت تود أن ترى في هذه اللحظة صورتها فقط في عينيه، وفكرت : "لماذا لا تكون "رينسنب" هي التي يراها فقط؟" . ثم زال الشعور وابتسمت له برفق وقالت :

- لقد كلمني والدي .

- وهل توافقين؟ وترددت برهة قبل أن تجيب :

- إنني أوافق . لقد قالت الكلمة الفاصلة وهذه هي النهاية . إن كل شيء قد اتفق عليه وودت لو أنها لا تشعر بهذا التعب والإجهاد .

- "رينسنب" ؟

- نعم يا "كاماني" .

- هل تبحرين معي في النهر في قارب نزهة؟ إن هذا شيء كنت أريد دائما أن أفعله معك .

من الغريب أن يقول هذا، فمن أول لحظة رآته فيها فكرت في شراع مربع والنهر ووجه "فاي" الضحك، والآن لقد نسيت وجه "فاي" ، وفي مكانه بجانب الشراع والنهر سيجلس "كاماني" ويضحك في عينيها . إن هذا هو الموت . إن هذا هو ما يفعله بك الموت . إنك تقول : كنت أشعر بذلك . ولكنه مجرد قول فإنك الآن لا تشعر بشيء . إن الاموات رحلوا، وليس هناك شيء يسمى شبيهة، ومع ذلك فهناك "تييتي" ، وهناك الحياة، وتجدد الحياة، كما تزيح مياه الفيضان المياه القديمة وتعد التربة للمحاصيل الجديدة . ما الذي قالته "كيت" : «إن نساء المنزل يجب أن يتحدن؟» ومن تكون غير امرأة من المنزل، سواء أكانت "رينسنب" أم امرأة أخرى فما أهمية ذلك؟ ثم سمعت صوت "كاماني" ملحا ومضطربا قليلا :

- ما الذي تفكرين فيه يا "رينسنب"؟ إنك تبعدين جدا في بعض الأحيان . هل

ستأتين معي إلى النهر؟

- نعم يا "كاماني" سأتي معك .

- سناخذ "تييتي" أيضا .

فكرت "رينسنب": "إنه مثل اللحم-المركب والشرع و"كاماني"، وهي نفسها و"تيتي"، لقد نجوا من الموت والخوف من الموت، هذه بداية حياة جديدة. وتكلم "كاماني" وأجابت كمن في غيبوبة وفكرت: «إن هذه حياتي ولا مفر منها» ثم تابعت تفكيرها بحيرة: «ولكن لماذا أقول لنفسي الفرار؟ وما هو المكان الذي أستطيع أن أطيّر إليه؟» ومرة أخرى ارتفعت أمام عينيه الحجرة الصغيرة الصخرية بجوار المقبرة، وهي جالسة هناك وقد رفعت إحدى ركبتيها وأسندت فكها إلى يدها. وفكرت: "لكن هذا كان شيئاً خارج الحياة، وهذه هي الحياة، ولا يوجد منها مفر حتى الموت"، وأرسي "كاماني" القارب ونزلت إلى الشاطئ ورفع "تيتي" من المركب، وتعلقت الطفلة به، وقطعت يدها التي كانت حول عنقه خيط الحجاب الذي يلبسه، ووقع الحجاب عند قدمي "رينسنب" والتقطته وكان تمثالاً لـ"أنكا" من الذهب والفضة. وأطلقت صيحة أسف.

- لقد انثنى. احذر قد ينكسر. قالت هذا بينما كان يتناوله منها، ولكنه ثناه أكثر بيديه القويتين وكسره متعمداً إلى نصفين.

- ماذا فعلت؟

- خذي نصفاً وسأخذ النصف الآخر، ستكون علامة بيننا أننا نصفان من وحدة واحدة. ومد يده بها إليها وبينما كانت تمد يدها لتأخذها مر شيء بذهنها وتنفست نفساً طويلاً.

- ماذا بك يا "رينسنب"؟

- "نوفريت".

- ماذا تعنين بـ"نوفريت"؟ وتكلمت "رينسنب" بثقة وسرعة:

- الحجاب المكسور في علبة مجوهرات "نوفريت". أنت الذي أعطيته لها.. أنت و"نوفريت".. أنا أرى كل شيء الآن. أرى لماذا كانت تعسة، وأعرف من الذي وضع علبة الجواهر في حجرتي. إنني أعرف كل شيء.. لا تكذب عليّ يا "كاماني". أقول لك إنني أعرف. ولم يعترض "كاماني"، ووقف ينظر إليها بشبات، ولم ترتبك نظرتة، وعندما تكلم كان صوته جادا، ولم تكن هناك ابتسامة على وجهه.

- لن أكذب عليك يا "رينسنب". وانتظر برهة وهو عابس قليلا كما لو كان يحاول أن يرتب أفكاره. ثم قال: إنني من ناحية سعيد أنك عرفت يا "رينسنب"، ولو أن الأمر ليس كما تظنين تماما.

- أنت أعطيت لها الحجاب المكسور - كما كنت ستعطيه لي - كعلامة على أنكما كنتما نصفين لوحدة واحدة. هذه هي كلماتك.

- أنت غاضبة يا "رينسنب". وأنا سعيد لأن هذا يبين أنك تحبينني، ولكن مع ذلك يجب أن أجعلك تفهمين. أنا لم أعط الحجاب لـ "نوفريت"، بل هي التي أعطته لي... وتوقف ثم تابع حديثه:

- ربما لا تصدقينني ولكنها الحقيقة.. وأقسم أنها الحقيقة. قالت "رينسنب" ببطء:

- لن أقول إنني لا أصدقك.. فقد تكون الحقيقة. ولاح أمام عينيها وجه "نوفريت" الأسمر التعس. ومضى "كاماني" يقول بحماس مثل فتى:

- حاولي أن تفهمي يا "رينسنب". إن "نوفريت" كانت جميلة جدا وكنت فخورا وسعيدا. ماذا سيكون غير ذلك؟ لكنني لم أحبها قط حقيقة. وشعرت "رينسنب" بوخز غريب من الشفقة. لا.. إن "كاماني" لم يحب "نوفريت"، ولكن "نوفريت" كانت تحب "كاماني"، وقد أحبته بمرارة ويأس. إنها كانت قد تكلمت في نفس هذه البقعة مع "نوفريت" في ذلك الصباح عارضة عليها صداقتها ومودتها، وهي تتذكر جيدا موجة الكره والتعاسة التي انبثقت من الفتاة في ذلك الحين. لقد أصبح سبب ذلك واضحا تماما الآن. مسكينة "نوفريت"، محظية رجل كبير السن، ومتميمة في حب شاب مرح وسيم ومهمل لها، كان يحبها قليلا أو لا يحبها تماما. وكان "كاماني" يقول بحماس:

- ألا تفهمين يا "رينسنب" بمجرد أن جئت إلى هنا ورأيتك أحببتك، ومنذ تلك اللحظة لم أفكر في أي شيء آخر؟ إن "نوفريت" رأت هذا بوضوح... وفكرت "رينسنب": "إن "نوفريت" رأت هذا، وقد كررتها منذ تلك اللحظة، ولم تشعر "رينسنب" بميل نحوها".

- لم أكن أرغب حتى في أن أكتب الرسالة لوالدك. لم أكن لأريد أن تكون لي بعد ذلك صلة بمشاريع "نوفريت". لكن كان الأمر صعبا، يجب أن تحاولي إدراك أنه

كان صعبا. وتكلمت "رينسنب" بصبر نافذ:

- نعم.. نعم.. إن كل هذا لا يهم إن الذي يهم فقط هو "نوفريت"، فلقد كانت

تعسة جدا، وكانت كما اعتقد تحبك كثيرا..

- حسن.. أنا لم أكن لأحبها.

- أنت قاس..

- كلا أنا رجل فحسب، ولو اختارت امرأة أن تتعس نفسها من أجلي، فإن هذا

يضايقني. هذه هي الحقيقة ببساطة، لم أكن لأريد "نوفريت". كنت أريدك أنت.

آه يا "رينسنب" إنه لا يمكن أن تغضبي مني لهذا السبب، وابتسمت على الرغم منها.

- لا تجعلي "نوفريت" التي ماتت تشير المتاعب بيننا نحن الأحياء. أنا أحبك

يا "رينسنب" وأنت تجبينني، وهذا كل ما يهم. وفكرت "رينسنب": «نعم هذا كل

ما يهم». ونظرت إلى "كاماني" الذي كان يقف ورأسه تميل قليلا على جانب،

وعلى وجهه الواثق المرح توسل. كان يبدو صغيرا جدا. وفكرت "رينسنب": إنه

على حق. إن "نوفريت" ميتة ونحن أحياء. أفهم الآن كرهها لي، وأنا آسفة لأنها

تألمت، لكن لم تكن تلك غلطتي، ولم تكن غلطة "كاماني" إن أحبني ولم

يحبها..»

- إن هذه الأمور تقع. وجاءت "تييتي" التي كانت تلعب على شاطئ النهر وشدت

يد والدتها.

- هل نذهب إلى البيت الآن؟ أمي، هل نعود إلى البيت؟ وتنهدت "رينسنب"

بعمق وقالت:

- نعم سنذهب إلى البيت. ومشوا نحو المنزل، و"تييتي" تجري أمامهما بقليل

وتنهت "كاماني" راضيا.

- أنت كريمة، كما أنك جميلة يا "رينسنب".. إن كل شيء بيننا كما كان،

اليس كذلك؟

- نعم يا "كاماني". كل شيء كما كان.. وخفض صوته:

- هناك على النهر، كنت سعيدا جدا، فهل كنت أنت أيضا سعيدة

يا "رينسنب"؟

- نعم كنت سعيدة .
- كنت تبدين سعيدة ولكن كان يبدو كما لو كنت تفكرين في شيء آخر بعيد جدا . أريد أن تفكري فيّ أنا .
- كنت أفكر فيك . وأخذ يدها ولم تسحبها، وغنى برفق وبصوت منخفض .
- إن زوجتي مثل شجرة اللوز .. وشعرت بيدها ترتعش في يده، وأحس بنفسها السريع وشعر أخيرا بالرضا ..

-3-

- طلبت "رينسنب" "هينيت" في غرفتها . وجاءت "هينيت" مسرعة، وتوقفت فجأة وهي ترى "رينسنب" واقفة بجوار علبة الجواهر المفتوحة والحجاب المكسور في يدها . وكان وجه "رينسنب" غاضبا وحازما .
- أنت التي وضعت علبة الجواهر هذه في غرفتي، اليس كذلك يا "هينيت"؟
كنت تريدين أن أجد هذا الحجاب . كنت تريدين أن أعرف في يوم من الأيام .
- أن تعرفي من معه النصف الآخر؟ أرى أنك عرفت . حسنا . إنه من الأفضل دائما أن يعرف المرء، اليس كذلك يا "رينسنب"؟ وضحكت "هينيت" بغل وكيد . قالت "رينسنب" وغضبها مازال حاميا :
- إنك تريدين أن تؤليني بهذه المعرفة . إنك تحبين إيلام الناس اليس كذلك يا "هينيت"؟ إنك لا تقولين أبدا شيئا ليس ملتويا يا "هينيت" ، أنت تنتظرين وتنتظرين حتى يجيء أفضل وقت . أنت تكرهيننا جميعا اليس كذلك؟ أنت تكرهيننا دائما .
- ما هذه الأشياء التي تقولينها يا "رينسنب" أنا متأكدة أنك لا تعينها . لم يعد هناك نحيب في صوت "هينيت" بل كانت هناك نبرة انتصار خفي .
- كنت تريدين إثارة المتاعب بيني وبين "كاماني" . حسنا ليست هناك متاعب .
- إن هذا بالتأكيد جميل جدا وغاية التسامح منك يا "رينسنب" ، أنت مختلفة تماما عن "نوفريت" ، اليس كذلك؟
- دعينا من الكلام عن "نوفريت" .
- لا ، ربما من الأفضل ألا نتكلم عنها . إن "كاماني" سعيد الحظ مثلما هو وسيم

اليس كذلك؟ أعني أنه محظوظ؛ لأن "نوفريت" ماتت في ذلك الحين. فإنه كان في وسعها أن تثير الكثير من المتاعب له مع أبيك. زواجك به ما كان ليروقها، لا لم يكن ليعجبها قط وفي الواقع اعتقد أنها كانت ستجد طريقة ما لتوقفه.. أنا واثقة بذلك. ونظرت إليها "رينسنب" بنفور شديد:

- إن هناك سما دائما في لسانك يا "هينيت". إنه يلدغ مثل الثعبان، ولكن ليس في وسعك إتعاسي.

- حسنا هذا رائع اليس كذلك؟ إنك بلا ريب مدلهة في الحب. آه، إنه لشاب وسيم، وهو يعرف كيف يغني أغنية حب جميلة، لا خوف عليه سيحصل دائما على ما يريده. أنا معجبة به حقيقة، فهو يبدو دائما غير متكلف ودون مواربة.

- ما الذي تحاولين قوله يا "هينيت"؟

- أقول لك فقط إنني معجبة بـ "كاماني"، ومتاكدة تماما أنه ليس متكلفا ودون مواربة إن الأمر ليس تمثيلا بل إنه برمته مثل إحدى تلك القصص التي يرويها الرواة في الأسواق. الكاتب الفقير يتزوج ابنة السيد، ويقاسمها ميراثها، ويعيشان في سعادة إلى الأبد. رائع. الحظ الحسن الذي يتمتع به الشاب الوسيم دائما. أنا محقة.. أنت تكرهيننا.

- كيف تستطيعين أن تقولي هذا يا "رينسنب" بينما أنت تعرفين كم شقيت مثل جارية من أجلكم جميعا، منذ أن ماتت والدتك؟ ولكن كان ما يزال هناك الانتصار الشرير في صوت "هينيت". ونظرت "رينسنب" مرة أخرى إلى علبة الجواهر، وفجأة تأكدت شيئا آخر.

- إنك أنت التي وضعت عقد الأسود الذهبي في هذه العلبة، لا تنكري يا "هينيت" أقول لك إنني أعرف. واختفى انتصار "هينيت" الخبيث وبدت فجأة خائفة.

- لم أستطع أن أمنع نفسي يا "رينسنب". كنت خائفة.

- ماذا تعنين بخائفة؟ واقتربت "هينيت" خطوة وخفضت صوتها:

- إنها هي التي أعطتني إياه، أعني "نوفريت". قبل أن تموت بقليل. لقد أعطتني هدية أو اثنتين فإنها كانت كريمة كما تعرفين آه. نعم إنها كانت كريمة. - اعتقد أنها كانت تدفع لك بسخاء.

– هذه ليست طريقة معبرة لطيفة يا "رينسنب" ، سأقص عليك كل شيء . لقد أعطتني العقد الاسود الذهبي ومشبك الاماتيست وشيئا أو شيئين آخرين . ثم عندما تقدم هذا الصبي بروايته عن رؤية امرأة تلبس هذا العقد .. حسنا لقد خفت . فكرت في أنهم ربما ظنوا أنني أنا التي سممت نبيذ "ياموس" ، ولذلك وضعت العقد في العلبه .

– هل هذه هي الحقيقة يا "هينيت" ؟ هل تقولين الحق؟
– أقسم أنها الحقيقة يا "رينسنب" كنت خائفة .. ونظرت "رينسنب" إليها
بفضول :

– أنت ترتعدين يا "هينيت" إنك تبدين كما لو كنت خائفة الآن .

– نعم إنني خائفة .. ولدي سبب لذلك .

– لماذا؟ قل لي . ولعقت "هينيت" شفيتها النحيفتين ونظرت حولها وبدت عيناها كعيني حيوان طريد . قالت "رينسنب" :

– قل لي . وهزت "هينيت" رأسها وقالت بصوت مضطرب :

– ليس ثمة شيء يقال .

– إنك تعرفين الكثير يا "هينيت" ، وكان هذا دأبك دائما، لقد استمتعت بذلك ولكن الآن الامر خطير، هذا هو ما يخيفك، اليس كذلك؟ وهزت "هينيت" رأسها مرة أخرى ثم ضحكت بمكر .

– انتظري يا "رينسنب" سيكون السوط في يدي في هذا المنزل في يوم ما وسأضرب به، انتظري وسترين، وشدت "رينسنب" قامتها .

– أنت لن تؤذيني يا "هينيت" . لن تدعك والدتي تؤذيني، وتغير وجه "هينيت" ، وتطارت النيران من عينيها وقالت :

– كنت أكره والدتك، كنت أكرهها دائما .. وأنت التي لك عيناها، وصوتها،

وجمالها وعجرفتها، إنني أكرهك أنت يا "رينسنب" ، وضحكت "رينسنب" :

– وأخيرا .. أجبرتك على أن تقولني هذا .

الفصل العشرون

دخلت "أسا" العجوز غرفتها وهي تعرج بإعياء. كانت تشعر بإعياء شديد وبحيرة، وأدركت أن السنين أخيرا بدأت تفرض عليها ضريبتها، وكانت حتى هذا الوقت تعترف بالتعب الجسماني ولكنها كانت لا تشعر بالتعب الذهني، ولكنها الآن كانت مجبرة على الاعتراف بأن الجهد الذي تبذله لكي تظل متيقظة ذهنيا كان يؤثر في قوتها البدنية. ولو كانت تعرف الآن، كما تعتقد، الشخص الذي ينبعث منه الخطر، فإن هذه المعرفة لا تسمح بأي استرخاء ذهني، بل على العكس إنها يجب أن تحترس أكثر من أي وقت مضى، بما أنها لفتت إلى نفسها الأنظار بتعمد. الدليل، الدليل... يجب أن تحصل على الدليل ولكن كيف؟ إن سنها كما أدركت تخونها هنا، إنها متعبة أكثر من اللازم ولن تستطيع التصرف بسرعة، لكي تقوم بالمجهود الذهني الخلاق. إن كل ما وسعها هو الدفاع، أن تظل متيقظة مترقبة ومحترسة. لأن القاتل - وليس لديها أي شك من هذه الناحية - سيكون على أتم استعداد ليقتل مرة ثانية. حسنا، إنه ليس في نيتها أن تكون الضحية التالية. إنها تشعر بالتأكد بأن السم هو الوسيلة التي ستستخدم.. إن العنف ليس معقولا؛ لأنها لا تكون وحدها أبدا، وإنما هي دائما محاطة بالخدم. لذلك سيكون السم.. حسنا إن بوسعها التصدي لذلك: ستطهو "رينسنب" طعامها وتحضره لها، ولقد جلبت دلوا من الشراب إلى غرفتها، وهي تنتظر أربعاً وعشرين ساعة بعد أن يدوقه عبد قبل أن تشرب منه لتتأكد أنه لن يترتب عليه أي نتائج سيئة، وكانت تجعل "رينسنب" تشاركها في طعامها وشرابها، ولو أنها كانت لا تخاف على "رينسنب" بعد، وربما لن يكون هناك خوف على "رينسنب" أبدا، ولكن لا يستطيع المرء أن يتأكد ذلك. وكانت تجلس إلى حين، دون حركة تدفع عقلها المتعب إلى ابتكار طرق تثبت بها الحقيقة، أو كانت تراقب خادمتها الصغيرة وهي تنسفي وتثني أثوابها اللينون، أو وهي تعيد إصلاح عقودها وأساورها. كانت تشعر في ذلك المساء بإعياء شديد، وكانت قد لحقت بـ "أمحتوب" بناء على رغبته لكي تناقش موضوع زواج "رينسنب" قبل أن يتكلم هو مع ابنته. كان "أمحتوب" قد انكمش متبرما، وقد أصبح خيالا أكثر مما كان، وقد فقد ثقته بنفسه وتفاخره، وأصبح الآن يرتكن على

إرادة والدته الحديدية وعلى تصميميها. أما عن "أسا" فإنها كانت خائفة - خائفة جدا- من أن تقول شيئا خطأ. إن أرواحا يمكن أن تفقد نتيجة كلمة غير حكيمة. وأخيرا وافقت على الزواج كفكرة حكيمة، وقالت إن الوقت لا يسمح للبحث بعيدا عن زوج من بين أفراد الأسرة المهمين، وإن المهم هو سلالة المرأة، وإن زوج "رينسنب" سيكون فقط المدير الذي سيدير الميراث الذي سيؤول إلى "رينسنب" وأولادها. ولذلك أصبحت المسألة هي هل هو "حوري"، وهو رجل أمين وصديق قديم أثبت وفاءه، وابن لصاحب أرض صغيرة تجاور أرضه أرضهم، أو "كاماني" الشاب لقربته؟ ووزنت "أسا" الأمر بعناية قبل أن تتكلم، فإن كلمة خاطئة الآن قد تترتب عليها كارثة. ثم أجابت وهي تزكي إجابتها بشخصيتها التي لا تقهر، وقالت:

- إن "كاماني" دون ريب هو الزوج المناسب لـ "رينسنب" وإن إتمام هذا الزواج والاحتفالات الضرورية التي تصاحب ذلك، سوف تختصر كثيرا نظرا للأحداث الحزينة الأخيرة، ويمكن أن تتم في بحر أسبوع، هذا إذا كانت "رينسنب" موافقة. إن "كاماني" شاب جيد، وهما سيرزقان بأطفال أقوياء، وفوق كل ذلك فهما متحابان وفكرت "أسا": "حسنا، لقد رميت زهري، وسنلعب اللعبة الآن. لقد خرج الأمر من يدها، وقد فعلت ما تعتقد أنه الصواب وإن كان محفوفًا بالمخاطر، حسنا إن "أسا" تحب اللعب بالشطرنج تماما مثلما كان "إيبي" يحبه.. إن الحياة ليست مسألة أمان، فعلى المرء أن يخاطر ليكسب. وعندما رجعت إلى غرفتها نظرت حولها بشك وفحصت -على الأخص- دلو الشراب الكبير، وكان مغطى ومقفلا ومبرشما كما تركته، وكانت تبرشمه دائما عندما تترك الغرفة، وكان المفتاح معلقا بأمان حول عنقها. نعم.. إنها لن تجازف بأي شكل، وضحكت "أسا" بخبث ورضاء، إنه ليس من السهل قتل امرأة عجوز، فإن النساء العجائز يعرفن قيمة الحياة، ويعرفن أغلب الحيل أيضا. ونادت على خادمتها الصغيرة:

- أين "حوري"؟ أتعرفين؟ وأجابت الفتاة أنها تظن أن "حوري" في الغرفة الحجرية بجوار المقبرة وأومات "أسا" برضاء:

- اذهبي إليه هناك وقولي له أن يأتي إلي غدًا صباحا عندما يكون "أمحتوب" و"ياموس" في المزرعة ومعهما "كاماني" وعندما تكون "كيت" بجانب البحيرة مع أولادها. هل فهمت هذا؟ رددته. ورددته الخادمة الصغيرة بالضبط ثم أرسلتها

"أسا". نعم إن خططها جيدة.. إن الاستشارة مع "حوري" ستكون على انفراد تماما، بما أنها سترسل "هينيت" في مهمة إلى كوخ النسيج، وستحذر "حوري" مما سيحدث، وسيكون بوسعهما أن يتكلمتا بحرية معا. وتنهدت "أسا" بارتياح عندما رجعت الفتاة السوداء ومعها رسالة بان "حوري" سيفعل كما تشاء، والآن وقد تم إعداد كل شيء شعرت بالإعياء يغمرها مثل الفيضان، وطلبت من الفتاة أن تأتي بوعاء المرهم ذي الرائحة الذكية وأن تدلكها، وشعرت براحة من أثر التدليك وخفف المرهم التعب الذي يسري في عظامها. وتمددت أخيرا ورأسها على المخدة الخشبية ونامت وقد سكنت مخاوفها إلى حين. واستيقظت بعد هذا بوقت طويل وهي تشعر ببرودة غريبة.. إن قدميها ويديها متخدرت ودون حياة.. إنه مثل مخدر يزحف على الجسم كله. إنها تشعر به وهو يشل عقلها وإرادتها ويبطئ ضربات قلبها. وفكرت: "هذا هو الموت. موت غريب دون إنذار". وفكرت: "هكذا يموت العجائز.. ثم جاءها تأكيد أعمق أن هذا ليس موتا طبيعيا. إن هذا هو فعل العدو وهو ينشر السم في الظلام.. ولكن كيف؟ ومتى؟ إن كل ما أكلته وشربته جُرب ولم تكن هناك ثغرة خطأ. إذن كيف؟ ومتى؟ وحاولت "أسا" بآخر قوى ذكائها الضعيفة أن تحل اللغز.. يجب أن تعرف.. قبل أن تموت. وشعرت بالضغط يزداد على قلبها وبالبرودة القاتلة وبتنفسها البطيء المؤلم. كيف فعل العدو هذا؟ وفجأة تذكرت شيئا... من الماضي.. ذكرى عابرة، وساعدها ذلك على التفهم. جلد خروف مخلوق.. قطعة من الشحم لها رائحة. اختبار كان يجريه أبوها؛ ليبرهن أن بعض السموم يمكن أن يمتصها الجلد. شحم أغنام ودهون من شحم. هذه هي الطريقة التي وصل بها إليها العدو.. وعاء المرهم ذو الرائحة الذكية الذي لا غنى للمرأة المصرية عنه.. إن السم كان في هذا. وغدا... "حوري"... إنه لن يعرف.. إنها لا تستطيع أن تقول له.. لقد فات الأوان. وفي الصباح هرعت جارية صغيرة خائفة تجري في المنزل وهي تصيح أن سيدتها ماتت وهي نائمة. وقف "أمحتوب" ينظر إلى جسد "أسا" وكان وجهه حزينا ولكن لم يكن فيه شك. لقد قال إن أمه ماتت ميتة طبيعية لكبر سنها وقال:

- كانت عجوزا... نعم كانت عجوزا. وقد حان دون ريب الوقت لكي تذهب إلى "أوزوريس"، وقد عجلت متاعبنا وأحزاننا بوفاتها، ولكن يبدو أن الموت قد

جاءها بهدوء، وحمدا لـ"رع" .. إن هذه وفاة لم يكن لرجل أو لروح شريرة يد فيها. لم يكن هناك أي عنف انظروا كم تبدو هادئة. وبكت "رينسنب" وواساها "ياموس"، ومضت "هينيت" وهي تتنهد وتهز رأسها وتقول:

- كيف أن موت "أسا" خسارة، كم كانت هي "هينيت" متفانية لها، وكف "كاماني" عن غناؤه، وأظهر وجها حزينا كما يجب. وجاء "حوري" ووقف ينظر إلى المرأة الميتة. كانت هذه هي الساعة التي استدعته فيها، وتساءل عما كان لديها بالضبط شيء لتقوله له. لقد كان لديها شيء محدد تود أن تخبره به، والآن لن يعرف أبدا. ولكنه فكر في أنه ربما يستطيع أن يخمن.

الفصل الحادي والعشرون

- "حوري" هل قُتلت؟

- أعتقد ذلك يا "رينسنب".

- كيف؟

- لا أعرف. كان في صوت الفتاة حيرة وغم:

- ولكنها كانت حريصة. كانت دائما يقظة، وكانت تتخذ جميع الاحتياطات.

إن كل شيء تأكله أو تشربه كان قد ثبت خلوه من أي شيء ضار.

- أعرف يا "رينسنب" ولكن مع كل فانا أعتقد أنها قتلت.

- كانت أحكمنا جميعا، إنها أذكانا. كانت متأكدة أنها لن يصيبها أي شر.

"حوري" إنه سحر بلا ريب. سحر شرير من روح شريرة.

- أنت تعتقدين هذا لأنه أسهل شيء ممكن تصديقه. هكذا الناس، ولكن "أسا"

نفسها ما كانت لتصدق هذا، لقد عرفت قبل أن تموت أنه فعل إنسان حي.

- وهل كانت تعرف من يكون؟

- نعم. لقد أظهرت شكها بجلاء، وأصبحت خطرا على العدو وواقعة موتها

ثبتت أن شكها كان في محله.

- وهل قالت لك، من القاتل؟

- كلا لم تقل لي، إنها لم تشر إلى أي اسم قط، ومع ذلك فإن فكرتها وفكرتي

كانتا -وأنا واثق بهذا- نفس الفكرة .

- إذن يجب أن تقول لي يا "حوري" حتى أحترس .

- كلا يا "رينسنب" ، إن سلامتك تهمني كثيرا ولن أفعل ذلك .

- هل أنا في أمان؟ وتغير وجه "حوري" وقال :

- كلا يا "رينسنب" ، إنك لست آمنة . لا يوجد إنسان آمن، ولكنك أكثر أمانا مما

لو كنت متأكدة من الحقيقة، لأنك عندئذ ستصبحين خطرا مؤكدا، وتجب إزالتك

في الحال بغض النظر عن المخاطرة .

- وماذا عنك يا "حوري"؟ أنت تعرف . وصحح لها القول :

- اعتقد أنني أعرف، ولكنني لم أقل شيئا ولم أظهر شيئا . إن "أسا" كانت غير

حكيمه فقد تكلمت علنا وأظهرت الاتجاه الذي يسير فيه تفكيرها . ما كان يجب

أن تفعل ذلك، وقلت لها هذا فيما بعد .

- لكن أنت يا "حوري" .. إذا حدث لك أي شيء .. توقفت . كانت مدركة أن

عيني "حوري" تنظران إلى عينيها بجذ وعزم ينفذان إلى أعماق عقلها وقلبها،

وأخذ يديها بين يديه وأمسك بهما برفق .

- لا تخافي عليّ يا "رينسنب" الصغيرة .. إن كل شيء سيكون على ما يرام .

وفكرت : "نعم إن كل شيء سيكون على ما يرام إذا كان "حوري" يقول كذلك . إنه

لشعور غريب بالرضا والسلام وسعادة كلها غناء وصفاء، في مثل جمال وبعد المناظر

البعيدة التي يراها المرء من المقبرة، هناك لا يوجد ضجيج المطالب الإنسانية والقيود .

وفجأة وبشيء من الفظاظه سمعت نفسها تقول :

- ساتزوج "كاماني" . وأطلق "حوري" يديها بهدوء وبطريقة طبيعية جدا .

- أعرف يا "رينسنب" .

- إنهم .. إن أبي .. إنهم يعتقدون أنه أفضل شيء .

- أعرف . وابتعد وبدا كما لو أن أسوار الفناء تقترب، وأن الأصوات من داخل

المنزل ومن الحقول في الخارج قد علت وأصبحت أكثر ضجيجا . وكانت في ذهن

"رينسنب" فكرة واحدة فقط : "إن "حوري" سيذهب .. ونادته بخجل :

- "حوري" إلى أين أنت ذاهب؟

- خارجا إلى الحقول مع "ياموس" . إن هناك عملا كثيرا يجب القيام به

وتسجيله . إن الحصاد قد انتهى تقريبا .

- و"كاماني"؟

- "كاماني" سيأتي معنا . وصاحت "رينسنب" :

- أنا خائفة هنا . نعم حتى في ضوء النهار، ورغم وجود كل الخدم حولنا ووجود

"رع" وهو يسري في السماوات فإني خائفة . ورجع سريعا :

- لا تخافي يا "رينسنب" . أقسم لك أن لا حاجة بك إلى الخوف اليوم .

- ولكن بعد اليوم؟

- إن اليوم يكفي لكي يعيشه المرء، وأقسم لك أنك لست في خطر اليوم . ونظرت

إليه "رينسنب" وعبست .

- لكننا في خطر؟ "ياموس" وأبي وأنا .. لست أنا المهتدة أولا .. أهذا هو ما

تفكر فيه؟

- حاولي ألا تفكري في هذا يا "رينسنب" . إنني أفعل كل ما في وسعي، ولو أنه

قد يبدو لك أنني لا أفعل شيئا .

- نعم . ونظرت إليه "رينسنب" وهي تفكر: "نعم هكذا . إن "ياموس" سيكون

الضحية الأولى .. إن العدو قد حاول مرتين بالسلم وفشل، وستكون هناك محاولة

ثالثة . لذلك ستكون بقربه لتحميه، وبعد ذلك سيحل دور أبي ودوري" . من الذي

يكره أسرنا إلى هذا الحد لكي ...

- صه . من الأفضل ألا تتكلمي في هذه الأمور . ثقي بي يا "رينسنب" ، وحاولي

أن تمحي الخوف من ذهنك . ورفعت "رينسنب" رأسها وواجهته بكبرياء :

- أنا أثق بك يا "حوري" . لن تدعني أموت .. فأنا أحب الحياة جدا، ولا أريد أن

أتركها .

- لن تتركها يا "رينسنب" .

- ولا أنت أيضا يا "حوري" .

- ولا أنا أيضا . وابتسما لبعضهما، ثم مضى "حوري" ليبحث عن "ياموس" .

جلست "رينسنب" القرفصاء تراقب "كيت". كانت "كيت" تساعد الأطفال على صنع لعب من الصلصال، وكانت تستعين بماء البحيرة وأصابعها مشغولة بما تفعله، وصوتها يشجع الولدين الصغيرين المنهمكين بجذ في عملهما، وكان وجه "كيت" كالمعتاد فيه مودة، ودون أي تعبير أو جمال، ولم يبد أن جو الموت العنيف والخوف الدائب قد أثرا فيها بالمرة. كان "حوري" قد طلب من "رينسنب" ألا تفكر، ولكن لم يكن بوسع "رينسنب" مهما كانت ترغب في ذلك أن تطيع. لو كان "حوري" يعرف العدو، ولو كانت "أسا" تعرفه، إذن لا يوجد سبب لكي لاتعرفه "رينسنب" أيضا. قد تكون في أمان أكثر بعدم معرفتها، ولكن لا يوجد إنسان يرضى بذلك. إنها تريد أن تعرف، وهو أمر لا بد سهل جدا. سهل جدا.. إن من الواضح أن أباه لا يمكن أن يرغب في قتل أولاده، ولذلك فيبقى.. من يبقى.. من يبقى؟ يبقى بوضوح ودون ريب شخصان.. "كيت" و"هينيت" امرأتان.. وبالتأكيد لا يوجد لديهما دافع للقتل.. ومع ذلك فـ"هينيت" تكرههم جميعا.. نعم إن "هينيت" تكرههم دون ريب جميعا.. لقد اعترفت بأنها تكره "رينسنب"، ولذلك فلم لا تضمركه للآخرين أيضا؟ وحاولت "رينسنب" أن تتخيل ما يدور داخل عقل "هينيت" المظلم المعذب. لقد عاشت هنا كل هذه السنين تعمل وتعلن وفاءها وتكذب وتتجسس وتثير المتاعب.. جاءت إلى هنا منذ زمن طويل بوصفها قريبة فقيرة لسيدة جميلة وعظيمة، ورات تلك السيدة الجميلة سعيدة بزوجها وأطفالها، أما هي فتخلى عنها زوجها ومات طفلها الوحيد. نعم قد يكون هذا هو ما حدث. مثل جرح من رمية رمح راته مرة "رينسنب"، لقد شُفي بسرعة ظاهريا، ولكن كان غير نظيف من الداخل، وسرى فيه المرض، وورم الذراع، ثم جاء الطبيب وتلا تلاوة ملائمة ثم غرس سكيننا صغيرا في الذراع المتورمة الجامدة، وكان كما لو أن جسري قد انهار، وانثىق من الذراع سيل من سائل له رائحة كريهة. وربما كان هذا هو ما حدث لعقل "هينيت". حزن وجرح اندملا بسرعة، وسم يتقيح تحت الجرح، ويتزايد ويصبح تيارا قويا من الحقد والضغينة. ولكن هل تكره "هينيت" "أمحتوب" أيضا؟ كلا بالتأكيد.. إنها منذ سنوات ترفرف حوله وتتملقه، وهو يثق بها تمام الثقة بالتأكيد.. إن هذا التفاني لا يمكن أن يكون تظاهرا كلية؟ وإذا كانت

متفانية له هل من الممكن أن تصيبه عمدا بكل هذا الحزن والخسارة؟ آه، ولكن لنفرض أنها كانت تكرهه هو أيضا، وإنها كانت تكرهه دائما؟ وإنها كانت تتملقه متعمدة لكي تبرز ضعفه؟ وهب أن "أمحتوب" هو أكثر الذين تكرههم؟ إذن ما الذي يسر عقلا مريضا شريرا أكثر من هذا، أن يرى أولاده يموتون الواحد تلو الآخر؟

– ماذا بك يا "رينسنب"؟ كانت "كيت" تحدد إليها:
– إن منظرك غريب. ووقفت "رينسنب" وقالت:

– أشعر كما لو كنت سأتقيا. وكان هذا من ناحية حقيقية، فإن الصورة التي تخيلتها قد أثارت فيها شعورا قويا بالغثيان، وتقبلت "كيت" كلماتها بمعناها الظاهري.

– إنك قد أسرفت في أكل البلح الأخضر، وربما لم يناسبك السمك.
– كلا.. كلا إنه ليس شيئا أكلته، بل إنه هذا الجوز الفطير الذي نعيش فيه.
– آه هذا... وكانت لهجة "كيت" باردة لدرجة أن "رينسنب" حدقت إليها مستغربة.

– لكن الست خائفة يا "كيت"؟

– كلا.. لا أظن ذلك، لو حدث أي شيء لـ "أمحتوب" فسيحمني "حوري" الأولاد. إن "حوري" أمين وسيحافظ لهم على ميراثهم.
– "ياموس" هو الذي سيفعل ذلك.

– إن "ياموس" سيموت أيضا.

– "كيت"، أنت تقولين هذا بمنتهى الهدوء. ألا يهملك هذا بالمرّة؟ أعني موت "ياموس" وأبي؟ وتمنعت "كيت" برهة ثم هزت كتفها.

– إننا امرأتان معا فلنكن صادقتين. لقد اعتقدت دائما أن "أمحتوب" غير عادل ومستبد. لقد تصرف تصرفا شائنا في مسألة محظيته، وتركها تقنعه بأن يحرم لحمه ودمه من الميراث. إنني لم أحب "أمحتوب" قط، وأما "ياموس" فإنه نكرة، وكانت "ساتيبي" تحكمه في كل شيء، وأخيرا بعد أن رحلت بدأ يعطي الأوامر ويتسلط. إنه سيفضل أولاده على أولادي دائما، وهذا أمر طبيعي ولذلك فإن مات فإن هذا أفضل لأولادي، هكذا أرى الأمور.. إن "حوري" ليس لديه أولاد وهو عادل. إن كل الذي جرى مقلق ولكني كنت أفكر أخيرا فيما جرى أنه خير ما يحدث.

– إن بوسعك أن تتكلمي هكذا يا "كيت" – بهذا الهدوء والجمود – بينما كان زوجك الذي كنت تحبينه هو أول القتلى .. وبدا على "كيت" تغير خفيف غير واضح، وألقت نظرة إلى "رينسنب" بدا فيها تهكم ما .

– إنك مثل "تيتي" تماما في بعض الأحيان يا "رينسنب" ، وفي الحقيقة إن المرء قد يقسم أنك لست أكبر منها سنا .

– أنت لست حزينة على "سويك" . إنني لاحظت هذا .

– هيا يا "رينسنب" لقد فعلت كل ما تمليه التقاليد .. إنني أعرف كيف يجب أن تتصرف أرملة ترملت حديثا .

– نعم .. هذا كل ما هنالك .. لذلك، هذا يعني أنك لم تكوني تحبين "سويك" ؟ وهزت "كيت" كتفها :

– ولماذا أحبه ؟

– "كيت" إنه كان زوجك، وقد رزقت منه بأطفالك ... ولانت تعابير وجه "كيت" ، ونظرت إلى الولدين الصغيرين المنهمكين في اللعب بالصلصال، وإلى حيث كانت "انكا" تتبختر وهي تغني لنفسها وتلوح بقدميها الصغيرتين .

– نعم لقد وهبني أطفالا، وإنني لأشكره على ذلك، ولكن ماذا كان بعد كل هذا؟ كان رجلا وسيما متباهيا، رجلا يقصد دائما نساء أخريات . إنه لم يتخذ زوجة كما تقضي التقاليد ويأتي بها إلى المنزل، امرأة متواضعة تنفعنا جميعا . كلا بل كان يذهب إلى المنازل ذات السمعة السيئة، ويصرف فيها بإسراف ويشرب أيضا، ويطلب أغلى الراقصات، وكان من حسن الحظ أن "أمحتوب" كان يقتر عليه . وأنه كان عليه أن يقدم حسابا عسيرا عن المبيعات التي كان يتولاها في المزرعة، فما الحب والاحترام الذي يجب أن أكنه لرجل من هذا الطراز؟ وما قيمة الرجال على أي حال؟ إنهم ضروريون لإنجاب الأطفال . هذا كل ما هنالك، ولكن قوة الجنس فينا نحن يامعشر النساء .. إننا نحن يا "رينسنب" الذين نورث أطفالنا كل ما نملك، أما عن الرجال فلينجبوا وليموتوا .. وكان الاحتقار والازدراء اللذان يملآن صوت "كيت" يرتفعان مثل نبرات آلة موسيقية، وكان وجه "كيت" القوي القبيح قد تبدل . وفكرت "رينسنب" بحسرة: « إن "كيت" قوية، ولو كانت غبية فإن غباءها من النوع الراضعي عن نفسه . إنها تكره وتحتقر الرجال، وكان يجب أن أعرف،

فقد لمحت مرة قبل ذلك لمحة من هذا.. هذه الصفة المهذبة نعم إن " كيت " قوية . وبلا شعور سقطت نظرة "رينسنب" على يدي " كيت " ، كانتا تعصران وتعجنان الصلصال .. يدان قويتان فيهما عضلات، وبينما كانت "رينسنب" تراقبهما، وهما تعجنان الصلصال فكرت في "إيبي" ، وفي يدين قويتين تدفعان رأسه في الماء، وتمسكان به هناك دون رحمة .. نعم إن بوسع يدي " كيت " أن تفعل ذلك . وتعثرت الفتاة الصغيرة " أنكا " ووقعت على الشوك، وصرخت، فهرعت إليها " كيت " والتقطتها، وأمسكت بها على صدرها وهي تدندن لها وكان وجهها الآن كله حب وحنو. وهرعت " هينيت " من الشرفة:

- هل هناك شيء ..؟ إن الطفلة صرخت عاليا لدرجة أنني فكرت في أنه ربما ... وتوقفت وقد ظهرت عليها خيبة الأمل، واکتاب وجهها المغلول الخسيس المتوجس لحدوث كارثة. ونقلت "رينسنب" بصرها من المرأة للأخرى. حقد في وجهه، وحب في وجه آخر، وتساءلت من منهما الأكثر شناعة؟

الفصل الثاني والعشرون

كان اليوم التالي هو ليلة الاحتفال بالقمر الجديد، وكان "أمحتوب" مضطرا إلى الذهاب إلى المقبرة لكي يقدم القرابين، وتوسل "ياموس" لآبيه أن ينوب عنه في هذه المناسبة، ولكن "أمحتوب" لم يتزحزح عن موقفه، وتمتم بما يبدو الآن تمثيلا ضعيفا لطريقته القديمة:

- كيف أتأكد أن الأمور تجري كما يجب ما لم أقم بها بنفسني؟ هل تخليت أبدا عن واجباتي؟ ألم أصرف عليكم جميعا وأسندكم جميعا؟ وتوقف صوته:

- جميعا؟ جميعا؟ آه إنني أنسى ولدي الشجاعين -ابني "سويك" الوسيم، وابني "إيبي" الذكي المحبوب - ذهابا عني. "ياموس" و"رينسنب" - ابني وابنتي العزيزين - أنتما ما زلتما معي ولكن إلى متى ..؟ إلى متى؟ قال "ياموس":

- لسنوات عديدة كما نأمل .. كان يتكلم بصوت عال كما لو كان يكلم رجلا أصم.

- آه؟ ماذا؟ وكان يبدو على "أمحتوب" أنه في غيبوبة ثم قال فجأة وبدهشة:

- إن هذا يتوقف على "هينيت"، اليس كذلك؟ نعم إنه يتوقف على "هينيت".
وتبادل "ياموس" و"رينسنب" النظرات وقالت برفق ووضوح:

- إنني لا أفهمك يا أبي. وتتم "أمحتوب" بشيء لم يسمعه، ثم رفع صوته قليلا
ولكن عينيه ظلتا بليدين وخاويتين وقال:

- إن "هينيت" تفهمني، وهي كانت دائما تفهمني، وهي تعرف كم مسؤولياتي
كبيرة وعظيمة. نعم كم هي كبيرة.. ودائما الجحود.. لذلك يجب أن يكون هناك
عقاب.. إن هذا كما اعتقد من المبادئ المعمول بها، يجب أن تُعاقب الغطرسة.. إن
"هينيت" كانت دائما متواضعة ومخلصة وستكافأ.. وشد قامته باهتمام:

- أنت تفهم يا "ياموس" .. يجب أن تنال "هينيت" كل ما تريده.. إن أوامرها
يجب أن تطاع.

- ولكن لماذا يا أبي؟

- لأنني أقول هذا. لأنه إذا حصلت "هينيت" على ما تريد فلن تحدث وفيات
أخرى.. وأوما براسه في حكمة ثم مضى، تاركا "ياموس" و"رينسنب" يحدقان
إلى بعضهما في استغراب وخوف.

- ماذا يعني هذا يا "ياموس"؟

- لا أعرف يا "رينسنب"، وفي بعض الأحيان أعتقد أن أبي لم يعد يعرف ما
يقوله أو ما يفعله.

- لا، ربما لا، ولكنني أعتقد يا "ياموس" أن "هينيت" تعرف جيدا ما تقوله وما
تفعله. إنها قالت لي منذ فترة قصيرة، إنها قريبا سيكون في يدها السوط في هذا
المنزل. ونظرا إلى بعضهما ثم وضع "ياموس" يده على ذراع "رينسنب":

- لا تغضبيها. أنت تظهرين شعورك بوضوح أكثر من اللازم يا "رينسنب".
أسمعت ما قاله أبي؟ إذا فعلنا ما تريده "هينيت" لن تكون هناك وفيات أخرى..
كانت "هينيت" جالسة القرفصاء في إحدى غرف المخازن وهي تعد أكواما من
الملاءات. كانت ملاءات قديمة، وأمسكت بعلامة على أحد الاطراف وقربتها من
عينيتها. وتمتمت: «أياشات»، ملاءات "أياشات"، ومكتوب عليها تاريخ السنة
التي جاءت فيها إلى هنا... هي وأنا معا.. هذا منذ زمن طويل. إنني أتساءل هل
تعرفين الآن فيما تستعمل ملاءاتك يا "أياشات"؟... وتوقفت في وسط ضحكة،

وجفلت عند سماع صوت جعلها تنظر خلفها. كان "ياموس".

– ماذا تفعلين يا "هينيت"؟

– إن الخنوطية يحتاجون إلى ملاءات أكثر، لقد استعملوا أكواما من الملاءات. استعملوا أربعمائة كوم أمس فقط. إنه لشيء فظيع كمية الملاءات التي تستهلكها هذه الجنازات، سنضطر إلى استعمال هذه الملاءات القديمة. إنها من صنف جيد ولم تستهلك كثيرا. إنها ملاءات والدتك يا "ياموس". نعم ملاءات والدتك..

– من سمح لك باستعمالها؟ وضحكت "هينيت":

– إن "أمحتوب" قد عهد إليّ بكل شيء وليس عليّ أن أطلب إذنا. إنه يثق بـ"هينيت" العجوز المسكينة، وهو يعرف أنها ستفعل كل شيء طبقا للأصول، لقد قمت بأغلب الأمور في هذا المنزل لمدة طويلة وأعتقد –الآن– أنني سأنال جزائي.

– يبدو أن هذا هو ما سيحدث يا "هينيت"، وكان صوت "ياموس" معتدلا.

– إن أبي يقول... وتوقف. إن كل شيء يتوقف عليك.

– هل قال ذلك؟ حسنا إن هذا شيء يسرني الاستماع إليه، ولكن ربما لا تعتقد أنت ذلك يا "ياموس".

– حسنا، أنا لست متأكدا تماما.. وكان صوت "ياموس" مازال معتدلا، ولكنه كان يراقبها عن قرب.

– أعتقد أنه من الأفضل أن تتفق مع أبيك يا "ياموس" فإننا لا نريد أي متاعب أخرى، اليس كذلك؟

– أنا لا أفهم تماما. أتعنين أننا لا نريد أية وفيات أخرى؟

– ستكون هناك وفيات أخرى يا "ياموس" بالتأكيد.

– من التالي الذي سيموت يا "هينيت"؟

– ولماذا تعتقد أنني أعرف هذا؟

– أعتقد أنك تعرفين الكثير. إنك مثلا كنت تعرفين أن "إيبي" سيموت.. أنت ذكية جدا يا "هينيت"، اليس كذلك؟ وشمخت "هينيت" وقالت:

– إذن فقد بدأت تدرك هذا الآن. أنا لم أعد "هينيت" الغبية المسكينة. أنا أعرف.

– ماذا تعرفين يا "هينيت"؟ وتغير صوت "هينيت" وأصبح منخفضا وحادا:

- أعرف أن بوسعي أخيرا أن أفعل ما أريده في هذا المنزل، ولن يكون هناك من
يعنني. إن "أمحتوب" يركن إليّ، وأنت ستفعل مثله هه يا "ياموس" ؟
- و"رينسنب" ؟ وضحكت "هينيت" ضحكة سعيدة وخبيثة .
- لن تكون "رينسنب" هنا .
- أعتقدين أن "رينسنب" هي التي ستموت في المرة التالية ؟
- ما الذي تظنه أنت يا "ياموس" ؟
- إنني أنتظر لاسمع ما الذي ستقولينه أنت .
- ربما عنيت فقط أن "رينسنب" ستتزوج وترحل .
- ما الذي تعنين يا "هينيت" ؟ وضحكت "هينيت" :
- لقد قالت "أسا" مرة إن لساني خطر . ربما هو كذلك، وأطلقت ضحكة رفيعة
وهي تتمايل على كعبيها :
- حسنا يا "ياموس" ما قولك ؟ هل سأفعل أخيرا ما أريده في هذا المنزل ؟
وتحصنها "ياموس" لبرهة قبل أن يقول :
- نعم يا "هينيت" ، أنت ذكية جدا . ستفعلين ما يحلو لك . واستدار ليقابل
"حزوري" الذي كان آتيا من البهو الرئيسي والذي بادره بالقول :
- هانتذا يا "ياموس" .. إن "أمحتوب" ينتظرك فقد حان الوقت للذهاب إلى
المقبرة . وأوما "ياموس" :
- أنا آت .. وخفض صوته :
- "حوري" أعتقد أن "هينيت" مجنونة، إنها بالتأكيد ممسوسة من الشياطين .
ولقد بدأت أعتقد أنها هي المسؤولة عن كل هذه الحوادث . وتوقف "حوري" برهة
قبل أن يقول بصوته الهادئ المنعزل :
- إنها امرأة غريبة، وأعتقد أنها شريرة . وخفض "ياموس" صوته أكثر :
- "حوري" أنا أعتقد أن "رينسنب" في خطر ؟
- من "هينيت" ؟
- نعم .. لقد ألمحت تروا أن "رينسنب" قد تكون هي التالية .. للرحيل . ووصل
إليهما صوت "أمحتوب" متبرما :
- هل سانتظر طوال اليوم ؟ ما هذا السلوك ؟ لم يعد أحد يهتم بي، لا يعرف أحد

ما أحتمله. أين "هينيت"؟ إن "هينيت" تفهمني. وجاءت ضحكة "هينيت" الرفيعة من داخل المخزن.

- هل تسمع هذا يا "ياموس"؟ "هينيت" هي التي تفهمه، وقال "ياموس" بشراسة:

- نعم يا "هينيت" أنا أفهم. أنت التي بيدك النفوذ والقوة - أنت وأبي وأنا - نحن الثلاثة معا. ومضى "حوري" ليلحق بـ "أمحتوب"، وقال "ياموس" بضع كلمات لـ "هينيت" التي أومات وقد أضيئت عيناها بانتصار خبيث. ثم لحق "ياموس" بـ "حوري" و"أمحتوب"، واعتذر عن تأخره، ومضى الرجال الثلاثة إلى المقبرة.

-3-

مر اليوم بطيئا على "رينسنب". كانت قلقة تمشي ذهابا وإيابا من المنزل للشرفة ثم للبحيرة، ثم ترجع مرة أخرى للمنزل. ورجع "أمحتوب" إلى المنزل في منتصف النهار، وبعد أن أكل وجبة طعام خرج إلى الشرفة، ولحقت به "رينسنب"، جلست ويدها حول ركبتيها، وهي تنظر من حين لآخر إلى وجه أبيها، وكان لا يزال عليه ذلك التعبير المتحير التائه، ولم يتكلم "أمحتوب" كثيرا، وتهد مرة أو مرتين. وفي مرة تنبه وسأل عن "هينيت"، ولكن في هذا الوقت بالذات كانت "هينيت" قد ذهبت بالملاءات للحنوطية، وسالت "رينسنب" أباها:

- أين "ياموس" و"حوري"؟..

- ذهب "حوري" إلى حقول الكتان البعيدة، فهناك جرد، و"ياموس" في المزرعة، وإن كل شيء يقع الآن على عاتقه.. يا للحسرة على "سوبك" و"إيبي" .. ولدي .. ولدي الوسيمين .. وحاولت "رينسنب" أن تصرف باله بسرعة.

- ألا يستطيع "كاماني" أن يراقب العمال؟

- "كاماني"؟ من هو "كاماني"؟ ليس لي ابن بهذا الاسم؟

- "كاماني" الكاتب الذي سيصبح زوجي. وحدق إليها.

- أنت يا "رينسنب" ولكنك ستزوجين "فاي"؟ وتهدت ولم تقل شيئا آخر، فقد بدا أنه من القسوة أن تحاول رده إلى الحاضر. ومع ذلك فبعد فترة وجيزة تنبه من نفسه وهتف فجأة:

- بالطبع. "كاماني" .. إنه ذهب ليصدر بعض التعليمات لرئيس العمال في معمل الشراب. يجب أن أذهب وألحق به. ومضى بخطى سريعة وهو يتمتم لنفسه بطريقته القديمة، ولذلك شعرت "رينسنب" ببعض السرور. ربما إن الغلالة التي رانت على عقله مؤقتة ونظرت حولها وبدا أن هناك اليوم شرا في السكون الضارب حول المنزل والفناء. كان الاطفال في الجانب البعيد من البحيرة، ولم تكن "كيت" معهم، وتساءلت "رينسنب": «أين هي؟». ثم خرجت "هينيت" إلى الشرفة، ونظرت حولها ثم جاءت تسترق الخطى نحو "رينسنب"، وكانت قد رجعت إلى طريقته القديمة المتواضعة.

- كنت أنتظر حتى أجدك وحدك يا "رينسنب".

- لماذا يا "هينيت"؟ وخفضت "هينيت" صوتها.

- لدي رسالة لك من "حوري"؟

- ماذا يقول؟ كان صوت "رينسنب" متحمسا.

- إنه يطلب منك الصعود إلى المقبرة.

- الآن؟

- كلا. كوني هناك قبل ساعة من الغروب. هذه هي الرسالة وهو يطلب منك أن تنتظره إذا لم يكن هناك حتى يأتي وهو يقول إن الأمر مهم.. وتوقفت "هينيت". ثم أضافت:

- طلب مني أن أنتظر حتى تكوني وحدك لاقول هذا وألا يسمع أحد ما أقوله. وتسللت "هينيت" مرة أخرى بعيدا. وشعرت "رينسنب" بأن حملا أزيح عنها. شعرت بسرور لفكرة ذهابها إلى هدوء وسلام المقبرة، وبالسرور لأنها ستري "حوري"، وسيكون بوسعها أن تكلمه بحرية، وكان الشيء الوحيد الذي يدهشها هو أنه عهد برسالته إلى "هينيت". ورغم ذلك فمع أن "هينيت" خبيثة فقد نقلت الرسالة بأمانة. وفكرت "رينسنب": "ولماذا أخاف من "هينيت" في أي وقت؟ أنا أقوى منها". وشدت قوامها بكبرياء وشعرت بشبابها وبالثقة وبأنها مازالت قوية.

بعد أن أبلغت "هينيت" الرسالة ذهبت مرة أخرى لغرفة تخزين الملاءات، وكأنت تضحك في سرها بهدوء. وانحنيت على أكوام الملاءات غير المنظمة، وقالت وهي تخاطب الملاءات بسرور:

- سنحتاج إلى الكثير منك قريباً. هل تسمعين يا "أياشات"؟ أنا السيدة إهنا الآن، أقول لك إن ملاءاتك سيلف بها جثمان آخر، وجثمان من يكون؟ ها، ها أنت لم تستطعي أن تفعلي الكثير؟ أنت وخالك الحاكم. العدالة؟ ما هي العدالة التي تستطيعين إقامتها في هذا العالم؟ أجيبيني عن ذلك؟ صدرت حركة من خلف بالات اللينون، وأدارت "هينيت" رأسها في نصف دائرة. ثم رُميت عليها قطعة عريضة وكبيرة من القماش كتمت فمها وأنفها، ولفت يد قوية لا تلين القماش حول جسمها مثلما يلف جثمان ميت حتى سكنت حركتها.

الفصل الثالث والعشرون

جلست "رينسنب" في مدخل الغرفة الحجرية وهي تمدق إلى النيل غارقة في حلم غريب، وكان يبدو لها أنه مر وقت طويل منذ اليوم الذي جلست فيه هنا أول مرة بعد رجوعها لمنزل أبيها بقليل. وكان هذا هو اليوم الذي أعلنت فيه بمرح أنه لم يتغير شيء، وأن كل شيء في البيت كان تماماً كما تركته عندما غادرت المنزل منذ ثماني سنوات. وتذكرت الآن كيف أن "حوري" قد قال لها إنها هي نفسها لم تعد "رينسنب"، تلك التي رحلت مع "فاي"، وكيف أنها أجابت بثقة أنها سترجع كما كانت، وتكون كذلك بعد قليل. ثم مضى "حوري" يتحدث عن التغييرات التي تحدث من الداخل من عفن ليس له أثر خارجي ظاهر. وكانت الآن تعرف شيئاً مما كان يدور في باله عندما قال هذا الكلام. إنه كان يحاول أن يعدها فإنها كانت عمياء ومطمئنة لدرجة كبيرة، وكانت تتقبل بسهولة أفراد عائلتها كما يبدو ظاهرياً. ولم تتفتح عينها إلا بقدم "نوفريت"... نعم قدم "نوفريت"... إنه كان محور كل شيء.. لقد جاء الموت من "نوفريت" وبصرف النظر عما إذا كانت "نوفريت" شريرة أم لا، فإنها بالتأكيد قد جلبت الشر معها. والشر مازال في

وسطهم. ولآخر مرة حاولت "رينسنب" أن تتخيل أن روح "نوفريت" هي السبب في كل شيء. و"نوفريت" الخبيثة الميتة.. أو "هينيت" الخبيثة الحية.. "هينيت" المحترقة المتملقة.. وارتعشت "رينسنب"، وتحركت، ثم نهضت ببطء على قدميها. إنه لا يمكنها انتظار "حوري" أكثر من ذلك.. إن الشمس على وشك الغروب، وتساءلت بدهشة لماذا لم يأت؟ ونهضت ونظرت حولها، وبدأت تنزل الطريق نحو الوادي. كانت ساعة الغسق هذه ساكنة جدا.. ساكنة وجميلة - كما فكرت - ماذا أخر "حوري"؟ لو كان قد جاء لكان بوسعها على الأقل أن يقضيا هذه الساعة معا.. لن تكون هناك ساعات كثيرة مثلها، ففي المستقبل القريب عندما تصبح زوجة "كاماني"... هل ستتزوج "كاماني" حقا؟ وبنوع من الصدمة حررت نفسها من حالة القبول المتبلد التي خيمت عليها لفترة طويلة، وشعرت كنائم يصحو من حلم محموم. لقد وافقت على كل ما عرض عليها وهي في حالة ذهول من الخوف وعدم الاطمئنان. ولكنها الآن رجعت إلى طبيعتها، وأصبحت "رينسنب" مرة أخرى، ولو تزوجت "كاماني" فسيكون ذلك لأنها أرادت أن تتزوجه، وليس لأن عائلتها رتبت هذا الزواج. "كاماني" بوجهه الوسيم الضاحك! إنها تحبه أليس كذلك؟ ولهذا ستتزوجه. في ساعة المساء هنا في أعلى الجبل يكون الوضوح والحقيقة دون بلبلة أفكار. إنها "رينسنب" تمشي هنا فوق العالم دون خوف، صافية على حقيقتها أخيرا. ألم تقل مرة لـ "حوري" إنها يجب أن تنزل من هذا الطريق وحدها في الساعة نفسها التي ماتت فيها "نوفريت"، وأنه بصرف النظر عن كونها خائفة أم لا، فإنها مع ذلك يجب أن تمشي وحدها؟ حسنا هذا هو ما تفعله الآن. إن هذه هي تقريبا الساعة التي انحنى فيها "ساتيبي" وهي فوق جثمان "نوفريت"، وهي أيضا نفس الساعة تقريبا التي مشى فيها "ساتيبي" بدورها في هذا الطريق. وفجأة نظرت خلفها؛ لترى القدر يلحق بها. وحدث هذا في نفس هذا المكان تقريبا. ما الذي سمعته "ساتيبي" ليجعلها تنظر خلفها فجأة؟ خطوات؟ خطوات.. لكن "رينسنب" تسمع الآن خطوات تتبعها وهي نازلة على الطريق، وشعرت بقلبيها يقفز من الخوف فجأة. إنها حقيقة إذن أن "نوفريت" كانت هناك خطوات خلفها تتبعها... وطفى عليها الخوف، ولكن لم تتباطأ في خطاها، ولم تهرع إلى الامام أيضا. إنها يجب أن تغلب على الخوف ما دام ليس في عقلها أي عمل شرير تندم

عليه . وتماسكت واستجمعت شجاعته، وأدارت رأسها وهي ما تزال تمشي . ثم شعرت بفرح شديد . إن " ياموس " هو الذي يتبعها . ليست روحا من الأموات وإنما شقيقها بنفسه . إنه كان بلا ريب مشغولا في غرفة القرايين في المقبرة، وخرج منها توا بعد أن مرت من أمامها . وتوقفت وأطلقت صرخة صغيرة سعيدة .

- آه يا " ياموس " كم أنا سعيدة لأنه أنت . كان آتيا نحوها بسرعة، وكانت قد بدأت تقول جملة أخرى، تردُّ بها من مخاوفها الساذجة، عندما تجمدت الكلمات على شفيتها . ليس هذا " ياموس " الذي تعرفه، الأخ الرقيق الطيب، إن عينيه تلمعان بشدة، وهو يلحق شفثيه الجافتين بلسانه بسرعة، ويدها ممددتان قليلا أمامه ملتويتان قليلا والأصابع تبدو كمخالب . إنه ينظر إليها، والنظرة التي في عينيه واضحة . إنها نظرة رجل سبق له القتل، وسيقتل مرة أخرى، وهناك على وجهه قسوة مفترسة ورضاء شرير . " ياموس " .. العدو الخفي كان " ياموس " ، تحت قناع الوجه الرقيق الطيب . كانت تفكر في أن أخاها يحبها، لكن لا يوجد حب في هذا الوجه المفترس غير الآدمي . وصرخت "رينسنب" ، صرخة بائسة ضعيفة . كانت تعرف أن هذا هو الموت .. لا توجد لديها قوة توازي قوة " ياموس " . هنا حيث وقعت "نوفريت" ، وحيث الطريق ضيق ستقع هي أيضا لتموت .

- " ياموس " كانت استعطافة أخيرة وفي هذا النداء باسمه كان الحب الذي أحبت به دائما هذا الأخ الأكبر، ولكنه كان استعطافا بلا فائدة . وضحك " ياموس " ضحكة صغيرة سعيدة رقيقة لا إنسانية فيها، ثم هرع إلى الأمام، ويدها القاسيتان اللتان تشبهان المخالب مثنيتان كما لو أنهما تتوقان إلى الالتفاف بشدة حول عنقها . وتراجعت "رينسنب" نحو واجهة الجبل ويدها ممددتان في محاولة يائسة لتفاديه . إن هذا الرعب .. الموت .. ثم سمعت صوتا .. صوتا موسيقيا خافتا له رنين .. ومرق شيء يصفر في الهواء، وتوقف " ياموس " وترنح، ثم وقع بصرخة قوية إلى الأمام على وجهه عند قدميها، ونظرت ببلاهة إلى عمود السهم ذي الريش .

-2-

" ياموس " .. " ياموس " .. رددت "رينسنب" الاسم المرة تلو المرة، وقد شلتها الصدمة . كما لو كانت لا تستطيع أن تصدق هذا .. كانت خارج الغرفة الحجرية

الصغيرة وكان ذراع " حوري " لا يزال حولها، ولم يكن في وسعها الآن أن تتذكر كيف قادها صاعدا بها الطريق مرة أخرى. إن كل ما كان بوسعها أن تفعله هو ترديد اسم أخيها في تلك النبرات المبهورة من الدهشة والرعب. وقال " حوري " برفق:

- نعم " ياموس " طوال الوقت .. " ياموس " .

- ولكن لماذا؟ وكيف يمكن أن يكون هو؟! إنه قد سم نفسه وكاد أن يموت .

- كلا لم تكن هناك مخاطرة من أن يموت . إنه كان حذرا جدا في كمية الشراب الذي شربه .. إنه ارتشف منه ما يكفي ليمرض وبالغ في آلامه، إنها كانت الوسيلة الوحيدة التي يعرفها ليبعد الشك عنه .

- ولكن لم يكن بوسعها أن يقتل " إيببي " . إنه كان ضعيفا لدرجة أنه لم يكن يقدر على الوقوف على قدميه .

- وهذا أيضا كان تمثيلا . ألا تتذكرين أن الكاهن " مرسو " كان قد أعلن أنه بمجرد التخلص من السم سيسترجع قواه بسرعة . لقد حدث هذا في الواقع .

- لكن لماذا يا " حوري " ؟ هذا ما لا أستطيع فهمه ... لماذا؟ وتنهذ " حوري " :

- هل تتذكرين يا " رينسنب " أنني تكلمت معك مرة عن العفن الذي يأتي من الداخل؟

- إنني أذكر هذا وفي الواقع كنت أفكر في هذا الحديث هذا المساء .

- لقد قلت مرة إن مجيء " نوفريت " أتى بالشر وهذا ليس حقيقيا . إن الشر كان موجودا هنا ومختبئا في صدور أهل المنزل . إن كل ما فعله مجيء " نوفريت " هو أنه أخرجهم من الظلمات إلى النور، ووجودها محا الاختباء . تحولت أمومة " كيت " الرقيقة إلى أنانية لنفسها وصغارها، " سوبك " لم يعد الشاب المرح الجذاب بل أصبح الضعيف المتباهي الأجوف . " إيببي " لم يعد صبيا مدللا وجميلا، بل بدا كولد أناني ذي مكائد، وبدأ يظهر السم بوضوح من خلال وفاء " هينيت " المزعوم . " ساتيبي " ظهرت كجبانة و " أمحتوب " نفسه ...

- إنني أعرف ... أعرف، وارتفعت يدا " رينسنب " إلى عينيها:

- لا حاجة لكي تخبرني .. لقد اكتشفت هذا بالتدريج بنفسني .. لماذا تقع هذه

الأمور؟ لماذا يأتي العفن كما تقول من داخل المرء؟! وهز " حوري " كتفيه:

- من الذي يستطيع أن يعرف؟ يجب أن يكون هناك نمودائما، وأن المرء إذا لم ينم

ويصبح أحكم وأطيب وأعظم فإن النمو يجب أن يكون من الناحية الأخرى، فينمي الخصال الشريرة، وقد تكون الحياة التي عاشوها مغلقة جدا، ولا مكان فيها للخيال. أو قد يكون شيء معد، مثل آفة محاصيل، وأن واحدا أصابته العدوى ثم انتقلت للآخرين.

— ولكن "ياموس" كان يبدو دائما كما هو.

— نعم وهذا هو أحد الأسباب التي جعلتني يا "رينسنب" أشك. فإن الآخرين كان يسكنهم التنفيس نتيجة لطباعهم، ولكن "ياموس" كان دائما خجولا، ومن السهل التحكم فيه، ولم تكن لديه قط الشجاعة لكي يشور. كان يحب "أمحتوب"، ويعمل جهده ليرضيه، و"أمحتوب" كان ينظر إليه كشخص حسن النية، ولكنه غبي وبطيء وكان يحترقه. وكانت "ساتيبي" أيضا تعامل "ياموس" بازدراء. امرأة مسيطرة، وبدأ شعوره الخفي بالحنق الذي كان يشعر به يزداد بالتدرج، وكان كلما بدا أكثر وداعة كان غضبه الخفي يزداد. ثم في الوقت الذي كان "ياموس" يأمل فيه أنه سيحصل ثمار عمله وجهده، وأنه أصبح شريكا لأبيه، وتقدر جهوده جاءت "نوفريت"، وكانت "نوفريت"، وربما جمال "نوفريت"، هو الذي أشعل الشرارة الأخيرة. إنها هاجمت رجولة الإخوة الثلاثة. إنها أصابت "سوبك" في الصميم باحتقارها له كمغفل، وأثارت "إيبي" بمعاملته كطفل شرس دون أية رجولة، وأظهرت لـ "ياموس" أنه أقل من رجل في نظرها. إن لسان "ساتيبي" قد دفع "ياموس" أخيرا إلى الانفجار، وحدث ذلك بعد مجيء "نوفريت". كانت تهكماتها وتعبيرها له بانها أرجل منه هما اللذان حطما أخيرا ضبط النفس عنده، وقابل "نوفريت" على هذا الطريق—وهو غير متمالك أعصابه—فرماها من فوق الجبل.

— ولكن إن "ساتيبي" هي...

— كلا كلا يا "رينسنب" هذا هو الخطأ الذي وقعت فيه جميعا. إن "ساتيبي"

رات الحادثة من الوادي، والآن هل تفهمين؟

— ولكن "ياموس" كان معك في المزرعة.

— نعم كان معي في الساعة الأخيرة، ولكن لا تدركين يا "رينسنب" أن جثمان

"نوفريت" كان باردا؟ لقد مسست وجنتها بنفسك، وظننت أنها وقعت منذ

لحظات قليلة قبل ذلك، ولكن هذا كان مستحيلًا. إنها كانت ميتة منذ ساعتين على الأقل، ولولا ذلك لكان وجهها تحت هذه الشمس الحامية لا يمكن أن يكون باردًا. إن "ساتيبي" رأت الحادثة، وظلت قريبة وهي خائفة ولا تدري ماذا تفعل، ثم رأتك قادمة وحاولت أن تبعدك.

— متى عرفت هذا يا "حوري"؟

— لقد خمنت سريعًا، وكان سلوك "ساتيبي" هو الذي أفهمني ذلك. كان من الواضح أنها تعيش في فزع مميت من شخص ما، وتأكدت بعد هذا بقليل أن "ياموس" كان هو الشخص الذي تخافه. لقد توقفت عن تعاليها عليه، وبدلاً من ذلك أصبحت متحمسة لطاعته بكل طريقة. إنها كانت كما ترين صدمة فظيعة لها، فإن "ياموس" أشد الرجال وداعة والذي كانت تحتقره هو في الواقع قاتل "نوفريت". وقلبت هذه الواقعة عالم "ساتيبي"، فإنها مثل أغلب النساء كانت جبانة، و"ياموس" الجديد هذا أزعجها، وبدأت من جراء خوفها تتكلم وهي نائمة، وسرعان ما أدرك "ياموس" أنها خطر، والآن يا "رينسنب" يمكنك أن تدركي حقيقة ما رأيته بعينيك في ذلك اليوم. لم يكن ما رآته "ساتيبي" وسبب وقوعها شبحًا، إنها رأت ما رأيته أنت اليوم، رأت في وجه الرجل الذي يتبعها—زوجها—نيته في أن يرميها إلى أسفل كما رمى المرأة الأخرى، وتراجعت إلى الخلف خوفاً منه ووقعت، وعندما تفوهت بكلمة "نوفريت" وهي تحتضر، كانت تحاول أن تخبرك بأن "ياموس" قتل "نوفريت". وتوقف "حوري" برهة ثم مضى يقول:

— إن "أسا" عرفت الحقيقة من ملاحظة—لا علاقة لها إطلاقاً بالموضوع—أبديتها "هينيت". إن "هينيت" اشتكت من أنني لا أنظر إليها، ولكنني أنظر إلى شيء خلفها لا وجود له. ومضت بعد ذلك تتحدث عن "ساتيبي"، وفي غمضة عين رأت "أسا" كيف أن الأمر كله أبسط بكثير مما كنا نظن. إن "ساتيبي" لم تكن لتنتظر إلى شيء وراء "ياموس". إن الذي رآته هو "ياموس" نفسه، ولكي تختبر "أسا" فكرتها، أدخلت الموضوع بطريقة عاتمة لا تعني شيئاً لاي واحد إلا لـ "ياموس"، وله وحده فقط إذا كان ما تشك فيه هو الحقيقة، وأدهشته كلماتها، وكانت ردة فعله لها للحظة فقط كافياً لها لتعرف أن ما تشك فيه هو الحقيقة، ولكن "ياموس" عرف عندئذ أنها تشك، وإنه بمجرد أن وجد شك فإن الأحداث الأخرى ستبرر تماماً حتى

الرواية التي رواها الراعي، وهو صبي مخلص له، ومستعد لأن يفعل أي شيء يأمره به مولاه "ياموس"، لدرجة أنه ابتلع دواء في تلك الليلة دواء ضمن عدم يقظته مرة أخرى.

- يا "حوري"، إنه من الصعب أن أصدق أن "ياموس" فعل هذه الأمور. مقتل "نوفريت"، نعم بوسعي أن أفهم هذا ولكن لماذا كل هذه الجرائم الأخرى؟
- من الصعب أن أوضح لك يا "رينسنب" .. ولكن بمجرد أن يتفتح القلب للشر، يزدهر الشر مثل الزهور بين القمح، وطوال حياته ربما كان "ياموس" لديه ميل إلى العنف، ولم يستطع أن يقوم به. كان يحتقر دوره الوديع في الحياة، وأعتقد أن قتله لـ "نوفريت" أعطاه شعورا بالقوة، وأدرك هذا من سلوك "ساتيبي" أولاً.. "ساتيبي" التي كانت تسيطر عليه وتوبخه أصبحت الآن ودیعة ومرعوبة، واستيقظت فيه كل المظالم التي كان يشكو منها.. مثلما رفع ذلك الثعبان رأسه في هذا الطريق في ذلك اليوم... إن "سوبك" و"إيبي"، أحدهما أكثر وسامة والآخر أذكى منه؛ لذلك يجب إزاحتهما، وبذلك سيكون هو "ياموس" المتحكم في المنزل، والسلوى والركيزة الوحيدة لأبيه، وتضاعف شعور اللذة بالقتل عنده بمقتل "ساتيبي" وأحس بأنه أصبح أقوى من جراء هذا وبعد ذلك بدأ عقله يختل، ومنذ ذلك الوقت تملكه الشر كلية. وانت يا "رينسنب" لم تكوني غريمة، وكان ما يزال بوسعه أن يحبك، ولكن فكرة أن زوجك سيشاركه في المزرعة لم يتمكن من احتمالها، وأعتقد أن "أسا" وافقت على فكرة الزواج بـ "كاماني" من أجل غرضين: أولاً أنه إذا قُتل "ياموس" مرة أخرى فإن الذي سيهاجمه سيكون "كاماني" على الأرجح- وعلى أي حال فإنها كانت تثق باني ساحميك، والفكرة الثانية، لأن "أسا" كانت امرأة جسور، كانت تريد أن تتعجل الأحداث، وكان "ياموس" مراقباً مني، وكان لا يعرف أنني أشك فيه، ومن الممكن الإمساك به متلبساً.

- كما فعلت. آه يا "حوري" كم خفت عندما نظرت خلفي ورايته.
- أنا أعرف يا "رينسنب"، ولكن كان لابد من ذلك، وطالما أنني الأزم "ياموس" فإنك آمنة دون شك، ولكن لا يمكن أن يستمر هذا الوضع إلى الأبد، وكنت أعرف أنه لو أتتحت له الفرصة ليلقي بك من فوق الطريق الجبلي في نفس المكان فإنه لن يدعها تمر، وإن هذه الحادثة ستحيي من جديد الإيضاحات الخرافية للميتات السابقة.

– إذن فإن الرسالة التي جاءت بها إليّ "هينيت" لم تكن منك. وهز "حوري" رأسه:

– لم أبعث إليك بأية رسالة.

– لكن لماذا "هينيت"... وتوقفت "رينسنب" وهزت رأسها:

– أنا لا أستطيع أن أفهم دور "هينيت" في كل هذا. وقال "حوري" مفكراً:

– أعتقد أن "هينيت" تعرف الحقيقة. وكانت تلمح لـ "ياموس" بها هذا الصباح، وهو شيء من الخطر القيام به. إنه استعملها ليجذبك إلى هنا، وهو أمر راق لها القيام به، بما أنها تكرهك يا "رينسنب".

– وبعد ذلك.. إنني أتساءل إن "هينيت" قد تعتقد أن ما تعرفه سيعطيها قوة، ولكنني لا أصدق أن "ياموس" كان سيدعها تعيش طويلاً، وربما حتى الآن، وارتعدت "رينسنب" وقالت:

– إن "ياموس" كان مجنوناً، وكانت الأرواح الشريرة تتملكه، ولكنه لم يكن هكذا دائماً.

– كلا ومع ذلك أتذكركم يا "رينسنب" كيف رويت لك قصة "ياموس" و"سوبك" وهما طفلان، وكيف أن "سوبك" ضرب رأس أخيه في الأرض وأن والدتك جاءت وهي شاحبة ترتعد وقالت: «إن هذا خطر». أعتقد يا "رينسنب" إن ما كانت تعنيه هو أنه من الخطر القيام بمثل هذه الأفعال ضد "ياموس"، وتذكرني أنه في اليوم التالي مرض "سوبك" وظنوا أنه من جراء أكل فاسد. أعتقد يا "رينسنب" أن والدتك كانت تعرف شيئاً عن الغضب الغريب المكبوت الذي كان يكمن في صدر ابنها الصغير الوديع، وكانت تخشى أن يشار هذا الغضب في يوم ما. وارتعدت "رينسنب" وقالت:

– ألا يوجد شخص كما يبدو؟ وابتسم "حوري" وقال:

– نعم في بعض الأحيان. إن "كاماني" وأنا يا "رينسنب" على ما أظن كما تعتقدين فينا.. "كاماني" وأنا.. وقال الكلمات الأخيرة بلهجة ذات معنى، وفجأة أدركت "رينسنب" أنها تقف في لحظة اختبار في حياتها. ومضى "حوري" يقول:

– إن كلينا يحبك يا "رينسنب"، وأنت تعرفين هذا بلا ريب. وقالت "رينسنب" ببطء:

– ومع ذلك فانت تركت ترتيبات زواجي تمضي قدما ولم تقل شيئا ولا حتى كلمة واحدة.

– كان هذا من أجل حمايتك، وكانت هي فكرة "أسا" أيضا. كان عليّ أن أظل متباعدة وغير مهتم حتى أستطيع أن ألاحظ "ياموس" بلا انقطاع وألا أثير عداوته، وأضاف "حوري":

– بتأثير يجب أن تفهمي يا "رينسنب" أن "ياموس" كان صديقي منذ عدة سنوات وكنت أحبه، وحاولت أن أدفع أباك لكي يعطيه المكانة والسلطة التي كان يريدتها وأخفقت في ذلك. إن كل ذلك جاء بعد فوات الأوان، ولكن ولو أنني كنت مقتنعا في نفسي بأن "ياموس" قتل "نوفريت" إلا أنني حاولت ألا أصدق هذا، ووجدت له حتى تبريرات لفعلته. إن "ياموس" صديقي التعس المعذب كان غالبا جدا عليّ، ثم جاء موت "سويك" و"إيبي" وأخيرا موت "أسا" .. وعرفت حينئذ أن الشر الذي في "ياموس" قد تغلب على الخير، ولذلك لقي "ياموس" موته على يديّ مئة سريعة ودون ألم تقريبا.

– الموت ... دائما الموت.

– كلا يا "رينسنب" إن الذي يواجهك اليوم هي الحياة وليس الموت. مع من ستقاسمين حياتك؟ مع "كاماني" أو معي أنا؟ وحدقت "رينسنب" أمامها عبر الوادي وحتى ضوء النيل الفضي. وأمامها ارتفعت بوضوح صورة "كاماني" بوجهه الباسم في ذلك اليوم وهو في مواجهتها في القارب وسيما مرحا وقويا .. وشعرت مرة أخرى بدائها تخفق لقد أحببت "كاماني" في تلك اللحظة. إنها تحبه الآن ويوسع "كاماني" أن يحل محل "فاي" في حياتها. وفكرت "رينسنب": «سكون سعادة معا ... نعم سكون سعادة .. سنعيش معا ونسعد ببعض، وسيكون لنا أطفال جملاء أقوياء. ستكون هناك أيام مليئة بالعمل .. وأيام للنزهة عندما نبحر في النهر. وستصبح الحياة مرة أخرى كما عرفتتها مع "فاي" .. وما الذي أستطيع أن أطلبه أكثر من هذا؟ ما الذي أريده أكثر من هذا؟ وأدارت وجهها ببطء شديد نحو "حوري".

كانت كمن يسأله سؤالا دون كلام. وأجاب كما لو أنه فهمها:

– عندما كنت طفلة كنت أحبك. كنت أحب وجهك الجماد والثقة التي كنت تأتين بها إليّ وتطلبين مني أن أصلح لعبك المكسورة. ثم بعد غيبة ثماني سنوات

رجعت مرة أخرى، وجمت إلى هنا، وذكرت لي الأفكار التي تدور برأسك . إن عقلك يا "رينسنب" ليس مثل عقل بقية أفراد أسرتك . . إنه لا يدور حول نفسه وحول جذرانه الضيقة . إن عقلك مثل عقلي، إنه ينظر عبر النيل، ويرى عالما يتغير وافكارا جديدة، يرى عالما كل شيء فيه ممكن لمن أوتوا بعد النظرة والشجاعة .

- أعرف يا "حوري" ، إنني أعرف وقد شعرت بهذا معك، ولكن ليس كل الوقت، وستكون هناك أوقات لا أستطيع أن اتبعك فيها، وسأكون وحيدة في هذه الأوقات . وتوقفت وهي لا تجد الكلمات التي تعبر بها عن الصراع الذي يدور بفكرها . إنها لا تعرف كيف ستكون الحياة مع "حوري" ، فإنه على الرغم من رفته وحبه لها، سيظل في بعض النواحي غامضا . إنهما سيشاركان في أوقات جميلة وغنية معا، ولكن ماذا عن حياتها العادية؟ ومدت يديها بحركة لا شعورية نحوه .

- آه يا "حوري" قرر لي ماذا أفعل؟ وابتسم لها -للطفلة "رينسنب" التي كانت تتكلم ربما لآخر مرة كطفلة- ولكنه لم يمسك يدها .

- لا أستطيع ان أقول لك ما يجب أن تفعله بحياتك يا "رينسنب" ؛ لأنها حياتك أنت، وأنت فقط التي يمكن أن تقرر . وأدركت عندئذ أنها لن تتلقى مساعدة . لن يلتجئ لحواسها كما فعل "كاماني" ، إن "حوري" فقط خيرها، ولكنه لم يلمسها . وبدا الخيار أمامها فجأة في أبسط صورة: الحياة السهلة أو الحياة الصعبة . لقد شعرت عندئذ بإغراء قوي أن تستدير وتنزل عبر الطريق الملتوي إلى الحياة العادية السعيدة التي تعرفها من قبل والتي خبرتها مع "فاي" . إنها حياة آمنة مشاركة في مباحج وأحزان الحياة ودون أي شيء تخشاه غير الشيخوخة والموت . الموت . . إن أفكارها قد دارت دورة كاملة من الحياة إلى الموت . إن "فاي" قد مات، و"كاماني" ربما سيموت، ووجه مثل وجه "فأي" سيزول ببطء من ذاكرتها . ونظرت عندئذ إلى "حوري" وهو واقف في سكون بجانبها، وفكرت في أنه شيء غريب أنها لم تعرف قط حقيقة وجه "حوري" . . إنها لم تشعر قط بالحاجة إلى أن تعرف، وتكلمت عندئذ، وكانت نبرة صوتها هي نفس النبرة عندما أعلنت قبل ذلك أنها ستمشي في الطريق وقت الغروب وحدها .

- لقد اتخذت قراري يا "حوري" ، سأشاركك حياتك، معك في السراء والضراء حتى يدركننا الموت، وشعرت بسعادة جديدة مفاجئة وذراعاه حولها، وكانت ممتلئة

بشعور جذل مليء ببهجة الحياة. وفكرت إذا مات "حوري" فلن أنسى أن "حوري"
أغنية في قلبي إلى الأبد.. وهذا يعني أنه لم يعد هناك موت.



أجاثا كريستي {1976 - 1890}

– الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
– بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نَصَبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالَت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنَّ الخير هو المنتصر في النهاية.

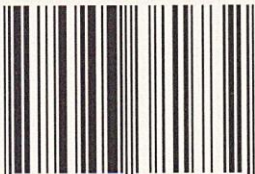
ابنة الفراغة

Death Comes As the End

في سنة 2000 قَبْلَ الميلاد في «مصر» أيامَ عهدِ الفراغة حيثُ يأخذُ «أمحتوب» مَحْظِيَّتَهُ الْجَمِيلَةَ الشَّابَّةَ «نوفريت» إلى بيته. ولكنَّ جميعَ أفرادِ أُسْرَتِهِ لم يَرْحَبُوا بِهَا؛ ولهذا عندما ماتتْ مقتولَةً كانت ابنة «أمحتوب» «رينسنب» وصديقُهَا «حوري» يشكَّان في وجودِ مُؤامرةٍ لقتلها، ويكشف «حوري» مدى الطمع والحقد اللذين يسريان في كيان الأسرة.

ثمن الكتاب

ISBN 995338173-9



9 789953 381732

قطر 10 ريات
عُمان 1.5 ريال
مصر 10 جنيهات
المغرب 30 درهما
ليبيا 5 دنانير
تونس 4 دنانير
اليمن 400 ريال

لبنان 5000 ل.ل.
سوريا 100 ل.س.
الأردن 2 دينار
السعودية 10 ريات
الكويت 1 دينار
الإمارات 10 دراهم
البحرين 1.5 دينار